

TAQ-228,319/01  
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

وظيفته الاقتصاد المورفولوجي

في التواصل اللساني

سورة - طة - نموذجاً

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

في اللسانيات العامة

لجنة المناقشة :

\* د : أحمد عزوز رئيساً .

\* أ.د : عبد الجليل مرتاض مشرفاً .

\* د : المهدي بوروية مشرفاً ثانياً .

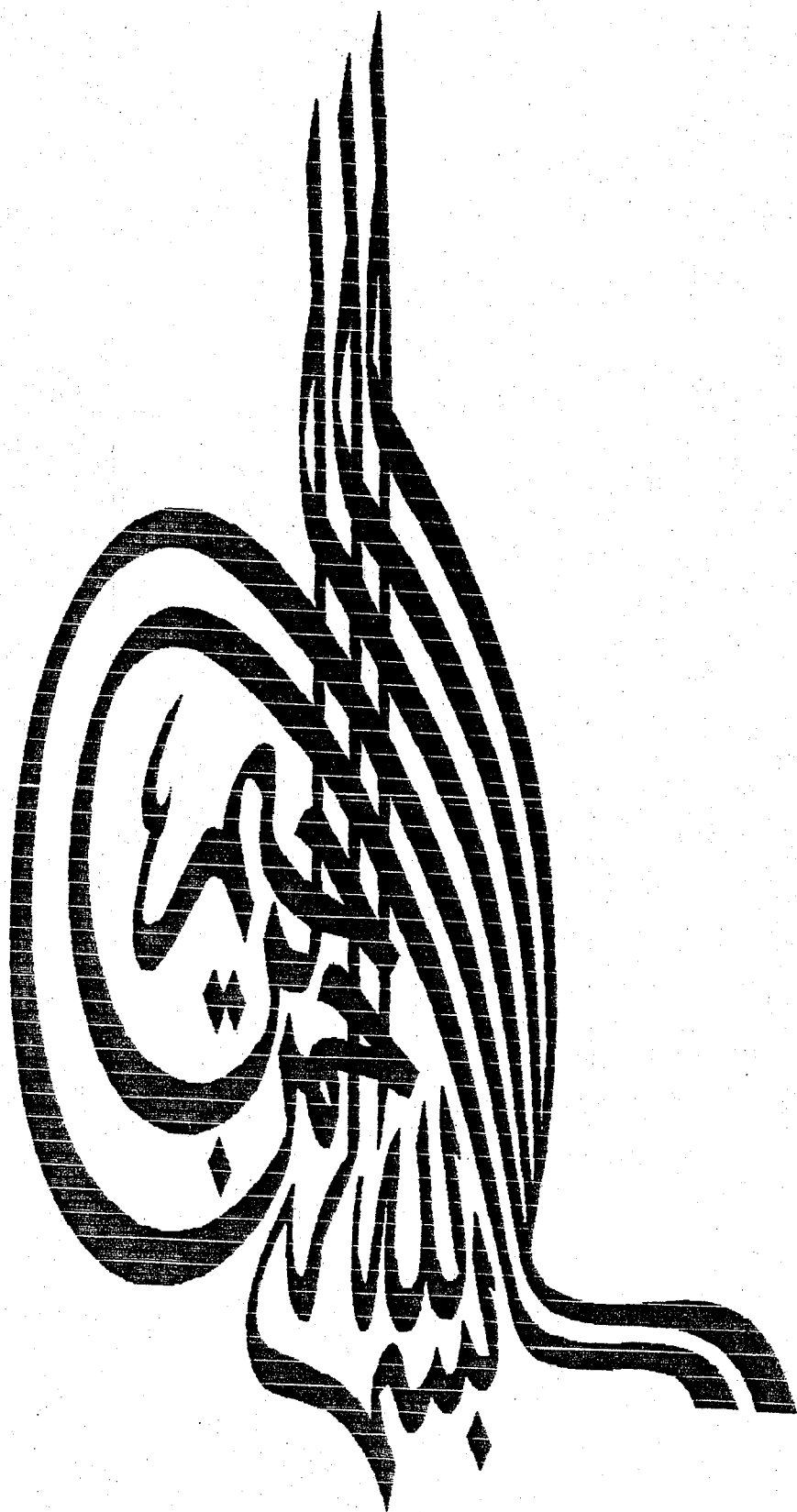
\* د : عبد الجليل مصطفىاوي عضواً .

\* د : محمد موسوني عضواً .

إعداد الطالب :

أحمد طيبي

السنة الجامعية ( 2002 - 2003 )



أهدى

باسم الله الرحمن الرحيم

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى :  
من أمر الله بالإحسان إليهما قائلاً :  
﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾  
إلى والديّ حفظهما الله .

إلى إخوتي وأختي .

إلى عائلتي الصغيرة :

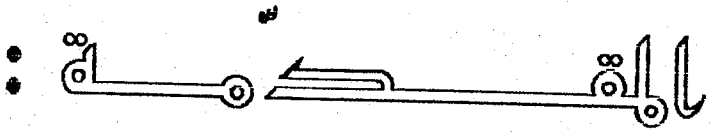
زوجتي و ابني نورين .

إلى زملائي وأساتذتي .

إلى كل من قرأ هذه الرسالة

فنصم أو شجّم أو وجه ...

أحمد طيبي



من الثابت أن اللغة عطاء من الله ، خصّ بها الإنسان و ميّزه بوساطتها على سائر خلقه ، فهي سبيله إلى الإفصاح عن السرائر التي في النفوس ، وطريقه إلى التفاهم والاتصال مع بني جنسه ، وبها يتعرّف على كلّ ما يدور حوله داخل هذا الكون الذي يعيش فيه ، فيستطيع بذلك التلاؤم مع كلّ ظرفٍ جديدٍ يطفو على محيطه . وما العربية إلاّ واحدة من تلك اللغات التي عرفتّها الإنسانية ، إلاّ أنّها اختلفت عن غيرها من حيث كونها لغة القرآن ، ووعاء التشريع و الأحكام .

فإذا كان أن عرفت اللغات الأخرى — في صيرورة حياتها — تلك المراحل الطبيعية الثلاث المشهورة ، وهي مرحلة النشوء والتشكّل ، ثم مرحلة النمو والاكتمال ، التي تليها مباشرة مرحلة التلاشي و التفكّت والزوال ، كما هي الحال بالنسبة إلى اللاتينية ، فإن اللغة العربية توقفت عند المرحلة الثانية ولم تتجاوزها إلى المرحلة الموالية بفضل رعاية القرآن و تحصيله لها و محافظته عليها . وقد قيّض الله لها رجالاً يسهرون على صيانتها ويقومون بشؤونها ، فصالوا و جالوا من أجلّ لم شتاتها و جمع شواردها و نوادرها ، ووقفوا على أحكام نظمها و سبوا أغوارها الدلالية والأسلوبية ، مدفوعين في ذلك بوازع ديني ، تحذوه رغبتهم الجامحة في فهم القرآن مصدر الأحكام و أساس التشريع . فكانت حلّ أبحاثهم اللغوية مؤسّسة عليه ، تدور في رحابه و تنشط في فلكه ، فالعلم

باللغة من الدين .

ولعلّ أوّل انطلاقة حقيقية في سبيل فهم كتاب الله وصيانتة من التحريف ، تعود إلى اليوم الذي أخطأ فيه ذلك الأعرابي قراءة الآية الكريمة ( أَنْ اللَّهَ بِرَبِّيْءٍ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُولُهُ ) فلحنَ فيها عندما كسر لام 'رسوله' بدلاً من ضمّها ، فأصاب اللّغة في أصواتها كما أصابها في معناها ودلالاتها .

فمن هذا المطلق انكبّ علماء العربية — نحاة ولغويون — على العلوم اللّغوية بمختلف فروعها غير مميّزين أحدها عن الآخر ، اعترافاً منهم بتداخلها وتلاصقها وحاجة بعضها إلى بعض ، فدرسوا الأصوات وأفاضوا فيها ، ولم يسبقهم في ذلك إلا الهنود . ورغم التطور الكبير الذي عرفته الدّراسات الصّوتية الحديثة بفضل الوسائل المتكررة في هذا المجال ، إلا أن أصداء أبحاثهم والنتائج المبهرة التي توصلّ إليها أمثال : الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وابن جنّي ، وابن سينا ، والفراء ، والفارابي ، والكندي ، وابن الطحّان وغيرهم ، لا تزال حتى الآن تشدّ اهتمام الباحثين في حقل الصّوتيات .

كما اهتمّوا بالصّرف والنحو والبلاغة ، فنبغوا فيها وابتكروا في مناهجها وطوّروا أساليب دراستها وتلقينها ، فكانت لهم المعين الذي لا ينضب ، والرّفيق الذي لا يكلّ ، والسند الذي لا يفنى ، الذي بوساطته

حافظوا على النطق الصحيح للغة القرآن والتلاوة الشريفة و صيانتها مما قد يعثر بها من لحنٍ أو تحريف - وخاصة بعد انتشار الإسلام وفتح الأمصار ، واختلاط العرب بالأعاجم ، والمعاشة اليومية لهم ، وقد نقلوا عاداتهم النطقية إلى العربية التي تسربت إلى نطق بعض العرب - وعن طريقه نقلوا إلى الخلف من أبناء هذه اللغة تراثاً جمع عبقريتهم وذكاءهم في فترة ازدهرت فيها حضارتهم في جوانبها الفكرية و العلمية .

وإذا كان القدماء قد أحاطوا باللغة العربية فدرسوها في جوانبها المختلفة ، مرتكزين في ذلك على أساس الملاحظة الذاتية و التجربة الذوقية و المعرفة الآنية و المنهجية المترقفة ، فهناك الكثير من المسائل التي لم يغوصوا فيها ولم يسبروا أغوارها ، فأشاروا إليها إشارات وامضة لم تكشف حقيقتها و لم تجلُ الغطاء عنها .

وواجبنا اتجاهها أن نبعثها إلى الوجود فندرسها بمنظور عصري ، غير مجترين أقوال السابقين فيها ، محاولين تطبيق معطيات الدرس اللغوي الحديث عليها، مستفيدين من المناهج التي فرضتها عوامل النمو الفكري بأبحاثه ونظرياته . والحق أن ' اللسانيات ' تتيح لنا هذه الفرصة وتوفّر لنا إمكانيات جديدة لتناول الظاهرة اللغوية واستخلاص سماتها . فنكون بذلك قد شاركنا في خدمة هذه اللغة الجليلة على نحو ما نهض بها السابقون ، و ساهمنا في تقدّمها وتطورها

وأعدنا لها مجدها الضائع ، لتنال حظوتها بين لغات العالم المتطور .  
والبحث الذي تقدمه ينطلق من هذه النظرة و يؤسس عليها ، فهو يحاول  
إحلاء ظاهرة كثيرا ما أشار إليها القدماء إشارات سريعة — عاجلها تحت اسم  
' الاستئقال و الاستخفاف ' — في ثنايا بحوثهم ، دون أن يتعمقوا فيها ، ودون  
أن يخصوها ببحث مستقل ، فننظر إليها في ضوء ما قررتاه و توصلت إليه  
اللسانيات الحديثة . ونعني ههنا ' ظاهرة الاقتصاد في اللغة ' .

ولما كان الموضوع واسعاً يصعب على الباحث أن يحيط بجوانبه المختلفة  
وأطرافه المتعددة على امتداد مستويات الدرس اللغوي صوتاً و صرفاً وتركيباً  
ودلالة ، رأيتُ حصر الظاهرة في مستوى واحد منها هو المستوى  
' المورفونولوجي ' ، وهو المستوى الذي تتكشفُ وتتمظهر فيه أكثر من غيره  
من المستويات . ولما كانت هذه الظاهرة تطّلع بوظيفة ، وتقوم على مقصد و  
هدف أساسي هو تسهيل العملية التواصلية وتيسيرها بين المتكلم و السامع ،  
اخترتُ أن يكون موضوع بحثي :

### " وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التواصل اللساني "

وحتى لا يكون موضوعي جافاً ، تبين لي أن أشغعه بدراسة  
تطبيقية تزيده توضيحاً و تميظ اللثام عن بعض ما قد يعتريه من إبهام أو



غموض ، فوق اختياري على سورة من سور القرآن ، لا لشيء إلا لكون القرآن يمثل أرقى النصوص الفصيحة التي دارت حولها كل الجهود اللغوية قديمها وحديثها . وقد وقفت عند سورة ' طه ' لسببين :

— أحدهما أن لفظ ( طه ) الذي سميت به السورة هو أصغر آية في القرآن الكريم عند معظم الرواة ، وبالتالي يتضمّن معنى الاقتصاد .

— وثانيهما أن لفظ ( طه ) يمثل صورة من صور الاقتصاد المورفولوجي ، فكان العنوان النهائي والأخير للبحث هو :

" وظيفة الاقتصاد المورفولوجي في التواصل اللساني "

- سورة ' طه ' نموذجا -

واقترضت طبيعة الموضوع خطةً تشكّلت من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة . تناولت في المدخل تجليات الاقتصاد اللساني في اللغة العربية الفصحى في جميع مستويات البحث اللغوي الصوتية و الصرفية و التركيبية و المعجمية بإيجاز ، لأنتهي إلى التركيز حول حقيقة بروز الاقتصاد اللساني بشكل أوضح وأوفى على مستوى الظواهر المورفولوجية ، أي الظواهر المشتركة بين علمي الصوت والصرف ، مع توضيح العلاقة بين العلمين وتلازميتهما وخدمة أولهما لثانيهما .

و درستُ في الفصل الأول الاقتصاد المورفونولوجي في الظواهر التماثلية ،  
فبعد التوطئة التي بينت فيها تأثير الأصوات بعضها ببعض أثناء تجاورها في سياق  
العملية الكلامية وأنها لا تحتفظ بصفاتهما وخصائصها التي عرفت بها عند ما  
كانت منفردة ، عرضتُ لظاهرة المماثلة بمختلف أنواعها وأشكالها ، ثم ظاهرة  
القلب المكاني ، ثم ظاهرة النحت في اللغة العربية ، فبينتُ ماهياتها وحللت نماذج  
عنها وكشفتُ عن وجوه الاقتصاد فيها في ظل القوانين الصوتية وبخاصة قانوننا  
السهولة والتيسير و الظواهر التوازنية .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة الاقتصاد المورفونولوجي في الظواهر  
التخالفية ، فتبعتُ أثر قانون الجهد الأدنى في مختلف أنواع المخالفة في اللغة  
العربية مستعيناً في توضيح ذلك ببعض الأمثلة من لغات أخرى .

وكان الفصل الثالث لوظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في عملية التواصل من  
خلال سورة ' طة ' ، فعرضتُ فيه لأهم جوانب العملية التواصلية من حيث  
أنها مسرح أحداث الاقتصاد المورفونولوجي ، وفيها يتكشف ويظهر إلى  
الوجود ، لأنقل بعد ذلك إلى تلمس أثر الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال  
السورة ، وهي الدراسة التطبيقية التي ذكرت فيها أنواع الظواهر المورفولوجية  
الواردة في السورة ، مع إحصاء جميع أمثلتها بأنواعها المختلفة المتكررة فيها ، ثم  
ذكرتُ كل نوع منها ونسبة وروده في السورة ، لأخذ عينة عنه يتم تحليلها

وتبيين وظيفة الاقتصاد من خلالها في تسهيل العملية التواصلية بين المتكلم و المستمع .

وأما الخاتمة فكانت حوصلة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وكان زادي في إنجاز هذا البحث مجموعة من المصادر و المراجع مما ألفه أئمة اللغة القدامى ، و سيبويه ، و ابن جنّي ، و ابن الأنباري ، و ابن يعيش ، و الزرّكشي ، و السيوطي ، و الزمخشري ، و مما ألفه المحدثون كإبراهيم أنيس ، و تمام حسّان ، و رمضان عبد التّواب ، و عبد الصّبور شاهين ، و أحمد مختار عمر ، و عبد القادر عبد الجليل و غيرهم ، كما استعان بالبحث من بعض المؤلفات الأجنبية للغويين مشهورين كدي سوسير ، و جاكسون ، و مارتيني وغيرهم .

وقد سرّت في معالجته و استقصاء مسائله ، وفق النهج الوصفي ، المبني على استقراء الظاهرة و تحديدها ثم تفسيرها . كما استعنت بالنهج الإحصائي مع استخدام الرّسومات البيانية و الجداول من أجل الموازنة و توضيح الحقائق و الكشف عنها .

فقد كان البحث في هذا الموضوع شائقاً ، لولا ما اعترى سبيل إنجازهِ من نقص المراجع الحديثة المختصة و صعوبة الحصول عليها ، و على الرّغم من ذلك فقد كان أستاذي الجليلان ؛ الأستاذ الدكتور : عبد الجليل مرتاض ، و الدكتور : المهدي بوروبة أكبر حافز لي على تجاوز كلّ الصّعاب بتوجيهاتهما

و ملاحظتهما حرصاً منهما أن يخرج البحث في مستوى المقاييس العلمية  
التي تتطلبها البحوث الأكاديمية المعمول بها .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر لهما فضلهما و صنيعهما ، فجازاهما  
الله خير الجزاء . كما أقدم شكري لزملائي طلبة الماجستير ، الذين لم يبخلوا عليّ  
بتقديم مصدرٍ أو مرجعٍ أو رأيٍ أو نصيحة . دون أن أنسى شكري لأعضاء لجنة  
المناقشة المحترمين الذين سيتحملون عبء قراءة هذه الرسالة و تقويمها و تسديد  
ما اعوجَّ فيها .

وبعد ، فإن كنت وُفقت في بحثي هذا ، فذلك من فضل ربي ، وإن لم  
يكن كذلك ، فحسبي أنني اجتهدت في طلبه و تُشدانه .

و على الله قصد السبيل

- أحمد طيبي -

\* تلمسان في :

01 جانفي 2003 م الموافق لـ: 29 شعبان 1423 هـ

المدخل

مظاهر الاقتصاد اللساني في اللغة العربية. <

من الواضح أن اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل تتطور باستمرار ، فهي تنشأ في أحضان المجتمع وتنمو معه وتتطور بتطوره . فأصوات اللغة وقواعدها وتراكيبها ومعجمها ودلالاتها لا تثبت على حالها الأولى ، وإنما هي عرضة للتغيرات المطردة وفق مقتضيات التواصل ومتطلباته . " و اللغة العربية الجاهلية ، ليست بدعا من اللغات ، فهي حلقة في سلسلة حلقات طويلة من التغير و التطور ، أي أنها لم تكن كما يتخيل بعض الناس ، بصورتها التي رويت لنا ، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها . " (1)

ويعزى التطور اللغوي في كثير من الأحيان إلى الجانب المنطوق في اللغة ، لأنه يمتلك القدرة على الحركة والانسحاب أكثر مما هو عليه جانبها المكتوب . (2) متجهاً في سلوكه هذا نحو الاقتصاد والتسهيل والتيسير وتقليص النشاط الذهني والجسدي لدى المتكلم والمستمع إلى الحد الذي يسمح لهما بالتواصل والتفاهم . فالإقتصاد اللساني إذن هو مبتغى اللغة الذي تسعى إليه من خلال تطورها عبر الأزمنة والتاريخ ، و مراد تحقيق الإنسان الحد الأقصى من الأثر من خلال بذل الحد الأدنى من الجهود . و من مظاهره في اللغة العربية الفصحى :

تخفيف الهمزة الذي يعتبر مثالا صادقا لجنوح العربية نحو اليسر واقتصاد الجهد . والهمزة نبرة في الصدر تخرج باجتهاد كما يقول سيويه (3) ، فهي من أشق الأصوات نطقاً و أعسرهما إخراجاً . فمكان إنتاجها فتحة المزمار التي تنطبق ثم تنفتح فجأة محدثة

---

(1) التطور اللغوي : مظهره و علله و قوانينه — رمضان عبد التواب — مكتبة الخانجي بالقاهرة — ط 1 — 1983 — ص : 6 .

(2) ينظر : الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — دار صفاء للنشر والتوزيع — ط 1 — 1998 — ص : 261 .

(3) ينظر : الكتاب — سيويه — تحقيق و شرح : عبد السلام هارون — مكتبة الخانجي — القاهرة — ط 3 — 1988 — ج 3 — ص : 548 .

انفجاراً أثناء إصدارها ، الأمر الذي دفع بالقبائل العربية القديمة و بخاصة الحجازية و من جاورها إلى التخلص منها بتسهيلها أو حذفها أو إبدالها حرف لين .<sup>(1)</sup> و قد وُضعت قواعد حُصرتُ بها " أحوال الهمز في جهات النطق بها ، بمراعاة حركتها أو حركة ما قبلها أو ما بعدها . " <sup>(2)</sup> فقد خففت العرب ' الهمزة ' المفردة بقلبها مداً من جنس حركة ما قبلها في ( يؤمنون و يؤمنون ، بئسما و بيسما ، سأل و سأل ) .

ميل اللغة العربية نحو الأيسر والأبسط فونيميا <sup>(3)</sup> . فإذا بحثنا في بعض فونيمات اللغة العربية التي تتحقق من نفس الموضع و تخرج من نفس المكان ، وجدنا أن نسبة ترددها تختلف تماشياً مع قانون الجهد الأدنى ، و مثال ذلك :

### — الصوائت القصيرة والطويلة :

فالمعروف أن الصوائت القصيرة أقل كميّة و أقصر زمناً من الطويلة ، و بنظرة سريعة في اللغة العربية ، يتبين أن الصوائت القصيرة أكثر من تردّد الطويلة .<sup>(4)</sup>

### — السّين و الصّاد :

فالفارق في نطقهما هو تلك العملية الإضافية التي تخصّ الصّاد و التي تقتضي رفع مؤخرة اللسان إلى الطّبق .<sup>(5)</sup> و بمقارنة عدد السّينات في السّور العشر الأولى من القرآن بعدد الصّادات ، نجد السّينات ثلاثة أضعاف الصّادات . " <sup>(5)</sup> والأمر نفسه يقال على ( التّاء و الطّاء ) و ( الدّال و الضّاد ) . و أمّا ( الدّال و الطّاء ) فكلاهما قليل الشّيع

(1) ينظر : علم اللغة بين التّراث و المعاصرة — عاطف مذكور — دار دار الثقافة للنشر و التوزيع — القاهرة — د.ط — 1987 — ص : 283 .

(2) بحوث في اللغة — قطبي الطّاهر — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر — د.ط — 1990 — ص : 8 .

(3) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي — أحمد مختار عمر — عالم الكتب — القاهرة — ط3 — 1985 — ص : 338 .

(4) ينظر : نفسه — ص : 339 .

(5) ينظر : نفسه — ص : 340 .

في اللغة العربية ، وقد وصلت الذّال في إحصائيات لسان العرب إلى ( 216 ) مرّة مقارنة بالظاء التي تكرّرت فيه ( 149 ) مرّة فقط .<sup>(1)</sup>

### العين و الحاء :

والعين أيسر نطقاً من الحاء من حيث أن المجهور أسهل من المهموس وأقصر زمناً منه . و بالعودة إلى إحصائيات جذور معجم لسان العرب نجد أن العين تكرّرت فيه ( 868 ) مرّة مقارنة بالحاء التي بلغت ( 719 ) مرّة فقط .<sup>(2)</sup>

اعتمادهم في لغتهم على الأصوات المجهورة ، من حيث أن الصّوت المجهور أسهل في النطق من المهموس<sup>(3)</sup> الذي يتطلّب جهداً أكبر ومدّة أطول ، فالتاء المهموسة يكون حبس الهواء فيها أطول وأشدّ إحكاماً منه في حالة الذّال المجهورة .<sup>(4)</sup> " فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كلّ كلام مجهورة ، على حين أن الأصوات المهموسة لا يكاد يزيد شيوعها في الكلام على عشرين أو خمسة وعشرين في المائة ."<sup>(5)</sup>

شيوخ الصّوائت في الكلام العربي بشكل لافت للإنتباه ، فرغم أن عددها ستّة — ثلاثة قصيرة وثلاثة طويلة — لا يمثل إلاّ نسبة ضعيفة مقارنة بعدد الصّوائت —

(1) ينظر : دراسة الصّوت اللغوي — ص : 342

(2) ينظر : الزهر في علوم اللّغة و أنواعها — جلال الدّين السيوطي — شرح و تعليق : محمد أحمد جاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم — دار الفكر للطباعة و التّشريع — د.ط — د.ت — ج1 — ص : 197-198 .

(3) ينظر : cours de linguistique générale / F. De saussure / présenté par : Dalila Morsly / ENAG / 2<sup>ème</sup> édition / 1994 / p : 238 .

(4) ينظر : علم اللّغة : مقدمة للقارئ العربي — محمود السّعران — دار الفكر العربي — د.ط — د.ت — ص : 127 .

(5) مبادئ اللّسانيات — أحمد محمد قنّور — دار الفكر — دمشق — ط1 — 1996 — ص : 83 .



ثمانية و عشرون — فإن نسبة ترددها اقتربت من نسبة تردد الصوامت ، إذ بلغت حوالي ( 48 % )<sup>(1)</sup> ، مما يؤكد سيرا العربية نحو السهولة و التيسير انطلاقا من حقيقة أن المصوتات أسهل على النطق وأطرب للسمع من الصوامت .

شيوع بعض الصوامت التي سهلت في النطق و استُسيغت في السمع ، فكانت أكثر دورانا في الكلام العربي من غيرها ، وهي التي سماها القدماء المذلقة وهي ( اللام و الراء و التون و الميم و الفاء و الباء ) ، والذلاقة الخفة والسلاسة<sup>(2)</sup> ، واشترطوا في الأصل الرباعي و الخماسي ألا يُعرى من أحدها لثقله و خفتها<sup>(3)</sup> . يقول ابن دريد :

" ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعياً مُصمت الحروف ، لا مزاج فيه من حروف الذلاقة ... فأما الخماسي مثل : فرزدق و سَفرجل و شمرذل ، فإنك لست تجد واحدة إلا بحرف و حرفين من حروف الذلاقة ."<sup>(3)</sup> و يقول ابن جنّي في نفس السياق : " وفي هذه الحروف الستة سرّ طريف ينتفع به في اللغة ، و ذلك أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد ، فلا بدّ فيه من حرفٍ من هذه الستة أو حرفين ، وربما كان فيه ثلاثة ، وذلك نحو : جعفر ؛ ففيه الفاء و الراء ... و سَفرجل ؛ فيه الفاء و الراء و اللام ، و فرزدق ؛ فيه الفاء و الراء ... فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرأة من بعض هذه الحروف الستة فاقض بأنّها دخيل في كلام العرب و ليست منه ."<sup>(4)</sup> أمّا علماء الدرس الصوتي الحديث فقد اختصروها إلى أربعة هي ( اللام ، و الراء ، و الميم ، و التون ) و سموها ' بالمائة ' ، وهناك من سماها بأشبه الصوائت لاّ تساع مخرجها و سهولة نطقها

(1) ينظر : الألسنية العربية 1 — ص : 64 .

(2) ينظر : دراسات في فقه اللغة — صبحي الصالح — دار العلم للملايين — ط 13 — 1997 — ص : 283 .

(3) ينظر : جمهرة اللغة — ابن دريد — دار صادر بيروت — د.ط — د.ت — ج 1 — ص : 11 .

(4) سرّ صناعة الإعراب — دراسة و تحقيق : حسن هنداوي — دار القلم — دمشق — ط 1 — 1985 ج 1

— ص : 64 - 65 .

وجهرها ووضوحها السّمعي ، فقد أشبهت بصفاتها هذه الصّوائت . " ومن خلال استقراء بعض معاجم اللّغة العربيّة و القرآن ... تبيّن أنّ ( الرّاء ) وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثلاثة [ الصّحاح و اللّسان و التّاج ] ، ثمّ ( التّون ) في اللّسان و التّاج ، ثمّ ( الميم ) في اللّسان و التّاج ، أمّا ( التّون ) فقد وردت بأعلى نسبة في الصّحاح و كان اللّام آخرها . أمّا فيما يتعلّق بالقرآن الكريم فقد تبيّن أنّ اللّام وردت ( 33022 ) مرة ، و التّون ( 26525 ) مرّة ، و الميم ( 26135 ) مرّة ، و الرّاء ( 11793 ) مرّة . " (1)

وقد أورد علي حلمي موسى في إحصائه لأصوات الجذور العربيّة ، جدولاً خاصّاً بعدد تردّدات الأصوات المائعة و نسبتها إلى جميع الحروف عدا اللّين ، فكان كالآتي : (2)

الأصوات المائعة		
الصّوت	عدد مرّات وروده	نسبته المئوية إلى جميع الحروف عدا اللّين .
الرّاء	1470	% 8,966
الميم	1075	% 6,557
اللّام	1051	% 6,410
التّون	925	% 5,642
المجموع	4521	% 27,575

- (1) ينظر : البنية اللّغوية ليردة البصري - رابع بوحوش - ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر - د. ط - 1993 - ص : 59 .
- (2) ينظر : دراسة احصائية لجذور معجم الصّحاح باستخدام الكمبيوتر - الهيئة المصريّة العامّة للكتاب - د. ط - د. ت - ص : 113 .

نطق الانفجاريين المتواليين الذي لا يوجد بينهما فاصل من صامت أو صائت ،  
 ففي هذه الحالة لا يُفَجَّر الصَّوْتُ الأوَّل . ففي الباء و التَّاء في ( اِبْتِهَاج ) و الباء و الدَّال  
 في ( عُبْد ) (1) فَإِنَّ المتكَلِّمَ لا يَنْطِقُ ' الباء ' الأولى كاملة ، بـغلق متبوع بانفجار ، ثمَّ  
 يتطلَّب جهدا زائدا ناجما عن فتح المرِّ للهواء ثم غلقه ثانية من أجل التَّاء و الدَّال ، و بدلاً  
 من هذا يحتفظ المتكَلِّمُ بالـغلق الأوَّل و يكون غلقاً مطوَّلاً . و بذلك يوفرَّ جهد عمليتين :  
 فتح ' الباء ' و غلق ' التَّاء ' و ' الدَّال ' . (2)

وما اختارهم لتلك الأصوات السهلة التي زادوها في أصول كلامهم ، إلاَّ مسلك  
 من مسالك الحقَّة و الاقتصاد . يقول ابن جنِّي : " فأخفَّ الحروف عندهم و أقلَّها كلفةً  
 عليهم ، الحروف التي زادوها على أصول كلامهم ، و تلك الحروف العشرة المسماة  
 حروف الزيادة هي ( الألف ، والياء ، والواو ، والهمزة ، والميم ، والنون ، والتاء ،  
 والهاء ، والسين ، واللام ) . " (3) وإذا كانت الهمزة من أعصى الأصوات على التَّطق  
 و أشقَّها عليه ، فلماذا استعملوها مع مجموعة الزيادة الأخفَّ والأسهل ؟ فالجواب أن  
 الهمزة وإن كانت كذلك ، فإنها مُعرَّضة للتخفيف حيناً ، والإعلال حيناً ، والقلب حيناً  
 آخر ، وهو ما لا يمكن مع الصَّوامت الأخرى كالحاء و الكاف و غيرها . (4)  
 وهي إذن موزَّعة بين الصَّوامت و الصَّائتين الانتقاليين و الأصوات الصَّائتة على الشكل  
 التالي : (5)

(1) ينظر : علم اللِّغة : مقدمة للقارئ العربي — ص : 127 .

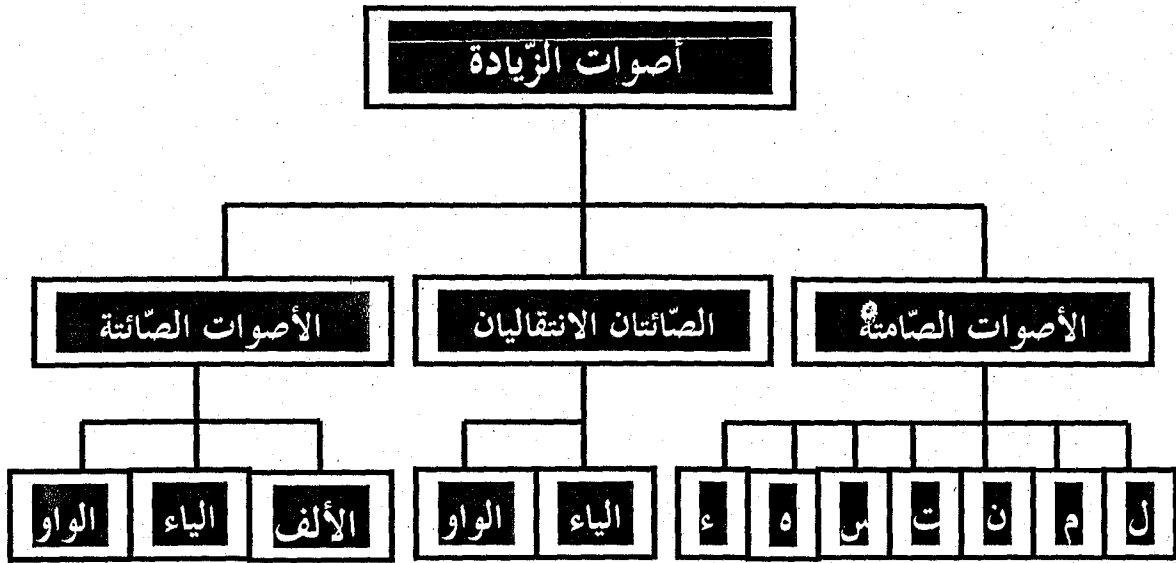
(2) ينظر : دراسة الصَّوْت اللِّغوي — ص : 320 .

(3) سرِّ صناعة الاعراب — ج 2 — ص : 811 .

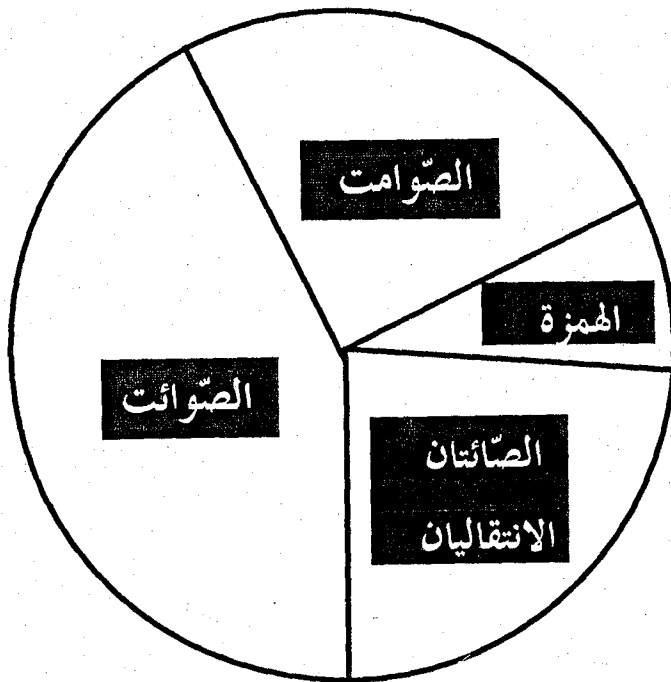
(4) ينظر : سرِّ صناعة الاعراب — ج 2 — ص : 811 - 812 .

(5) ينظر : علم الصَّرْف الصَّوْتي — عبد القادر عبد الجليل — أزمنة للتشر و التوزيع — عمَّان — ط 1 —

1998 — ص : 83 .



ولعلّ الأكثر استعمالاً والأرسخ في الزيادة هي الأصوات الصائتة ( الألف والياء والواو ) لما تتميز به من الانسيابية والتدفق نتيجة اتساع مخارجها ، فليس لها غير الوترين الصوتيين لتعتمد عليهما في تصويتها ، يليها الصائتان الانتقاليان ثمّ الهمزة ثمّ بقية الصوامت . وفي الدائرة المعيارية التالية تبين لقيمة ذلك :



اختلاس الحركة " وتقصير زمن النطق بها حيث تسمع ويدركها أصحاب السمع في زمن أقل مما تتطلبه الحركة العادية. " (1) فقد خفف العرب على ألسنتهم بأن أخفوا الحركات ولم يكتفوا في أماكن كثيرة (2) ، " ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ... ( فتوبوا إلى بارئكم ) (3) مختلفا غير ممكن كسرة الهمزة حتى دعا من نطق عليه تحصيل اللفظ ، إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة. " (2)

ومن مظاهر الاقتصاد كذلك ' إشماء الحركة ' ، و الإشماء هو " الإشارة إلى الحركة من غير تصويت " (4) ، فإذا كان الحرف متحركا ، أشير إلى حركته من خلال الشفتين ، دون إظهار للصوت ، ولهذا خص الإشماء العين لا الأذن ، و منه قول الراجز :

متى أنام لا يؤرقني الكرى \* ليلا ولا أسمع أجراس المضي

باشماف القاف من يؤرقني . (5) وكذلك روم الحركة " و الروم عند القراء هو عبارة عن النطق ببعض الحركة . وقال بعضهم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ... وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي ، وقال الجوهري في صحاحه : روم الحركة الذي ذكره سيويته هو حركة مختلطة مخففة لضرب من التخفيف. " (4)

(1) من أسرار اللغة - إبراهيم أنيس - مكتبة الأجلو مصرية - القاهرة - ط3 - 1965 - ص : 210 .

(2) ينظر : الخصائص - ابن جني - تحقيق : محمد علي التجار - المكتبة العلمية - مصر - د.ط - د.ت - ج1 - ص : 72 .

(3) الآية 53 من البقرة .

(4) التشر في القراءات العشر - ابن الجزري - قدم له : علي محمد الضباع - دار الكتب العلمية - بيروت

- د.ط - 1998 - ج2 - ص : 90 .

(5) ينظر : الخصائص - ج1 - ص : 73 .

ومن وجوه الاقتصاد الوقف ؛ " والوقف هو قَطْعُ النَّطْقِ عند آخر كلمة ، ويقابله الإبتداء الذي هو عمل ، فالوقف استراحة من ذلك العمل . " (1) و لعلَّ أشهر الوقف على الكَلِمِ المتحرّكة وصلّاً هو السّكون ، فكما يُبتدأ بالحركة يوقف على السّكون ، " فهو عبارة عن تفرّغ الحرف من الحركات الثلاث . " (2) و السّكون يؤدّي إلى مقطع مغلق ، على العكس من الحركة التي تؤدّي إلى مقطع مفتوح ، و المقطع المغلق أخفُّ على النّطق و أريح للسمع و أقلّ استهلاكاً للوقت من المقطع المفتوح ، وهو ما يناسب السّرعة في النّطق التي ميّزت البدوي ، الذي كثيراً ما يسكن المتحرّك توفيراً للجهد و اختصاراً للوقت .

أمّا الاسم المفرد المؤنث ' بالتاء ' ، فقد وُقِفَ عليه ' بهاء ' بعد حذفها ، وهي التي سمّاها القدماء ' بهاء السّكت ' أو ' هاء الاستراحة ' . و لعلَّ تخصيصهم لهذا الصّوت الحنجري الاحتكاكي المرقّق دون غيره من أصوات اللّغة ، يعود إلى طبيعة إنتاجه ، إذ يخرج مسترسلاً دون إعاقة في أيّ نقطة من نقاط الجهاز الصّوتي إلاّ ما يُسمع له من بعض الاحتكاك الناتج عن تضيق الحرى التّنفسية عند الحنجرة ، بينما تكاد تكون بقية الأعضاء في حالة استراحة و استرخاء . بالإضافة إلى ذلك فإنّ هذا الصّوت يتضمّن بعض خصائص الصّوات التي انسابت واسترسلت خلال إنتاجها ، لذلك يُعتمد في المواضع التي يتحقّق فيها قانون اختزال الجهد الصّوتي . (3)

---

(1) شذا العرف في فنّ الصّرف — أحمد الحملاوي — شركة مكتبة و مطبعة مصطفى النّان الحلبي و أولاده

عصر — ط 16 — 1965 — ص : 188 .

(2) التّشر في القراءات العشر — ج 2 — ص : 90 .

(3) علم الصّرف الصّوتي — ص : 81 .

اعتماد العربية في مقاطعها \*على الثلاثة الأولى؛ المقطع القصير (ص م) \*\*،  
 والمقطعين المتوسطين (ص م م) و (ص م ص)، فهي الأكثر استعمالاً و تداولاً. أما  
 المقطعان الرابع (ص م م ص) والخامس (ص م ص ص)، فإن العربية لا تستعملهما  
 إلاّ آخراً أو حين الوقف، وتلجأ في كثير من الأحيان وكلمة سنحت الدلالة بذلك إلى  
 تقليصهما أو تفتيتهما إلى مقطعين من المقاطع الثلاثة الأولى تسهيلاً على المتكلم و  
 السامع، كما هي الحال في جزم الفعل المضارع: لم يتم (ص م ص + ص م + ص م ص  
 ص)، و الأصل: لم ينام (ص م ص + ص م + ص م م ص). وكذلك لفظ  
 (بكر) حين الوقف (ص م ص ص) الذي يصبح: بكر (ص م + ص م ص)  
 فراراً من المقطع الطويل (1).

ومن أوجه الاقتصاد أيضاً رفع الفاعل ونصب المفعول للتفريق بينهما، وإثما  
 خصّوا الفاعل بالضمة لقلته، و خصّوا المفعول بالفتحة لكثرتة؛ "و ذلك أن الفعل لا  
 يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرُفِعَ الفاعل لقلته و  
 نُصِبَ المفعول لكثرتة، و ذلك ليقلّ في كلامهم ما يستقلون ويكثر في كلامهم ما  
 يستخفون." (2)

\* هناك اتجاهان في تعريف المقطع، الاتجاه الصوتي الفونتيكي و الاتجاه الوظيفي الفونولوجي، فأما الاتجاه  
 الصوتي فيرى في المقطع كما يوضحه روبنز (Robins) "مجموعة من الأصوات المتتابعة، لها قمة أو حدّ  
 أقصى في الوضوح السعي، وهذه القمة تقع بين حدّين أقلّ منها في الوضوح السعي." (علم اللغة بين  
 التراث و المعاصرة - ص: 127-128). وأما الاتجاه الوظيفي فيرى أنه "وحدة ذات صفات و خصائص  
 متميزة فسي كلّ لغة." (هندسة المقاطع الصوتية - عبد القادر عبد الجليل - دار صفاء للنشر و التوزيع -  
 عمان - ط1 - 1998 - ص: 48).

\*\* ص: صامت، م: مصوت.

(1) ينظر: الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - ص: 165.

(2) الخصائص - ج2 - ص: 49.

ميل أكثر العرب إلى كسر أوّل المعتلّ المبني للمجهول في ( قِيلَ وَ بَاعَ ) ولم يضمّوه كما هي الحال في الصحيح الذي ضمّوا أوّله و كسروا ثانيه ، لأنّهم استقلّوا الكسرة على الواو في ( قول ) فنقلوها إلى القاف و قلبوا الواو ياءً بجانباً للكسرة قبلها ، كما قلبوها في ميعاد و ميقات و ميزان ، وأصلها موعاد و موقات و موزان .<sup>(1)</sup> و كذلك فتحهم لهمزة ' لام التعريف ' ، من حيث أنّ الهمزة صوت ثقيل يلزمه حركة أخفّ هي الفتحة.<sup>(2)</sup> وفتحهم لحرف المضارعة مع الثلاثي وضمّهم له مع الرباعي " لأنّ الثلاثي أكثر من الرباعي ، والفتحة أخفّ من الضمة ، فأعطوا الأكثر الأخفّ ، والأقلّ الأثقل ."<sup>(3)</sup>

تخصيصهم للتثنية بالألف و الجمع بالواو ، من حيث أنّ التثنية أكثر من الجمع ، لأنّها تخصّ العاقل وغير العاقل ، بخلاف الجمع السالم ، الذي هو موضوع في الأصل لأولي العلم خاصّة ، فلما كانت التثنية أكثر من الجمع ، جعلوا الأخفّ وهو ' الألف ' للأكثر ، و الأثقل وهو ' الواو ' للأقلّ ، تخفيفاً على اللسان والسمع .<sup>(4)</sup>

ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي تلك الأوزان و الصيغ و القوالب الفكرية المحددة التي تمثّل الشكّل الذي على أساسه تبني اللغة ، فهي الجلباب الذي ترتديه المادّة اللغوية و لا تتخلّى عنه بأيّ حال من الأحوال ، و هي التي بإمكانها أن " تحدّ من تنوعات اللّغة و جموحها ، و تجمع شملها تحت مجموعات يمكن ضبطها ، بدلا من تركها فوضى ... كلّ كلمة أمة وحدها و كيانه قائم بنفسه ."<sup>(5)</sup> فمن خلال شكّل المادّة اللغوية

(1) ينظر : أسرار العربية — ابن الأنباري — تحقيق : محمد مهجة البيطار — المجمع العلمي العربي — دمشق —

د.ط — د.ت — ص : 92 .

(2) ينظر : نفسه — ص : 401 .

(3) نفسه — ص : 404 .

(4) ينظر : نفسه — ص : 49 .

(5) لغويات — عبده عبد العزيز قليقلّة — دار الفكر العربي — القاهرة — د.ط — د.ت — ص : 45 .

وينظر : دراسات في فقه اللّغة — ص : 337



وصيغتها فقط تتمكن من معرفة معانيها الكلية كالفاعلية و المفعولية و غيرها .

أما القياس فإنه يعتمد " إلى حد ما على الاقتصاد في الجهود الذي يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد . " (1) فالصيغ النادرة القليلة الاستعمال لا تحتفظ بها الذاكرة ، فهي معرضة للتسيان والتترك وتحل مكانها صيغ جديدة توافق القاعدة المطردة . (1) ويسري القياس على الظاهرة الواحدة التي تتشعب على جملة من الاحتمالات ، فيوحدها و يوجهها نحو أيسرها و أكثرها تردداً ، بأن يقيس بعضها على بعض ، والمثال الذي يجلي مذهبنا هو تلك المقارنة التي أجريت على اللغات السامية (2) ، و تبين من خلالها أن أصل ضمير التكلم هو ( الكاف ) ، و أصل ضمير الخطاب هو ( التاء ) ، لأن جنس المتكلم يختلف عن جنس المحاطب ، فكان من الواجب أن يوضع لكل جنس ضمير يختلف عن ضمير الجنس الآخر ، بمعنى أن يقال على سبيل التمثيل : كتبك ، كتبت ، كتبت ، إلا أن عامل القياس أدى إلى تسوية هذا الاختلاف ، موحداً الباب ليترد على وتيرة واحدة ، فسادت ' التاء ' وحدها في العربية والآرامية و العبرية ، فقبل فيها مثلاً : كتبك — كتبت — كتبت ، بينما سار القياس في اتجاه آخر في الحبشية عندما عمم استعمال ' الكاف ' بين التكلم و الخطاب ، فقبل فيها مثلاً : كتبكو — كتبك — كتبكي . (3) كما أن " الأصل في ( لام ) الجر هو الفتح ، والأصل في ( باء ) الجر هو الكسر ، بدليل و جود هذا الأصل في اللغات السامية الأخرى ، و بدليل الاحتفاظ به في العربية عند الاتصال بالضمائر في مثل : ( له ) و ( به ) ، أما كسر اللام في مثل ( للرجل ) و ( للناس ) في العربية ، فإن سببه هو القياس على ( باء ) الجر . " (2)

(1) اللغة — ص : 206-207 .

(2) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره و علله و قوانينه — ص : 69 .

(3) ينظر : نفسه : ص : 68 - 69 .

ومنه ما يسمّى عندهم 'بالجوار' وهو تحريك آخر اللفظ بنفس حركة سابقه تخفيفاً ، و أشهر مثال استدلّوا به عليه قولهم : " هذا جحرٌ ضبٌّ خربٌ " ، و الأصل أن يقال : هذا جحرٌ ضبٌّ خربٌ ، لأن ( خربٌ ) صفة للجحر و ليس للضبّ .

ومثله قول الشاعر : \* كأن نسيجَ العنكبوتِ المرملِ \*<sup>(1)</sup>

و الصّحيح أن يقال ( المرمل ) لأنه صفة لـ ( نسيج ) .<sup>(1)</sup>

ومن مظاهر الاقتصاد اللّساني التي تجنح إليها اللّغة العربية إثارةً للتخفيف واتّجهاً نحو التسهيل و التيسير على التّطق و السّمع ، ما يسمّى بالإضمار أو الحذف . يقول فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنك ترى به ترك الذّكر ، أفصح من الذّكر ، والصّمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق إذا لم تنطق ، وأتمّ ما يكون بياناً إذا لم تُبين . " <sup>(2)</sup>

ومنه إضمار الفعل في نحو قول الشاعر :

ديارَ ميةٍ إذْ ميُّ تُساعفنا \* ولا يرى مثلها عجم ولا عرب .

فقد أنشده صاحبه بنصب ( ديار ) على إضمار فعل قبلها ، كأنه أراد أن يقول : أذكرُ

ديارَ ميةٍ . <sup>(3)</sup> وفي مثل قوله تعالى : ( فَقلنا اخربوه ببغضنا كذلك يُفیی الله

الموتی ) <sup>(4)</sup> وتقدير الكلام : فَضربوه فَحیی كذلك یحیی الله الموتی . <sup>(5)</sup>

(1) ينظر : الخصائص — ج 3 — ص : 220 . وينظر : فقه اللّغة وسرّ العربية — الثعالبي — تحقيق : أمّلين

نسيب — دار الجليل — بيروت — ط 1 — 1998 — ص : 388 .

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني — عبد القاهر الجرجاني — علق عليه السيد : محمد رشيد رضا —

دار المعرفة — بيروت — ط 1 — 1994 — ص : 106 .

(3) ينظر : نفسه — 107 .

(4) الآية 72 من البقرة .

(5) ينظر : فقه اللّغة وسرّ العربية — ص : 411 .

وحذف الفاعل كونه معلوماً لدى المخاطب فلا يحتاج المتكلم إلى ذكره تخفيفاً على طرفي العملية التواصلية ، كما هي الحال في الآية : ( **وَوَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفاً** )<sup>(1)</sup> ، فالفاعل فيها محذوف ، والتقدير خلق الله الإنسان ضعيفاً .<sup>(2)</sup> وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فيعرب إعرابه في مثل قوله تعالى : ( **وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا** )<sup>(3)</sup> ، والأصل : و أسأل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجرّ ، وإثما نُصِبَتْ لإضمار المضاف (أهل) .<sup>(4)</sup> ومنه إضمار ما عُلِمَ من المبتدأ و الخبر كما في قوله تعالى : ( **وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** )<sup>(5)</sup> بإضمار المبتدأ ، أي : هو أساطير الأولين ، وقوله جلّ شأنه ( **أَكَلَهَا دَائِماً وَظَلَمَهَا** )<sup>(6)</sup> بإضمار الخبر ، أي : أكلها دائماً وظلّمها دائماً .<sup>(7)</sup> ويشيع في العربية إضمار الحروف كما في قوله تعالى : ( **سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** )<sup>(8)</sup> . بمعنى : سنعيدها إلى سيرتها الأولى .<sup>(9)</sup> وفي

(1) الآية 28 من النساء .

(2) علم المعاني — ينظر : عبد العزيز عتيق — دار النهضة العربية — بيروت — د.ط — 1985 — ص :

138 .

(3) الآية 82 من يوسف .

(4) ينظر : تأويل مشكل القرآن — عبد الله أبو محمد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ — دار الكتب العلمية — بيروت —

ط3 — 1981 — ص : 210 . وينظر : أسرار البلاغة في علم المعاني — علّق على حواشيتها السيّد : محمد

رشيد رضا — دار المعرفة — بيروت — ط2 — د.ت — ص : 362 .

(5) الآية 5 من الفرقان .

(6) الآية 36 من الرعد .

(7) ينظر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع — جلال الدين السيوطي — مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة

— ط1 — 1327 هـ — ص : 103 .

(8) الآية 20 من طه .

(9) ينظر : فقه اللغة وسرّ العربية — ص : 411 .

قوله أيضاً : ( ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً )<sup>(1)</sup> ، أي : أن يريكم البرق خوفاً وطمعاً .<sup>(2)</sup>

تأليفهم أغلب كلامهم من الأصوات المتباعدة مخرجا ، ذلك أن الجمع بين الأصوات المتقاربة المخارج أثقل على اللسان وأعصى على السمع ، " فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تُستلذّ النفس بسماعه ، ومنها ما تكره سماعه . " <sup>(3)</sup>

ولعلّ السبب في عدم الجمع في تأليف واحد بين حروف الحلق يعود إلى شدة تقارب مخارجها ، يقول الخليل : " ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين ، لقرب مخرجها من العين " <sup>(4)</sup> ، فلذلك لم تأتلفا في كلمة واحدة إلا مفصلاً بينها ، وكذلك الهاء . ويرى ابن جني أن الأصوات كلّما كانت متباعدة المخارج في التأليف كانت أحسن ، و كلّما كانت مخارجها متقاربة متدانية ، كان تأليفها أقبحا . وهو ما يظهر بشكل أوضح في أصوات الحلق ، لذلك وردت قليلة بحيث يكثر غيرها .<sup>(5)</sup>

كما أن مذهبهم في الفرار من الألفاظ الطويلة ، ينحو النحو نفسه ، فقد أقاموا لغتهم على الأصل الثلاثي لخفته ، فكان أغلب كلامهم منه ، يقول سيبويه : " وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء و الأفعال وغيرها ... و ذلك لأنه كأنه هو الأوّل ، فمن ثمّ تمكّن في الكلام ، ثمّ ما كان على أربعة أحرف

(1) الآية 23 من الرّوم .

(2) ينظر : فقه اللغة و سرّ العربية — ص : 410 .

(3) المزهر — ج 1 — ص : 187 .

(4) العين — الخليل بن أحمد — تحقيق مهدي محزومي و ابراهيم السمرائي — دار الرّشيد للنشر — العراق — د.ط — 1980 — ج 1 — ص : 75 . و ينظر : التّحديد في الإتيان و التّجويد — الدّكتور الأنطلسي — دراسة و تحقيق : غانم قدّوري حمّد — طبع و نشر و توزيع مكتبة دار الأنبار — العراق — د.ط — 1988 — ص : 83 .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 65 .

بعده ، ثم بنات الخمسة وهو أقل ، لا تكون في الفعل البتة ، ولا يكسر بتمامه للجمع ، لأنه الغاية في الكثرة ، فاستقل ذلك فيها ، فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة . " (1)

ويؤكد الإمام الباقلاني مذهب سيويه عندما أشار إلى أفضلية العربية على غيرها بسبب اعتدالها في الوضع ، يقول : " لذلك وُضع أصلها على أن أكثرها هو بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامة لسانهم على الأعدل ، ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي ، لأنهم بدأوا بحرف وسكتوا على آخر ، وجعلوا حرفا وصلة بين الحرفين ، ليتمّ الابتداء و الانتهاء على ذلك . " (2)

وقد تبين من خلال الدراسة الإحصائية التي أقيمت على معجم الجيم ، أن مجموع جذوره وصلت إلى ( 3599 ) جذراً ، كان عدد الجذور الثلاثية منها ( 2913 ) ، بنسبة تصل إلى ( 80,93 % ) ، وبلغت الرباعية ( 647 ) جذراً ، بنسبة ( 17,97 % ) ، واكتفت الخماسية بـ ( 39 ) جذراً فقط ، ما يعادل نسبة ( 1,08 % ) . (3) وتقترب هذه الأعداد وهذه النسب من أعداد ونسب الإحصاء الذي أجري على معجم الصحاح الذي وصل مجموع جذوره إلى ( 5639 ) جذراً ، بلغت حصة الجذور الثلاثية منه ما عدده ( 4814 ) جذراً ، بنسبة مئوية تساوي ( 85,370 % ) من مجموع الجذور ، وبلغت الرباعية ( 766 ) جذراً ، بنسبة ( 13,584 % ) ، فيما بلغت الخماسية ( 38 ) ، بنسبة ( 0,674 % ) . (4) وفي الجدول التالي توضيح لذلك :

(1) الكتاب — سيويه — تحقيق و شرح : عبد السلام هارون — مكتبة الخانجي — القاهرة — ط2 — 1982 — ج4 — ص : 229 - 230 .

(2) إعجاز القرآن — الباقلاني — تحقيق : أحمد صقر — دار المعارف — القاهرة — ط5 — د.ت — ص : 118 .

(3) ينظر : علم الصرف الصوتي — ص : 197 .

(4) ينظر : دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر — ص : 53 .

النسبة المئوية إلى مجموع الجذور	عدادها	الجذور
% 85,37	4814	الثلاثية
% 13,584	766	الرّباعية
% 0,674	38	الخماسية
% 0,372	21	الثنائية
% 100	5639	المجموع

وما مذهبهم في بعض الجمع الذي يكون أقلّ من مفرده ، إلاّ سلوكا يراد به الاقتصاد ، وهو ما جاء على صيغة (فَعَلَّ) ك : طَلَّحِ والواحدة طلحة ، وَتَمَرٍ و الواحدة تمرّة ، وَنَخْلٍ وَنَخْلَةٍ ، وَصَخْرٍ وَصَخْرَةٍ ، وَمَرُورٍ وَمَرُورَةٍ ، وَسَرُورٍ وَسَرُورَةٍ ، وَحَبٍّ وَالواحدة حبة ، وَلَوْزٍ وَلَوْزَةٍ ، وَجَوْزٍ وَجَوْزَةٍ ، وَبَيْضٍ وَبَيْضَةٍ ... الخ . (1)

وكذلك حذفهم آخر ما كان خماسيا في الجمع نحو : سَفَرَجِلٍ وَسَفَارِجٍ لَطولِهِ ، كما حذفوه في التّصغير في نحو : سَفَرَجِلٍ وَسُفَيْرِجٍ ، ولو جيء به على الأصل لكان مستقلاً . (2)

وأما تعريب الأجنبي فما هو إلاّ سلوك من اللّغة نحو الحفّة و السّهولة ، فالعربية تستعمل الألفاظ الأجنبية وفق نظام تجاور الأصوات و الأوزان العربية ، و إذا صادف أن كانت الكلمة المعرّبة طويلة زائدة على سبعة أحرف نُقِصَ منها بما لا

(1) ينظر : أسرار العربية — ص : 359 و 363 .

(2) نفسه — ص : 140 .

يذهب بشخصيتها. (1) يقول هنري فلاش : " هناك كلمات أعجمية تم تعديلها على الصيغ المختلفة ... فمثلا الكلمة القرآنية ( صراط : sirāt ) ( طريق ) ، تلك التي تبدو بزنة الصيغة ( فعال ) ليست سوى الصورة النهائية للكلمة اللاتينية ( Strata ) ، و كلمة ( قميص ) بزنة ( فعيل ) ... تأتي من الكلمة الإغريقية ( Kamision ) . " (2)

ويتجلى الاقتصاد اللساني بشكل أوضح وأوفر في المستوى المورفولوجي .

والمورفولوجيا مصطلح لساني حديث ، يجمع بين مستويين ؛ المستوى الفونولوجي والمستوى المورفولوجي . فهو عبارة عن كلمة منحوتة منها .

والمورفولوجيا أو علم الأصوات التشكيلي ؛ علم حديث النشأة ، ولد مع ( Baudouin de courtenay ) وآخرون منذ سنة 1880 ، ونما وترعرع مع ( Troubetzkoy ) ما بين 1926 و 1938 ، فهو الذي حدّد إطاره العلمي النهائي كقاعدة للسانيات البنيوية . (3) و كان ظهوره على مسرح الحياة اللسانية يوم أن أطلعنا به ' حلقة براغ ' اللغوية ، خلال المؤتمر الدولي الأول للعلوم اللسانية بلاهاي سنة 1928 ، حيث قدّم أفرادها ( تروبتسكوي ، جاكسون ، و كارشفسكي ) منهجاً جديداً و رؤيةً محدثةً للأصوات في تشكيلها وتجاور بعضها مع بعض . (4) فإذا كان علم الأصوات التطبيقية يهتم برصد وتسجيل كلّ تحركات الآلة التطبيقية الإنسانية أثناء

(1) ينظر : هذيب المقدمة اللغوية للعلايلي - أسعد علي - دار التعمان - لبنان - ط1 - 1968 - ص : 183-184 .

(2) العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد - هنري فلاش - تعريب و تحقيق : عبد الصبور شاهين - دار المشرق - بيروت - ط2 - 1983 - ص : 78 .

(3) ينظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة - ص : 121 .

(4) ينظر : Clefs pour la linguistique / G.Mounin / édition

Séghers / Paris / 1968 / p : 109 .

إخراجها للأصوات ، بمعنى أنه يختص بدراسة الأصوات دراسةً نطقيةً فيزيولوجيةً تتوقف عند تحديد سمات كل صوت منفرداً ، من حيث مخرجه وطريقة نطقه ، واهتزاز الوترين الصوتيين معه أو عدمه وغيرها ، وهي دراسة من الأهمية بحيث لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للمقبل على دراسة المستويات الأخرى للغة ، فإذا لم يكن الدارس على دراية بخصائص الأصوات منفردةً فكيف له أن يعرف أحوالها في تشكيلها جنباً إلى جنب مع بعضها في مبانها وصيغها الصرفية ، فإن علم الأصوات التشكيلي أو ما يسمى بالفونولوجيا ، يركّز على الجانب الوظيفي للأصوات \* في لغة معينة و يحاول الكشف عن النظام الذي تتوزع بموجبه الأصوات اللغوية وتتداخل وتتألف لتكون سلسلة كلامية ملفوظة أو مكتوبة ذات معنى يفهمه المتكلم والمستمع .

فالأصوات اللغوية في سياقها يختلف عنه عندما يكون منفرداً، فبالإضافة إلى الاختلاف في كمية الطاقة اللازمة لإنتاجه داخل النظام ، قد يفقد بعض خصائصه أو يكتسب غيرها نتيجة تأثره أو تأثيره فيما يجاوره من أصوات. فإذا أخذنا على سبيل التمثيل صوت التون ' في العربية ، فإننا قد نميز سبع صورٍ نطقية له ، تختلف إحداها عن الأخرى تبعاً للأصوات المجاور. فالمعروف عن التون في صورته الأنفرادية أنه صوت لثوي، فإذا تلاه صوت الباء ' فإنه يتقدّم بمخرجه إلى الأمام ، فيصبح شفهاً ، ويكون شفهاً أسانياً إذا تلاه صوت الفاء وهكذا . (1) والأصوات في النظام الفونولوجي وفي المتتالية الكلامية يجب أن يحمل سمةً خاصةً وقيمةً خلافيةً تميزه عن بقية الأصوات، وتكسبه وظيفة داخل هذا النظام . فهو بهذا

\* دراسة الأصوات في ضوء الوظائف التي تؤديها داخل اللغة . ( Six leçons sur le son le et )

( . ) / R.Jakobson / Les éditions de Minuit / Paris / 1976 / p : 60

وينظر : Joelle / phonologie, morphologie, lexicologie / La grammaire : 1

Gardes- Tamine / Armand colin / Paris / 2<sup>ème</sup> édition / 1990 / p : 13 .

(1) ينظر : علم اللغة العام — توفيق محمد شاهين — مكتبة وهبة — القاهرة — ط1 — 1980 — ص : 34 .



المعنى يترجم مفهوم ذلك المصطلح الحديث في الدراسة الوظيفية للأصوات الذي هو الفونيم . يعرفه تروبتسكوي بأنه " أصغر وحدة فونيمية\* في اللسان المدروس . " (1) ويقول عنه بلومفيلد بأنه " أصغر وحدة مميّزة . " (1)

فالتعريفان يقفان حول حقيقة الفونيم من حيث أنه أصغر وحدة صوتية بإمكانها أن تفرّق بين المعاني . فهو " وسيلة لتحليل الكلمة إلى أصغر وحداتها الصوتية ، وهو يعمل كسمة وعلامة ... تفصل في قضايا التقارب ، وتميز كل عنصر صوتي عن غيره ... وقد يتشابه فونيمان في بعض وجوههما ويتوافقان في بعض خطوطهما ، ولكن كلاً منهما يحمل في نهاية المطاف ميزة خاصة يتحرّى عنها عالم الفونولوجيا ويعثر عليها معتمدا الخاصيات الفونولوجية الملائمة ( traits pertinents ) ، وتلك الخاصيات هي رموز صوتية مادية يتلاعب بها التنظيم في أداء المعاني والدلالات . " (2)

وقد يقع التفريق بين معنى هذه الكلمة أو تلك بغير الوسيلة السابقة ، فقد تشترك الكلمتان في نفس الفونيمات المكوّنة لهما ، ولكن طريقة نطقهما تختلف ، فتنطق إحداهما بارتكاز ونبر مخالف لنطق الأخرى ويكون بالتالي لكلّ منهما معناها . (3) وهو ما تعالجه الفونولوجيا تحت اسم ' الفونيمات ما فوق التركيبية ' .

ومنه فتلك الصّور النطقية المختلفة التي ذكرناها عن ' التّون ' الناتجة عن المواقع التي تحتلها في سياقاتها المختلفة ، لا تستطيع أن تغيّر معاني الكلمات ، فلا تعارض بينها ولا تمايز ، وبالتالي لا تدخل في نطاق ' الفونيم ' وإنما هي ألوان وتنوعات وأشكال

\* أي مميّزة بين المعاني .

(1) علم اللّغة العام — ص : 119 .

(2) الألسنية العربية 1 — رمون طحّان — دار الكتاب اللّبناني — بيروت — ط2 — 1981 — ص : 63 .

(3) ينظر : علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي — ص : 163 .

وأنماط له فقط ، وهي ما يطلق عليها اسم ' الألفونات ' . فـصوت ' التّون ' إذن هو فونيم واحد لمجموعة مختلفة من الألفونات . وعليه فكل لغة من لغات العالم تمتلك عددا محدودا من ' الفونيمات ' قد يزيد أو ينقص ، و تمتلك في المقابل عددا لا حصر له من ' الألفونات ' .<sup>(1)</sup>

ومن خلال ما سبق ، نخلص إلى تحديد وظيفة الفونيم التي هي وظيفة دلالية مزدوجة ، تُعين على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه من جهة ، وتميز بينها وبين غيرها من الكلمات من جهة أخرى .

وأما المورفولوجيا أو علم الصّرف ؛ فإن اللّغة الإنسانية ماهي في الواقع إلا مجموعة محدّدة من الفونيمات ذات طبيعة ائتلافية تحدّد قواعدها مجموعة من العلاقات ، يفرضها نظام عام متعارف عليه من طرف المجموعة الكلامية ، فتشكّل عن هذه العلاقات مجموعة ' الكلمات ' . والكلمة في تعريفها البسيط وكما ينظر إليها بعض اللّغويين هي " وحدة لغوية ذات معنى مفرد"<sup>(2)</sup> ، وهي المجال الأرحب للدراسة الصّرفية . فالصّرف العربي بهذه الكيفية كان نتيجة ذلك التّسيج الصّوتي المتجانس للفونيمات التركيبيّة العربية . والصّرف في اللّغة معناه : التّغيير ، ومنه تصريف الرّياح ؛ إذا تم : تغييرها .<sup>(3)</sup>

وفي الاصطلاح : هو العلم الذي يختص بدراسة أبنية الوحدة اللّغوية لغاية معنوية ، وهو ما يخصّ أحوال الإشتقاق وأنواعه كالإسمية والفعلية والصّفة والتّصغير والتّنسب وغيرها ، والعلاقات العضوية كالتّجرد و الزيادة والتذكير والتّأنيث والتّعريف والتّكثير والتّكلم والخطاب والغيبية والإفراد والتّثنية والجمع وما إليها ، والقرائن اللفظية كالضّمائر و

(1) ينظر : علم اللّغة بين التراث و المعاصرة — ص : 126 .

(2) نفسه — ص : 149 .

(3) ينظر : المدخل إلى علم الصّرف والتّحو — عبد العزيز عتيق — دار التّهضة العربية — بيروت — ط 2

— 1974 — ص : 7 .

الظروف والأدوات ونحو ذلك. (1) والوحدة التي يعالجها علم الصّرف هي المورفيم ،  
أو 'العنصر التحوي' كما يصطلح عليها البعض .  
وقد تعدّدت التعريفات بمهية المورفيم و اختلفت باختلاف المدارس اللغوية ،  
غير أنها تشترك في النظر إليه على أساس أنه أصغر وحدة لغوية لها مميزات صوتية ودلالية  
ثابتة ، لا يمكن تفكيكها إلى وحدات أصغر منها . (2) وأحسن تعريف للمورفيم : " أنه  
أصغر وحدة ذات معنى في اللّغة المدروسة . " (3) فليس بالضرورة أن يكون المورفيم عبارة  
عن كلمة، فقد تتكوّن الكلمة الواحدة من أكثر من مورفيم ؛ فكلمة ( يَكْتُبُونَ ) على  
سبيل التمثيل تتكوّن من أربعة مورفيمات هي : ( يـ / كتب / و / ان ) ف : 'ياء'  
المضارعة تفيد الزّمن الحاضر أو المستقبل ، و 'كب' تدلّ على الحدث الذي هو  
الكتابة ، و 'الواو' تدل على الفاعل الجمع ، و 'التون' هي مورفيم الرّفْع .

**والمورفونولوجيا \* أو المستوى الصّرفي الصّوتي أو الفونولوجيا الصّرفية**  
وغيرها ؛ هي مسيّات مختلفة لمجال واحد من مجالات الدّرس اللّساني ، الذي يمثل  
موضع التّماس ومكان الالتقاء بين علمي الأصوات و الصّرف . وهما درسان متلازمان  
لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر ، من حيث أنّ الوحدة الصّرفية ما هي في حقيقتها إلاّ  
تشكّلات صوتية ، وتنوعها ما هو إلاّ ضرب من التّبديل في موقعية تلك الأصوات .  
إنّ هذين العلمين ( الصّوت و الصّرف ) اجتماعا تحت مظّلة واحدة مرتكزها  
معالجة الظواهر الصّوتية للوحدات الصّرفية المشتركة بينهما ، كمسائل الإعلال و الإبدال

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 40 .

(2) علم اللّغة بين التّراث و المعاصرة — ص : 167 .

(3) مدخل إلى علم اللّغة — محمد عبد العزيز — دار الفكر العربي — القاهرة — 2000 — ص : 203 .

\* مصطلح تداولته حلقة براغ ، و يعني عندها معالجة الظواهر الصّوتية للوحدات الصّرفية . ينظر :  
Dictionnaire de Linguistique / Jean Dubois / Librairie  
Larousse / Paris / 1973 / p : 326 .

والقلب و الحذف والإدغام و الهمز وتخفيفه ، بالإضافة إلى مسائل أخرى كالإمالة والإشمام وغيرها من الظواهر التي هي محلّ اهتمام الصّوت والصّرف .  
وقد تنبّه قدامى اللّغويين والنّحاة إلى تلاصق المستويين وأدركوا أهمّية المعطيات الصّوتية ودورها في خدمة المستوى الصّرفي ، وتأكدّ عندهم استحالة معالجة المسائل الصّرفية و تحليلها وفهمها بمعزل عن الدّراسة الصّوتية التي تعدّ بمثابة الأدوات الإجرائية التي يعتمد عليها في تفسير ما استغلّق من مباحث الدّرس الصّرفي <sup>(1)</sup> بعد " وقوفهم على جملة من الظواهر اللّغوية التي تصيب الأصوات في حركتها التلقائية داخل بنية الكلمة ... وإدراكهم أنّ الولوج إلى رحاب هذه الظواهر ومعالجتها المعالجة المطلوبة التي تردّ للبنية استقامتها ، وتعيد لأصواتها توافقها وانسيابها ، لا يتمّ إلاّ باستثمار معطيات الدّراسة الصّوتية . " <sup>(1)</sup> إذن الدّرس الصّرفي العربي يبرز إلى الوجود من خلال نسيج الرّؤية الصّوتية للفونيمات التركيبيّة العربيّة في طبيعتها التكوينية، أثناء معالجته للأبنية الصّرفية . <sup>(2)</sup>

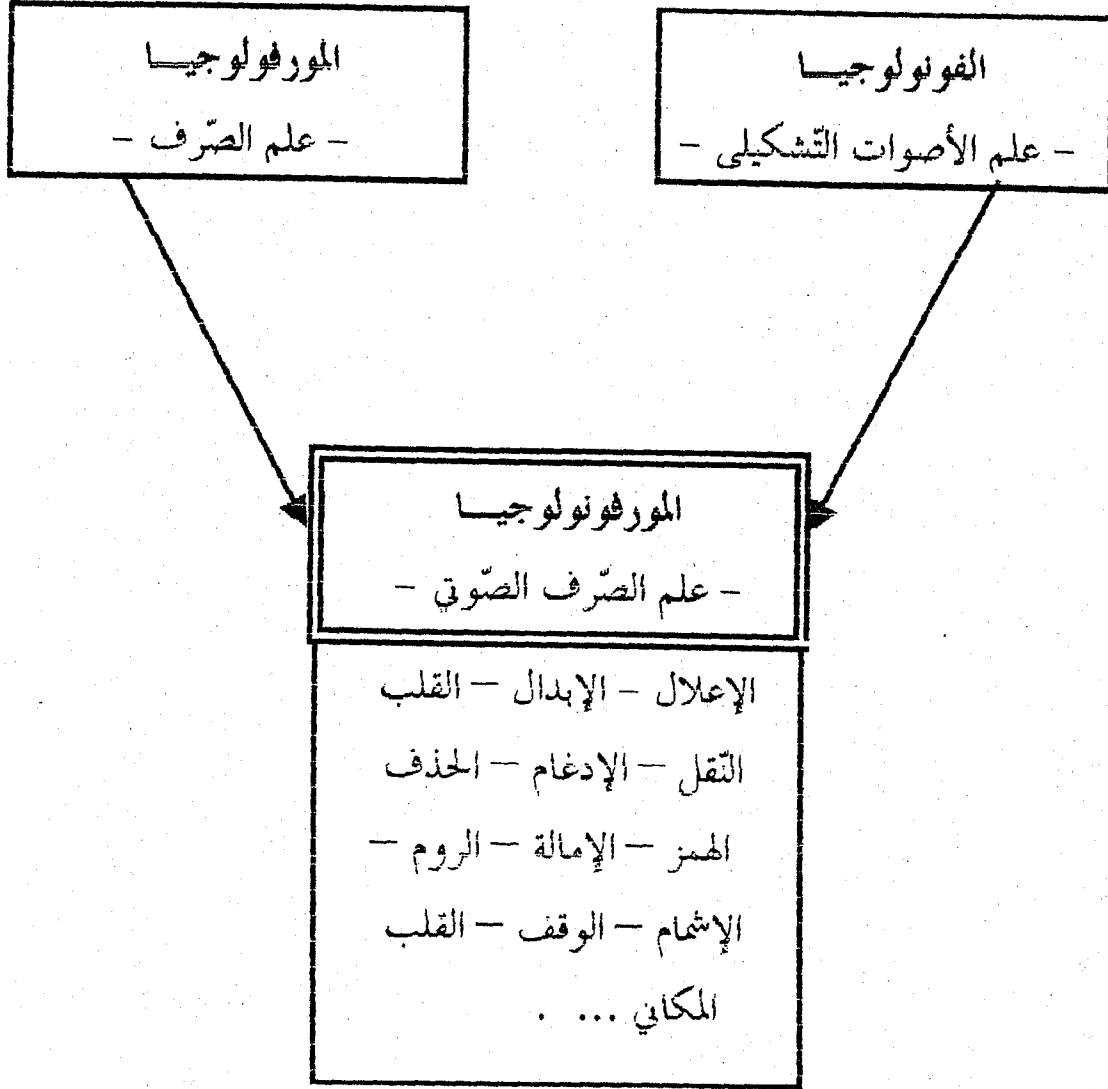
فالورفونولوجيا بالشكل الذي أشرنا إليه ، تختصّ إذاً " بالنّظر في التّركيب الصّوتي للوحدات الصّرفية ، فهي تحلّل وتصف ما يعرض لهذه المورفيمات من صور صوتية بحسب السّياق الذي تقع فيه . " <sup>(3)</sup> وفي الرّسم التّالي بيان للمسائل المورفونولوجية المشتركة بين علمي الأصوات والصّرف :

---

(1) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري — بورويبة المهدي — رسالة دكتوراه قدّمت إلى قسم اللّغة العربيّة وآدابها — جامعة تلسان — 2002 — ص : 160 .

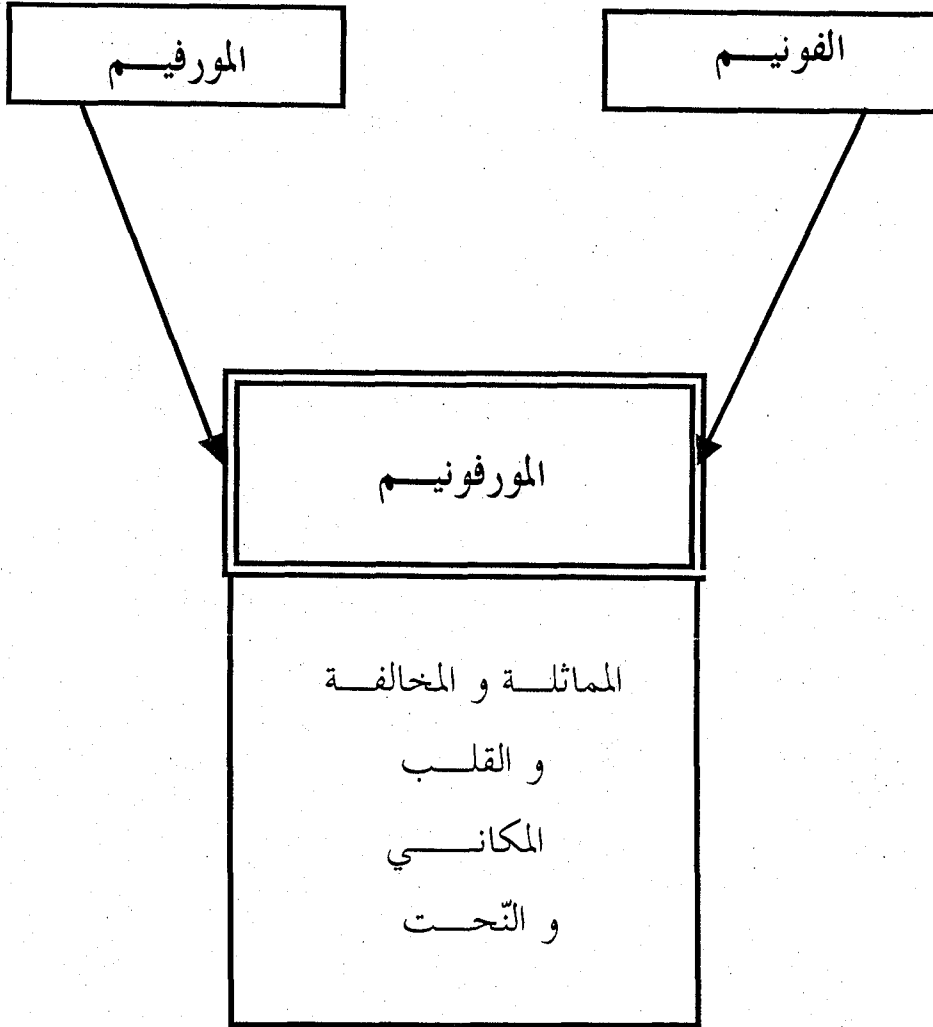
(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 32 .

(3) دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 48 - 49 .



وكما استعمل اللسانيون مصطلح الفونيم في المجال الفونولوجي ، ومصطلح المورفيم في المجال المورفولوجي ؛ استعمل المورفونولوجيون مصطلح المورفونيم كوحدة للتحليل في المستوى المورفونولوجي ، علامة على التداخل بين العلمين ( الصرف والأصوات ) واشتركتهما في معالجة المسائل المورفونولوجية التي تندرج ضمنهما ،

كظاهرة المماثلة والمخالفة والقلب المكاني والنحت وغيرها. (1)  
وفي الرسم البياني التالي بيان لذلك :



ويمثل ماريو باي للمورفونيم بلاحقة الجمع في اللغة الإنجليزية ( s ) بعد الصّامت المهموس ، و ( z ) بعد الصّامت الجهور أو علة . يقول : " وتحت ظروف كهذه يوصف التّغيير بأنّه مورفونيمي ، بمعنى أنّه يتضمّن عاملا صرفيا مشروطا بعامل صوتي تشكيلي ... كما يحدث في كلمة ( knife ) التي تجمع على ( knives ) ...

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 30 .

بتغيير الساكن المهموس الأخير إلى مقابله المجهور .<sup>(1)</sup>

بينما يمثلون له في اللغة العربية بـ : ' تاء ' الإفتعال<sup>(2)</sup> التي تتأثر ' بفائه ' من خلال المجاورة الصوتية ، كما هي الحال في ( اصْتَحَبَ و اصْطَحَبَ ) .  
فالمستوى المورفونولوجي يعكس بشكل لا يدع مجالاً للشك ، قابلية اللغة لتصليح  
هياكلها ، وإحكام صنعها واتجاهها نحو الإيجاز والاقتصاد ، تسهلاً وتيسيراً على طرفي  
العملية التواصلية .

والاقتصاد اللساني في مستواه المورفونولوجي يجد له مرتعا خصبا في ثنايا  
العملية التواصلية ، فهي تستقبله وفي أحضانها يبرز ويتمظهر . فكلما أترنت الرسالة بين  
المرسل و المتلقي وعمّها الانسجام و التآلف بين أصواتها كلما شدت الانتباه  
وأبقت على رابطة الاتصال بين طرفي العملية التواصلية ، محققة هدفها ومقصدها .  
فالإنسان بطبعه ميال إلى حبّ الراحة وبذل أدنى الجهد ، فأثناء تواصله مع غيره ، سواء  
أكان مرسلًا أم مستقبلاً ، فإنه ينفر من كل ما من شأنه أن يجهده ويثقل عليه و ينغص  
هدوءه وراحته .

---

(1) أسس علم اللغة — ماريو باي — ترجمة و تعليق : أحمد مختار عمر — عالم الكتب — القاهرة — ط3

— 1987 — ص : 106 .

(2) ينظر : علم الصرف الصوتي — ص : 30 .

# الفصل الأول

## الاقتصاد المورفونولوجي في الظواهر التماثلية :

◀ توطئة .

◀ المماثلة .

◀ القلب المكاني .

◀ النمط .



## توطئة

اللغة المنطوقة في حقيقتها أصوات . (1) والصوت اللغوي قبل كل شيء هو ظاهرة فيزيائية ، تصدر عادة عن حركة الهواء في جسم الإنسان . فهو ذلك الأثر السمعي الذي يحدثه الجهاز الصوتي عند الإنسان ، والذي يظهر في صورة ذبذبات مُعدّلة موائمة لتحركات الآلة النطقية . والذي يتطلّب وضع أعضاء النطق في أوضاع معيّنة و تحريكها بطرق محدّدة حتّى يتحقّق ويظهر إلى الوجود . (2) معنى ذلك أنّ أصوات اللغة الإنسانية لا تصدر إلاّ قصدا عن التّحركات المختلفة لأعضاء الجهاز النطقي ، واللغة في ذلك لا تستغلّ إلاّ عددا محدودا من الإمكانيات النطقية المتاحة التي قد يوفّرها هذا الممرّ الصوتي الممتد من الرّئتين حتّى الشفتين . والأمر لا يعدو رغبتها الملحّة وحاجتها الطّبيعية للاقتصاد و السّهولة واليسر .

وإذا كانت اللغة ترتدّ من النّاحية الصوتية إلى مجموعة من محدودة من الأصوات ، فليس معنى هذا أنّ اللغة في حدودها كتلا أو ركامات من الأصوات المفردة ، بل سلاسل من التكوينات الصوتية والهيئات التركيبيّة . (3) فنحن لا نتكلّم أصواتا كلّ منها قائم بذاته ، إنّما نتكلّم 'كلمات' و 'جمل' و ' فقرات' . (4) والأصوات في تشكّلها و في علاقتها الأفقية و التركيبيّة تخضع لنظام متجانس مغلق ، ووجود هذا النّظام كان

(1) ينظر : علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي — ص : 110 .

(2) ينظر : علم اللّغة العام : الأصوات — كمال محمد بشر — دار المعارف — القاهرة — د.ط — 1980

— ص : 64 .

(3) ينظر : الأصوات اللّغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 270 .

(4) ينظر : علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي — ص : 156 .

لضرب من التوازن ، (1) إذ ينشأ بين جميع الأعضاء التي تتعاون على التصويت نوع من الاتفاق الذي بمقتضاه يميل كل واحد منها بالوضع الذي يتخذه إلى أن ينسجم مع أوضاع الأعضاء الأخرى ، بل إن الاتفاق لا يقتصر على وضع الأعضاء ، وإنما يتعداه إلى الاتفاق العضلي كذلك . (1) فانطلاقاً من مجموعة الأصوات المحددة ، والمؤتلفة جنباً إلى جنب مع بعضها البعض تحت راية هذا النظام اللغوي المتجانس المغلق ، تستطيع اللغة خلق ما لا نهاية من العلاقات اللغوية لتأدية وظيفتها الجوهرية كوسيلة للتواصل . وهذا يبين ميلها اللطيف ونحوها الدائم تجاه التقليل من الجهد .

والأصوات في كل هذا لا تحتفظ بخصائصها التي عرفناها عنها عندما كانت منفردة مستقلة . بل تكتسب خصائص جديدة في الكلام المتصل . (2) حيث يحدث بينها وهي متجاورة متقاربة في الكلمة الواحدة أو في الكلمتين المتتاليتين "من ظواهر التفاعل أنواع كثيرة ، يؤدي كل نوع منها إلى نتائج ذات بال في التطور الصوتي . يحدث أحيانا بين الصوتين المتجاورين في الكلمة مثلما يحدث بين المواد المحملة بالكهرباء ، فتجاور مادتين من هذه المواد يحدث بينها تجاذباً إذا كانتا مختلفتين في نوع كهربائهما ، بأن كانت إحدهما موجبة والأخرى سالبة ، وتنافراً إذا كانتا متحدتين فيه ، بأن كانتا موجبة أو سالبة ، وكذلك يفعل أحيانا التجاور أو التقارب بين الصوتين . " (3) على أن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر ، فمن الأصوات ما هو سريع التأثير ، يندمج في غيره أكثر مما قد يطرؤ على سواه من الأصوات (4) ، وإذا خضع لنفس الآلية

(1) اللغة — جوزيف فندريس — تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — د.ط — 1950 — ص : 63 .

(2) ينظر : علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي — ص : 156 .

(3) علم اللغة — علي عبد الواحد وافي — دار النهضة مصر للطباعة والنشر — بيروت — ط7 — د.ت — ص : 298 .

(4) ينظر : الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 179 .

في التّطق ، تغيّر بنفس الصّورة في النّظام ككلّ (1).

إنّ تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض ، لم يكن مصادفةً ولا هباءً ولا غفلةً في النّظام اللّغوي ، وإتّما كان لضرب من التّيسير ، ففي " أثناء نطق الأصوات اللّغوية ، يميل المتحدّثون إلى تحقيق أكبر الأثر بأقلّ جهد ممكن ، وهذا هو السّبب الذي من أجله يحاول المتحدّث أثناء ربط الأصوات بعضها ببعض أن يتجنّب الحركات التّطقية التي يمكن الاستغناء عنها كليّة " (2) خاضع في ذلك لجملة من القوانين الصّوتية و الصّرفية والدّالية . وأهمّ الظواهر المورفولوجية التي تتعرّض لها الفونيمات \* التركيبيّة في السّلسلة الكلامية : ظواهر المماثلة وظاهرة القلب المكاني والتّحت والمخالفة . وقبل أن نخوض في تفصيلها يجدر بنا أن نشير إلى أن الفونيمات التركيبيّة في اللّغة العربيّة الفصحى أربعة و ثلاثون ، موزّعة على التّحو التّالي :

- 1- ستّة و عشرون فونيمات للصّوامت .
- 2- فونيمان لأشباه الصّوائت .
- 3- ثلاثة فونيمات للصّوائت ( المصوّتات ) القصيرة .
- 4- ثلاثة فونيمات للصّوائت الطّويلة .

\* والفونيم هو الوحدة الصّوتية التي ليس بإمكانها أن تنجزأ إلى وحدات أصغر و أدنى و التي يكون بإمكانها أن تظهر خلال التّقطيع . ( ينظر : Essais de linguistique générale : Rapports internes et externes du langage / R.Jakobson / les éditions de Minuit / Paris / p : 136 . )  
وينظر : Linguistique / Edward Sapir / Les éditions de Minuit / Paris / 1968 / p : 165 .

(1) ينظر : اللّغة — ص : 72 .

(2) الصّوتيات — برتيل المالمبرج — ترجمة محمد حلمي هليل — عين للدراسات و البحوث الإنسانيّة و الاجتماعيّة — د.ط — 1994 — ص : 111 .

وفي الجدول التالي عرض لأهم الخواص الصوتية والفيزيولوجية لها : (1)

---

(1) ينظر : مناهج البحث في اللغة - تمام حسّان - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - د.ط -  
1974 - ص : 124 . وينظر : اللغة العربية معناها و مبنائها - تمام حسّان - دار الثقافة - الدار البيضاء  
- المغرب - د.ط - د.ت - ص : 29 .

الطب

المترسطة	المرتب	الاحتكاكية				الانفجارية						
		المجهورة	المجهور	المهموسة	المجهورة	المحايد	المهموسة	المجهورة				
أفن لين	تكراري	جانبي	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	ب	شفوي		
م و			ف							شفوي أسناني		
			ث		ذ	ظ				أسناني		
			س		ز			ت	ط	د	ض	أسنان لثوي
ن	ر	ل										لثوي
ي		ح	ش					ك				غاري
			خ			غ			ق			طليقي
												طوي
			ح		ع							حلقوي
			ه									حنجري

## المماثلة

تعتبر المماثلة ظاهرة واضحة في ميدان الدرس الصوتي . فمجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السرّ فيما يصيبها من التأثير . (1) فإذا اقتضى أن اجتمع في الكلمة أو في الكلمتين المتجاورتين صوتان يختلف أحدهما عن الآخر ويناقضه في صفة من صفاته أو في مخرجه ، كأن يكون الأوّل مجهوراً ، والثاني مهموساً أو العكس ، أو يكون مطبقاً مفحماً والثاني منفتحاً مرققاً ، أو أن يكون أحدهما شديد القرب في مخرجه من مخرج الثاني وغيرهما ، وجد المتكلم عسراً ومشقّة في تحقيقهما ومال إلى التقريب بينهما ، توفيراً للجهد وتحقيقاً للانسجام . (2)

فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد قربها في الصفات أو المخارج تحقيقاً لحاجة اللغة وبحثها عن السهولة والتيسير . (1)

و المماثلة كما تحدث بين الأصوات الصامتة ، قد تحدث كذلك بين الصوائت ، كما تحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة و الصوائت . (3) وقد جاء في تبيان ماهيتها الكثير من التعريفات ؛ يقول بروسنهان ( Brosnahan ) : " بأنها التعديلات التكوينية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى . " (4)

ويعرفها دانيال جونز ( Daniel Jones ) بأنها عملية إحلال صوت محل صوت آخر

---

(1) ينظر : الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 179 . وينظر : علم الصّرف الصوتي — ص : 146 .  
(2) ينظر : الوجيز في فقه اللغة — محمد الأنطاكي — مكتبة دار الشرق — بيروت — ط3 — د.ت — ص : 270 .

(3) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره وعلمه و قوانينه — ص : 22 .

(4) الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 283 .

تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة ، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متوالين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما .<sup>(1)</sup> ويرى أحمد مختار عمر بأن المماثلة هي : " تحوّل الفونيمات المتخالفة إلى مماثلة إما ماثلاً جزئياً أو كلياً . " <sup>(2)</sup>

أما فندريس فينظر إليها على أنها تشابه ، يقول إن : " هناك تشابهاً عندما يستعير واحد من صوتين منفصلين عنصراً أو أكثر من عناصر الآخر إلى حدّ الاختلاط به ، والصوت المشبه يسبق في أغلب الأحيان الصوت المشبه به ، أي أنّ هناك في الواقع حالة تعجّل : فالعقل باشتغاله بنطق صوت ما داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه ، ويُنتج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيها الصوت . " <sup>(3)</sup> ويعرفها غير هؤلاء بأنها تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين الصوتين في مخرجيهما أو في صفاقهما أو في مخرجيهما و صفاقهما معاً . <sup>(4)</sup> وقد " أولاها الأقدمون والنحاة والمعنيون بالتجويد خاصة ، عناية كبيرة ، وتتصل عندهم بالأدغام ، الذي رأوه كالمحدثين ، أنّه يتمّ بهدف تيسير النطق وتحقيق الأنسجام الصوتي . " <sup>(5)</sup> والإدغام هو التقريب ذاته في اصطلاح ابن جنّي وابن مجاهد وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم ؛ يقول ابن جنّي : " هو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه . " <sup>(6)</sup> ويذكر ابن مجاهد أنّه " تقريب الحرف من الحرف

(1) ينظر : An outline of English phonetics / Daniel Jones / W.Heffer &

Sons.LTD / Cambridge / England / 9<sup>th</sup> edition / 1972 / p: 217 .

(2) دراسة الصوت اللغوي — ص : 324 .

(3) اللغة — ص : 93 .

(4) ينظر : الألسنية العربية 1 — ص : 53 .

(5) الصوتيات عند ابن جنّي — عبد الفتاح المصري — مجلة التراث العربي — السنة الرابعة — أبريل / يوليو

— 1984 — العدد 15 و 16 ص : 260 .

(6) الخصائص — ج 2 — ص : 141 .

إذا قُرِبَ مخرجه من مخرجه في اللسان ، كراهية أن يعمل اللسان في حرفٍ واحدٍ مرتين فيثقل عليه . " (1) ويورد تامر سلوم رأي عبد القاهر الجرجاني في ذلك قائلاً : " فإنَّ مدلول الإدغام في تطبيق عبد القاهر الجرجاني أكثر عمقا ووفاءً ، فهو يشمل تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ، فازداد مع مجاورتها قربها في الصّفات و المخرجات ، وبعبارة أدقُّ قليلاً : أن مدلول الإدغام عنده يعني التعبير عن مطلق تأثير صوت بصوت ، سواء كان التأثير كاملاً يترتب عليه فناء الصوت المتأثر أم كان جزئياً يفقد معه عنصراً من عناصره . " (2) وتتضمّن فكرة التقارب العلاقتين ؛ العلاقة المخرجية والعلاقة الوصفية ، من حيثُ أن الصوت ما هو في الواقع إلّا مخرج و صفة . (3)

ولابدّ من الإشارة هنا إلى حقيقة هامة ذكرها ابن جنّي ، هي كون التأثير والتأثير لا يكون إلا بين الأصوات من نفس المخرج أو من مخرجين متدانيين متقاربين ، يقول : " أن أصل القلب في الحروف إنّما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء / والدال والطاء والتاء / والهمزة والهاء / والميم والتون / وغير ذلك ممّا تدانت مخرجه . " (4)

وقد قسّم عبد الصبور شاهين مخارج الأصوات إلى أربع مناطق ، تكاد حالات التأثير تنحصر بين أصوات كلّ مجموعة دون أيّ تداخل ، فالمجموعة الأولى سمّاها : منطقة خارج الفمّ ؛ وتضمّ ( ب ، م ، ف ) ، و المجموعة الثانية هي منطقة وسط الفمّ ،

(1) السبعة في القراءات — ابن مجاهد — تحقيق : شوقي ضيف — دار المعارف — القاهرة — د.ط — د.ت — ص : 125 .

(2) نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي — تامر سلوم — دار الحوار للنشر و التوزيع — اللاذقية — سوريا — ط 1 — 1983 — ص : 25 .

(3) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي — عبد الصبور شاهين — مكتبة الخانجي — القاهرة — ط 1 — 1987 — ص : 144 .

(4) سرّ صناعة الأعراب — ج 1 — ص : 180 .



وتضمّ (ت، د، ط، ن، ض، ج، ش، ل، ر، ث، ذ، ظ، س، ز، ص،  
ي)، و المجموعة الثالثة : منطقة ما بعد الوسط و تضمّ (و، ك، ق، غ، خ،)،  
أمّا المجموعة الرابعة والأخيرة فتضمّ (ع، ه، ح، ء).<sup>(1)</sup>

---

(1) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية — عبد الصبور شاهين — مؤسسة الرسالة — بيروت — د.ط —  
1980 — ص : 168 - 169 ، أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي — ص : 245 إلى 249 .

## أنواع المماثلة :

يحصل أن يؤثر الصّوت في الصّوت فيتغيّر أحدهما إلى صوت مماثل أو إلى صوت قريب ، وقد يكونا في حالة اتّصال أو انفصال ، وقد يكون التأثير متّجها إلى الأمام أو راجعا إلى الخلف ، كما قد يكون مزدوجا من الجهتين ، وقد يكون مخرجا كذلك .<sup>(1)</sup> وهكذا يكون للمماثلة عشرة أنواع ؛ فإن أثر الصّوت الأوّل في الثاني فالمماثلة حينئذٍ تقدّمية ، وإن حدث العكس فالمماثلة رجعية ، وإذا حدث تأثر كلي تامّ بين الصّوتين ، فالمماثلة وقتئذٍ كلية ، وإذا كان في بعض خصائص الصّوت فالمماثلة جزئية ، وفي كلّ حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصّوتان متّصلين بعضهما ببعض لا يفصل بينهما صامت ولا صائت ، وقد يكونا منفصلين يفرّق بينهما فاصل من الصّوامت أو الصّوائت .<sup>(2)</sup> وإذا ازدوج التأثير على الصّوت الواقع بين صوتين كانت المماثلة مزدوجة ، وإذا انتقل الصّوت من مخرجه إلى مخرج آخر تحت تأثير صوت مجاور فالمماثلة مخرجية إذا .

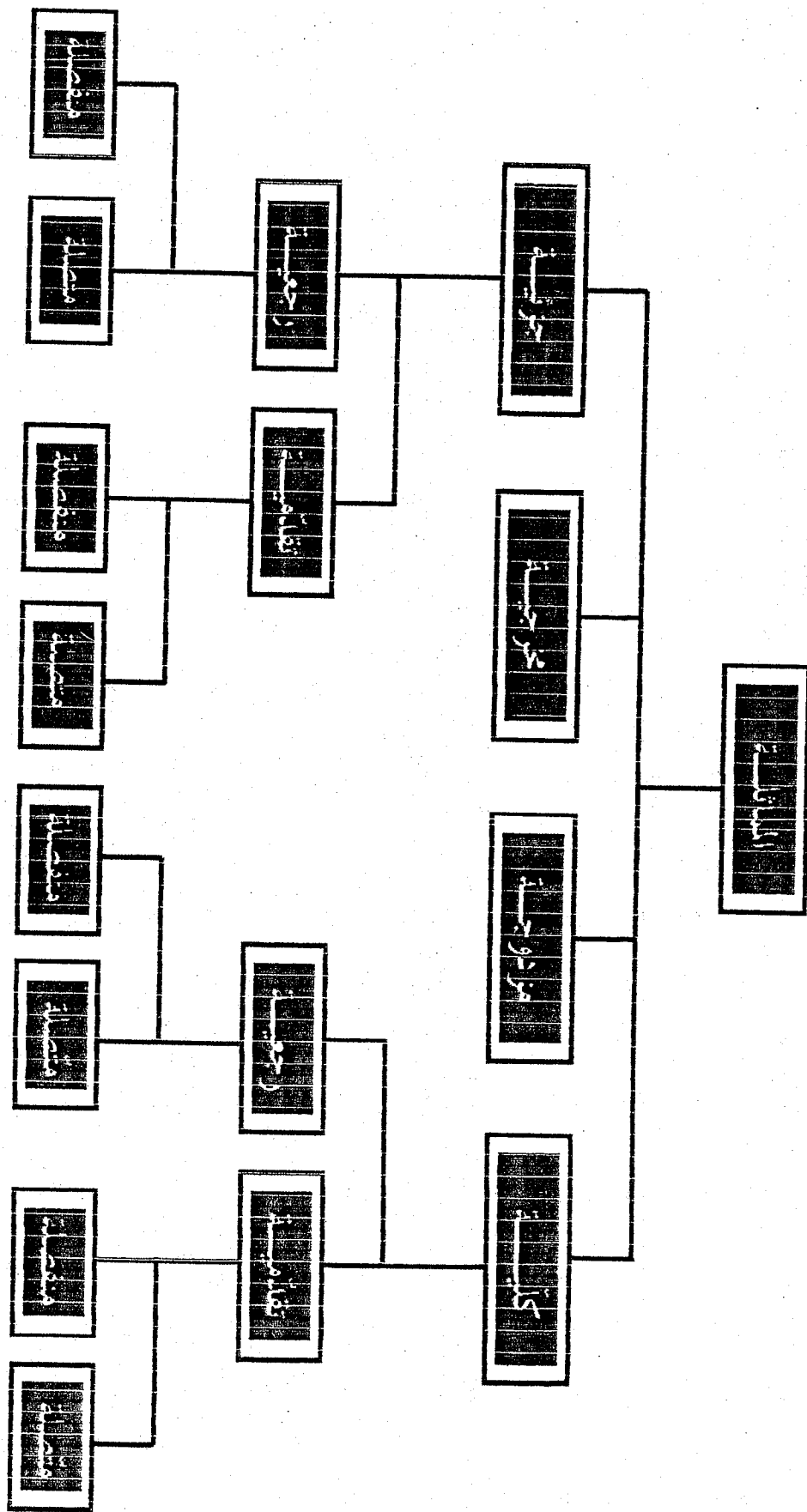
ويمكننا اختصار كلّ ذلك ، حول بيان أنواع المماثلة في الخطاطة التّالية :<sup>(2)</sup>

---

(1) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — صلاح الدّين صلاح حسنين — دار الاتّحاد العربي للطباعة — ط 1

— 1981 — ص : 74 - 75 .

(2) ينظر : التطوّر اللّغوي — ص : 23 .



## المماثلة الكليّة :

وهي الإدغام في اصطلاح النحاة و اللغويين العرب القدامى ، و نعني بها ميل " اللغة العربية إلى الإدغام حيث يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو في كلمتين ... وذلك لتحقيق حدّ أدنى من الجهد عن طريق تجنّب الحركات التّطقيّة التي يمكن الاستغناء عنها . " (1)

والإدغام عند ابن السّراج أن تصل " حرفاً ساكناً بحرفٍ مثله من موضعه من غير حركةٍ تفصل بينهما ، ولا وقف ، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ، ترفع اللسان عنهما رفعةً واحدةً . " (2) بينما هو في مفهوم ابن الجزري : " اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً ، وينقسم إلى كبير و صغير ، فالكبير ما كان الأوّل من الحرفين فيه متحرّكاً ، سواء كانا مثليين أم جنسين أم متقاربين ، والصّغير هو الذي يكون فيه الأوّل منهما ساكناً . " (3)

والمستخلص من هذا كلّهُ أن الإدغام في مفهوم القدامى وسيلة من وسائل اللّغة المختلفة التي ترتكز عليها لإشاعة التّوافق والانسجام بين أصواتها المتجاورة ، قصد تخليصها ممّا قد تحمله من ثقل يعوق تدفقها وسيلانها ، وذلك بدعوها إلى التّمائل و الاندماج ، فيسهل على اللسان إخراجها ، ويتقلّص المجهود العضلي إلى الحدّ الأدنى ،

(1) دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 332 .

(2) الأصول في النحو — ابن السّراج ، — تحقيق : عبد الحسين الفتلي — مؤسسة الرّسالة — بيروت — ط 1 — 1985 — ج 3 — ص : 405 .

\* والتّمائل هو الاتّفاق في المخرج والصّفة ، والتجانس هو الاتّفاق في المخرج والاعتلاف في الصّفة ، أما التقارب هو التّداي في المخرج أو في الصّفة أو في المخرج والصّفة معاً . ( ينظر : القراءات وأثرها في علوم العربية — ج 1 — ص : 90-91 . )

(3) التشر في القراءات العشر — ج 1 — ص : 215-216 .

ويصل بها النطق إلى أقصى درجات الخفة و السهولة . (1)

### 1 : المماثلة الكلية التقديمية المتصلة :

وفيها يؤثر الصوت الأول في الصوت الثاني المجاور الملاصق ، فيكون الصوت الثاني هو المتأثر ، ويشترط فيها أن يكون الصوتان — المؤثر والمتأثر — متجانسين . (2)

### 1-1 : المماثلة بين الصوامت :

ومن أمثلتها تأثير فاء الافتعال في تائه إذا كانت الفاء ( صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً ) ، أو كانت ( دالاً أو ذالاً أو زايماً ) . (3)

فالبنى العميقة \* للأفعال ( صَبَرَ ) من ' الافتعال ' هي : صَبَرَ + افْتَعَلَ = اصْتَبَرَ .

و ( طَلَعَ ) من ' الافتعال ' هي : طلع + افْتَعَلَ = اِطْلَعَ .

و ( ظَلَمَ ) من ' الافتعال ' هي : ظلم + افْتَعَلَ = اِظْلَمَ .

و ( ذَكَرَ ) من ' الافتعال ' هي : ذكر + افْتَعَلَ = اِذْكُرَ .

و ( زان ) من ' الافتعال ' هو : زان + افْتَعَلَ = اِزْتَانَ .

فالتأثير لهذه البنى العميقة التي هي في صورة ' الافتعال ' يجد من الصَّعب على

أعضاء جهازه التلغوي أن تحمق صامتين متتالين ، أحدهما مطبق والآخر منفتح ، أو

(1) ينظر : ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري — ص: 31 .

وينظر : أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي — ص : 211 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 75 .

(3) ينظر : الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 286 .

\* والبنية العميقة هي البنية الأصلية التي تخضع إلى عدّة تغييرات من تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة حتى تُفضي إلى شكلها الصوتي النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية . ( ينظر : البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية و التحويلية — أحمد حساني — تجليات الحدائث — مجلة تصدر عن معهد اللغة العربية وأدائها بجامعة وهران — العدد الأول — السنة الأولى — 1992 — ص : 71 . )

أحدهما مجهور والآخر مهموس ، فتلجأ إلى تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها اقتصاداً في الجهد و جنوحاً نحو السهولة والتيسير<sup>(1)</sup>، عن طريق تحويل تلك البنى العميقة إلى سطحية تفي بالغرض المطلوب ، والأمر يصير كالاتي :

\* اصْتَبَرَ : ← اجتماع فيها ( ص + ت ) = مطبق + منفتح ( عدم التجانس + عسر النطق ) ، تتحوّل التاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الصاد ، لتصبح ( ص + ط ) - مطبق + مطبق ( اصْطَبَرَ ) ← إلى البنية السطحية عن طريق التماثل الكلي ( اصْبَرَ ) .<sup>(2)</sup>

\* اِطْلَع : ← اجتماع ( ط + ت ) = مطبق + منفتح ( عدم التجانس + عسر النطق ) ، تتحوّل التاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الطاء ، ( ط + ط ) = مطبق + مطبق ( اِطْلَع ) ؛ تماثلت الطاء الأولى والثانية في كل شيء فحدث الإدغام ، ← إلى البنية السطحية ( اِطْلَع ) .<sup>(2)</sup>

\* اِظْتَلَمَ : ← اجتماع ( ظ + ت ) = مطبق + منفتح ( عدم التجانس + صعوبة النطق ) ، تتحوّل التاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الظاء المطبقة ، ( ظ + ط ) = مطبق + مطبق ( اِظْتَلَمَ ) = احتكاكي + انفجاري ( تجانس ناقص ، نوع من الثقل ) ، تتحوّل الطاء الانفجارية إلى ظاء ثانية تحت تأثير الظاء الأولى ← ( ظ + ظ ) - احتكاكي + احتكاكي ، ← إلى البنية السطحية والتماثل الكلي ، إلى

(1) ينظر : شرح الملوكي في التصريف - ابن يعيش - تحقيق : فخر الدين قباوة - المكتبة العربية - حلب - سوريا - ط 1 - 1973 - ص : 317 - 318 .

(2) ينظر : الكتاب - ج 4 - ص : 474 - 475 .

أقصى مراتب السهولة ( اظْلَمَ ) . (1)

يقول ابن يعيش : " كرهوا الإتيان بحرفٍ بعد حرفٍ يضاذه و ينافيه ، فأبدلوا من التاء طاءً ، لأنهما من مخرج واحد ... و في الطاء استعلاء و إطباق يوافق ما قبله ليتجانس الصوت ، ويكون العمل من وجه واحد ، فيكون أخفّ عليهم . والغرض من ذلك كله ، تجانس الصوت و تقريب بعضه من بعض ، و الملاءمة بينهما . " (2)

\* اذْكَرَ ← اجتماع ( ذ + ت ) = مجهور + مهموس ( عدم التجانس + عسر النطق ) ، تتحوّل التاء إلى نظيرها المجهور تحت تأثير الذال ، ( ذ + د ) = احتكاكي + انفجاري ( اذْكَرَ ) ، تجانس ناقص ، نوع من الثقل ، تتحوّل الذال الانفجارية إلى ذال احتكاكية تحت تأثير الذال الأولى ، ( ذ + ذ ) = احتكاكي + احتكاكي ،  
← إلى البنية السطحية ( اذْكَرَ ) . (1)

\* اِزْتَانَ ← اجتماع ( ز + ت ) = مجهور + مهموس ( عدم التجانس ، ثقل النطق ) ، تتحوّل التاء المهموسة إلى نظيرها المجهور تحت تأثير الزاي المجهورة ، ( ز + د ) = مجهور + مجهور ← ( اِزْدَانَ ) = احتكاكي + انفجاري ( تجانس ناقص ، نوع من الثقل ) ، تتحوّل الذال الانفجارية إلى زاي تحت تأثير الزاي الأولى ،  
← إلى البنية السطحية والإدغام ، إلى التماثل الكلي ، إلى أقصى مراتب التيسير  
← ( اِزَانَ ) . (1)

(1) ينظر : الكتاب - ج 4 - ص : 474 - 475 .

(2) شرح الملوكي في التصريف - ص : 317 - 318 .

إثما أبدلت تاء 'افْتَعَلَ' دالاً عندما وقعت فاؤه زايّاً أو دالاً أو ذالاً ، بغية التجانس الصوتي وفراراً من تباينه . من حيث أن الزاي و الدال و الذال أصوات مجهورة ، بينما التاء صوت مهموس ، فوافقت الدال بجهرها جهر الزاي و الدال و الدال ، ووقع العمل في ضرب واحد .<sup>(1)</sup>

ويعلل ابن جني ما حدث في هذه الأمثلة بقوله : " و من العرب من يُبدل

'التاء' على ما قبلها ، فيقول : اصْبِرْ ، ومُصْبِرٌ ، وقرأ بعض القراء ( فَلَ جَنَاحٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يَطَّيَّرَا بَيْنَهُمَا عَلِيًّا )<sup>(2)</sup> ، يريد : يفتعلا من الصلح ."<sup>(3)</sup>

ويقول في موضع آخر : " أن الذين قالوا : اصْبِرْ وا صَلِّحْ وا زَانْ وا ذَكَرْ ، قد تحافت ألسنتهم عن الطاء و الدال و غلب عليها صوت الصاد و الزاي و الدال ، لما في الطاء و الدال من الشدة ، فتحولوا إلى صوت رخو ، فكان أن جرى على ألسنتهم قلب الشديد إلى رخو يناسب الفاء فأبدلوه مع الصاد صاداً وأدغموا ، ومع الزاي زايّاً وأدغموا وهكذا ، إذ كان ذلك أخفّ على ألسنتهم ."<sup>(4)</sup> فاللسان يثقل عليه التصعد والعودة في اللحظة ذاتها إلى نفس النقطة ليرتفع مرة ثانية بغية تحقيق انتاجية الصوتين ، مما يوجب الإدغام .<sup>(5)</sup> حتى " يكون العمل من وجه واحد ، فهذا يدلّك على

(1) ينظر : شرح الملوكي في التصريف — ص : 322 — 323 .

(2) الآية 127 من التساء .

(3) المنصف — ابن جني — تحقيق : ابراهيم مصطفى و عبد الله أمين — مطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر

— ط 1 — 1954 — ج 2 — ص : 327 . وينظر : معاني القرآن — الفراء ، يحيى بن زياد — تحقيق : محمد

علي التجار و أحمد يوسف نجاتي — عالم الكتب — بيروت — ط 2 — 1955 — ج 3 — ص : 107 .

(4) الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني — حسام سعيد التعميمي — دار الطليعة للطباعة و النشر —

بيروت — د. ط — د. ت — ص : 173 .

(5) ينظر : الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 299 .



مذهبهم على أن التّجنيس عندهم تأثيراً قوياً . " (1)

والإدغام ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد ، أوّلهما ساكن و ثانيهما متحرك ، وإنما هو في صوت واحد تطول مدّته لتسع زمن صوتين اثنين . (2) لأن أعضاء النطق ستتحرك بالكيفية المناسبة لنطق الصّوت الأوّل مع عدم مغادرتها هذا الوضع ، لتقوم بعد ذلك بإنتاج الصّوت الثّاني المشابه للصّوت الأوّل . (3)

فالإدغام بهذا لا يعدو أن يكون وسيلة للهروب من الثقل والعسر إلى الخفة واليسر .

1-2 : المماثلة بين أشباه الصّوات والصّوات المجانسة لها :

1-2-1 : تأثير الياء في الواو التّالية لها :

في تصغير 'جرؤ' على (فَعِيل) ، فالبنية العميقة يجب أن تكون : 'جُرْيُو' ؛ فقد التقى ثلاثة أصوات متشابهة : الياء والواو وحركة الإعراب الضّمة ممّا شكّل عسرا أثناء النطق بهذه الكلمة ، لذلك تدخلت اللّغة بطرقها المختلفة لإبعاد هذا الثقل والعسر ، فقلبت الواو تحت تأثير الياء إلى ياء مماثلة لتصبح (جُرْيِي) ، وبعد الإدغام تنتهي إلى : (جُرْيِي) . (4)

(1) المنصف — ج 2 — ص : 325 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغوي — رمضان عبد التّواب — مكتبة الخالجي — القاهرة — ط 1 — 1982 — ص : 97 .

(3) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 75 .

(4) ينظر : الخصائص — ج 3 — ص : 84 ، علم الصّرف الصّوتي — ص : 419 .

\* وفي تصغير 'عصا' على (فُعِيل) ، هي (عُصَيَوَة) ، لأن أصل عصا (عَصَوَ). يبدو أن الياء الأولى تبحث عن المجانسة الصوتية مع الصوت الذي يليها ، لأن الواو لا تناسبها وتشكلاً مجتمعين ثقلاً في النطق . فتحوّلت ( الواو ) إلى مجانستها ( الياء ) من أجل المماثلة مع الياء الأولى ( عُصَيَيَة ) ، إلى البنية السطحية عن طريق الإدغام (عُصَيَيَة) . (1)

أما : 'أيام' ؛ فقد مرّت بعدة تحولات في البنية العميقة حتى وصلت إلى هذه البنية السطحية . فقد نصرّ الصّرفيون على أن أصل : أيام ← أيّوام ؛ من الكلمة المفردة (يَوْم) ؛ فقد اجتمعت الأشباه في هذه الكلمة ، وفي اجتماعها عسر على النطق ، وهي ( الصائت الانتقالي 'الياء' ، المسبوق بصائت الفتحة ، المتلوّ بصائت انتقالي آخر هو ' الواو ' المتبوع بصائت الفتح الطويل ) .

وعليه فقد تدبّرت اللغة الأمر وبحث عن موطن الثقل ، فوجدته في الصائت الانتقالي ( الواو ) غير المجانس للصائت الانتقالي قبله ( الياء ) ، فاستبدلته بما يناسب الياء ولا يتعارض معها ، وهو ' ياء ' ثانية ، إلى (أيّام) ، ومنه إلى البنية السطحية بعد الإدغام ← أيّام .

فقد استثقلت اللغة هذا الاجتماع الذي يدفع اللسان إلى التحرك في موضعين متناقضين ، حيث أن تحقيق 'الياء' يتمّ بارتفاع مقدّم اللسان نحو وسط الحنك مع انفراج الشفتين ، في حين يتمّ تحقيق ' الواو ' من أقصى اللسان مع ما يقاربه من أقصى الحنك ، مع استدارة الشفتين . (2) " وعليه فاللسان في نطقه لهذين الصوتين يقوم بحركتين متتاليتين

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 401 .

(2) ينظر : ظواهر التشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري — ص :

إحداهما بأقصاه ، والأخرى بمقدمه . ولا شك أن في هذه العملية جهداً و مشقةً تجعلان هذا العضو ، على الرغم من مرونته ، يحاول التخلص منها ، بنقل مخرج الواو من أقصى اللسان إلى مقدمته ، وذلك بقلبه ياءً ليقوم جزء واحد من اللسان بإصدار الصوتين المتماسين في صورة مركّب إدغامي أو مماثلة تامة . " (1)

### 1-2-2 : تأثير الكسرة في الواو التالية لها :

فقد تأثرت ' الواو ' بالكسرة السابقة لها في : ميعاد و ميزان و ميقات والغازي و الداعي والصيام و غيرها ؛ فقد وصلت إلى بناها السطحية المذكورة بعد ما مرت بمجموعة من التحوّلات ؛ فأصلها : موعاد من ( الوعد ) ، وموزان من ( الوزن ) ، ومولاد من ( الولادة ) ، وموقّات من ( الوقت ) ، والغازو من ( العزو ) والداعو من ( الدعوة ) وصوام من ( الصوم ) .

تقول النظرية الصّرفية القديمة : تقلب الواو ياءً إذا وقعت بعد أو شبهه . (2)

ف : موعاد وموزان ومولاد وموقّات ، ( اجتمع فيها الصائت الأمامي الضيف القصير ' الكسرة ' ، مع الصائت الانتقالي الخلفي الضيق ' الواو ' ) ، وهو أمر يكتنفه الثقل ، سببه اجتماع حركتين متناقضتين على اللسان ، الأولى بمقدمه ، والثانية بمؤخرته ، مما استوجب البحث عن حل لهذه المعضلة ، وهو ما وجدته اللغة في القوانين الصوتية التي سوّغت استبدال ' الواو ' تحت تأثير الكسرة قبلها بما يناسبها وهو الصائت الانتقالي

(1) ينظر : ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري — ص :

(2) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك — تحقيق : هادي حسن حمودي — دار الكتاب العربي —

بيروت — ط 1 — 1991 — ج 2 — ص : 301 ، نصوص في النحو العربي — يعقوب بكر — دار النهضة

العربية — بيروت — د.ط — 1984 — ج 2 — ص : 327 .

'الياء' لتصير إلى : مِيعَاد و مِيزَان و مِيلَاد و مِيقَات . و من أجل استمرارية الحركة و بحثاً عن السهولة المطلقة أثناء النطق ، تحوّل الصّائت الانتقالي 'الياء' إلى صائت قصير من جنسه مناسب أكثر للصّائت قبله وهو الكسرة ، فأجتمعت الكسرتان لتكوّن صائتا طويلا هو الكسرة الطويلة ، لتنتهي الصّيغ في آخر المطاف إلى : ميعاد و ميزان و ميلاد و ميقات . (1)

الغازوُ و الداعُوُ : هنا كذلك اجتمعت الأمثال ، الصّائت الأمامي الضيق الكسرة مع الصّائت الانتقالي الخلفي الضيق الواو ، والانتقال بينهما يشكّل عائقاً بالنسبة لانسيابية الحركة النطقية ، فالكسرة لا تناسبها الواو ممّا دفع باللّغة أن تبحث على الانسجام ، وتتخلّص من العنصر المشكل الذي هو الواو بما يناسب الكسرة وهو الياء ، إلى البنية السّطحية : الغازي والداعي .

صوام ( لم ينسجم فيها الصّائت الأمامي الكسرة مع الصّائت الانتقالي الخلفي الواو ممّا يشكّل ثقلاً ) ، تخلّصت منه اللّغة عن طريق استبدالها الواو موضع الثقل بما ينسجم مع الكسرة قبلها وهي الياء ، إلى البنية السّطحية ← صيّام .

### 1-2-3 : تأثير الصّائت في الهمزة الساكنة بعده فيدها إلى صوت مجانس :

تؤثّر الفتحة و الكسرة و الضمّة على الهمزة بعدها للمجانسة ؛ يقول السيوطي : " تبدل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها ، فبدها ألفاً بعد الفتح نحو : وأمر أهلك ، و واواً بعد الضمّ نحو : يؤمنون ، و ياءً بعد الكسر نحو : جئت... وسواء

(1) ينظر : الخصائص — ج 1 — ص : 49 ، علم الصّرف الصّوتي — ص : 419

كانت الهمزة فاءً أم عيناً أم لاماً ... " (1) فتقول : وامر ، و يومنون ، وجيت . ففي : ذئب وبئر ، يؤثر صائت الكسر في الهمزة بعده إخضاعاً لقانون المماثلة الصوتية بحثاً عن الانسجام ، ولعسر النطق بالهمزة تتحوّل إلى ما يناسب الكسرة وهو الصائت المماثل للكسرة ( ذـ / ب ) و ( بـ / ر ) ثم يُصار إلى الصائت الطويل عن طريق تضعيف إنتاج صوت الكسرة (2) ، فتصبح الصيغتان في بنيتيهما السطحيّتين ( ذيب وبير ) . وفيهما قد تحوّلت العربية عن المقطع الطويل المغلق بصامتين حال الوقف — الثقل على النطق في مثل هذه الكلمات أحادية المقطع — إلى مقطع أخفّ منه من النوع الرابع حين الوقف دائماً ( ص م م ص ) .

#### 1-2-4 : تأثير الضمة في الياء التالية لها :

من وجوه المماثلة بين الصوائت نذكر : موقن وموسر ؛ تقول فيهما النظرية الصرفية القديمة " الياء إذا سكنت في مفرد بعد ضمة وجب إبدالها واوا نحو : موقن وموسر ، إذ الأصل فيهما مَيْقِنٌ ومَيْسِرٌ لأكهما من أَيَقِنَ وَاَيْسَرَ . " (3)

أما القوانين الصوتية فترى أن : مَيْقِنٌ ومَيْسِرٌ قد اجتمعت فيهما حركتان ، نتج أثناء النطق بهما ثقل وعسر ، فاللسان فيهما يتموضع بالكيفية المناسبة لنطق الصائت الخلفي الضيق ( الضمة ) ، عندما يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك ، دون أن

(1) الإتيان في علوم القرآن — السيوطي — دار الكتب العلمية — بيروت — د.ط — د.ت — ج 1 — ص :

(2) ينظر : علم الصرف الصوتي — ص : 347 .

(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك — ج 2 — ص : 303 .

يرتطم به ، ثم ينتقل مرّة أخرى وبسرعة شديدة إلى وضع وكيفية أخرى بمقدّمه لنطق الصّائت الأمامي الانتقالي الضيّق ( الياء ) ، وهو أمر تنفر منه العربية فتعمل على استبدال ( الياء ) موضع الإشكال بما يحقّق الانسجام واليسر وهو ( ضمّة ) ثانية ، لتشكّل مع الضمّة الأولى صائتا طويلاً ، إلى البنية السّطحية : موفن و موسر .

### 1-2-5 : تأثير الكسرة في الفتحة الطويلة التالية لها في :

يتجلى هذا في مثل قول العرب : مصايح جمع ( مصباح ) ودنانير جمع ( دينار ) وغيرهما . فقد نصّ الصّرفيون على أنّ الألف تقلب ياءً : " إذا وقعت إثر كسرة في جمع تكسير أو تصغير ، كقولك في جمع ( مصباح ) و ( دينار ) جمع تكسير : مصايح و دنانير ، و في تصغيرهما : مُصَيِّح و دُنَيِّير . " (1) ويعلّل الصّوتيون هذه الحالة بقولهم : إذا كان المفرد ( مصباح و دينار ) فجمعهما على التّكسير يصير ( مصابـ / ا / ح ، ودنانـ / ا / ر ) ، أما تصغيرهما يكون ( مُصَيِّبـ / ا / ح ، و دُنَيِّبـ / ا / ر ) ، وهنا يستحيل على اللّسان في المواضع الأربعة نطق صائتين متوالين ، الصّائت الضيّق الأمامي القصير الكسرة ، المتلوّ بالصّائت المتّسع الأمامي الطّويل الألف ، ومنه تدبّرت اللّغة الأمر فأسقطت الصّائت الطّويل ( الألف ) موضع الإشكال وعوضته بكسرة مماثله للكسرة الأولى ( مصابـ / ا / ح ، دنانـ / ا / ر ) ، و ( مُصَيِّبـ / ا / ح ، و دُنَيِّبـ / ا / ر ) ، ثمّ تداخلت الكسرتان لتحقّقا صائتا طويلاً هو ' الياء ' ، إلى البنية السّطحية ( مصايح ، و دنانير ) ثمّ ( مُصَيِّح ، و دُنَيِّير ) .

(1) المدخل إلى علم التحو و الصّرف - ص : 30 .

وأما حاصل ما مرّ بنا من أوجه المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت الجانسة يعود إلى استكراه العرب الخروج من كسر إلى ضمّ ، أو العكس ، أو تكلفهم تحقيق كسرة بعدها واو ، أو ضمة قبل ياء ، بسبب الثقل الناتج عن تينك العمليتين المتتاليتين و المتناقضتين المجهدين للسان ، واستحالة نطقهم لكسرة أو ضمة قبل ألف ، كان الدافع وراء إبدالهم الياء واوا بعد ضمة ، أو الواو ياء بعد كسرة ، وقلبهم الألف ياء بعد كسرة أو واوا بعد ضمة وغيرها ، " إتما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأتاك إذا بدأت بالكسرة تراجع عنها إلى الواو ، فقد نقضت أوّل قولك بآخره ، وخالفت بين طرفيه ، فقد جمت ببعض الياء ، و آذنت بتمامها ، فإذا تراجعت عنها إلى الواو ، فقد نقضت أوّل قولك بآخره ، و خالفت بين طرفيه . وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جمت بعدها بالياء ، فقد جمت بأمر غيره المتوقع ، لأتاك لما جمت بالضمة توقعت الواو ، فإذا عدلت إلى الياء فقد نقضت بآخر لفظك أوّله . " (1)

## 2 - المماثلة الكليّة التقدّمية المنفصلة :

وفيها يفصل بين الصّائت المؤثّر والصّائت المتأثّر بصائت . يؤثّر صائت الكسر سواءً أكان قصيرا أو طويلا تأثير كلياً في حركة الضمّ للضمير الغائب المفرد المذكّر ( هـ ) أو الجمع المذكّر ( هم ) أو الجمع المؤنث ( هنّ ) أو المشى ( هما ) لأن الأصل فيها الضمّ (2) . يقول سيوييه " وأهل الحجاز يقولون مررت بموقبل ، ولديهو مال ، و يقرأون ( فَنَسَفْنَا بِهَوِ وَ بَطَارَهُو الْأَرْضِ ) (1) . " (2)

(1) سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 19 .

(2) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره و علله و قوانينه — ص : 25 .

(3) الآية 81 من القصص .

(4) الكتاب — ج 4 — 195 .

" و يبدو أن الكثير من القبائل البدوية حافظت على الصورة الأصلية (الضم) و منها قبائل الحجاز. " (1) وذلك قولك : بهُ ، بهم ، بهن ، بهما ، وفيه ، فيهم ، فيهن ، فيهما . وفيها يتعثر اللسان و يجد صعوبة جمة في الانتقال من الكسر إلى الضم ، من الصائت الأمامي إلى الصائت الخلفي ، فتدخل المائلة لوضع التوازن ، باستبدال الضمة غير المناسبة بصائت مماثل هو الكسرة ، حتى يعمل اللسان في إتجاه واحد تيسيراً للنطق ، فتصبح : به ، بهم ، بهن ، بهما و فيه ، فيهم ، فيهن ، فيهما . فالجمع بين الضم و الكسر أو العكس عند العرب بناء ثقيل يأباه الذوق و تنفر منه السَّلَقة ، يقول الفراء : " يستثقلون كسرة بعدها ضمة ، أو ضمة بعدها كسرة . " (2) وقد قال سيبويه في نفس الشأن : " كرهوا في 'عَصِرَ' الكسرة بعد الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع ، ومع هذا أنه بناء ليس في كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل . " (3)

### 3- المائلة الجزئية التقدمية المتصلة :

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني فيقربه إليه بأن يجعله يماثله في إحدى صفاته. (4)

#### 3-1 : المائلة بين الصوامت :

فالبنى العميقة للأفعال 'زَهَرَ' من 'الافتعال' هي : زَهَرَ + افْتَعَلَ = اِزْتَهَرَ .

و 'زَجَرَ' من 'الافتعال' هي : زَجَرَ + افْتَعَلَ = اِزْتَجَرَ .

و 'ضَجَعَ' من 'الافتعال' هي : ضَجَعَ + افْتَعَلَ = اِضْتَجَعَ .

و 'جَمَعَ' من 'الافتعال' هي : جَمَعَ + افْتَعَلَ = اِجْتَمَعَ .

(1) عبد القادر عبد الجليل - الأصوات اللغوية - ص : 287 .

(2) معاني القرآن - ج 2 - ص : 12 .

(3) الكتاب - ج 4 - ص : 114 .

(4) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات - ص : 77 .



فالنطاق للبنية العميقة للفعل 'ضَجَعَ' من 'الافتعال' يجد صعوبة في تحقيق صامتين متوالين أحدهما مطبق و الآخر منفتح \* ، و يجد الصَّعوبة نفسها عند نطق الفعلين : 'زَجَرَ' و 'جَمَعَ' من 'الافتعال' لتوالي صامتين فيها ، أولهما مجهور و ثانيهما مهموس \* \* . ففي مثل هذه الأحوال تنشط القوانين الصَّوتية ، من خلال استدعاء عامل المماثلة الذي بواسطته يتم إشاعة الانسجام و إبعاد التنافر بين الأصوات .

فاضْتَجَعَ ← ض + ت = مطبق + منفتح ( تنافر و ثقل في النطق ) ←  
ض + ط ( تحوّل التاء المهموسة إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الضاد ) ← اِضْطَجَعَ .  
إنَّ الجهد العضوي الذي يُبذل في إنتاج أصوات الإطباق أكبر دون شك من الجهد الذي يُبذل مع الأصوات المنفتحة ، بالإضافة إلى سكونها في فاء 'الافتعال' مما يطيل زمن الوقوف عندها ، الأمر الذي يُصعِّب على اللسان الانتقال من هذا المستوى إلى مستوى آخر مخالف و مضاد ، وهو مستوى تحقيق الصَّامت المستقل 'التاء' ، " فهو يحتاج إلى جهد يبذله اللسان مباشرة مع اتخاذ وضع التَّطوق بحرف الإطباق ... مع قرب اللسان من موضع 'التاء' في حالة الإطباق ... ليعود لنطق التاء ... ، [ و هروبا من هذا الإجهاد ] اختاروا مع حروف الإطباق 'الطاء' ، لأن وضع اللسان عند التطق

\* والإطباق هو ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق حتى ينظم به ، مما يلوّن الصَّوت بقيمة صوتية خاصة متماز بها الأصوات المطبقة عن غيرها . و الأصوات المطبقة في العربية الفصحى هي : ص ، ض ، ط ، ظ . أما الانفتاح فهو صفة تقابل الإطباق تميّزها بقية الأصوات دون المطبقة ، أثناءها يتسع الفراغ و يفتح المجال بين اللسان و الطبق . ( ينظر : التحديد في الاتقان و التجويد — ص : 108 ، والأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 273 . )

\*\*والجهر هو اهتزاز الوترين الصَّوتيين أثناء مرور الهواء المنطلق من الرئتين بالحنجرة . أما الحس فهو بقاؤها ساكنين دون أي اهتزاز عند مرور الهواء بالحنجرة . ( ينظر : الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 124 . )

به هو عين وضعه قبل النطق به . " (1)

أما : اَزْتَجَرَ ← اجتماع فيها ( ز + ت ) ، إلى ( ز + د ) ← اَزْدَجَرَ .  
وقولهم كذلك : اجتماع ← اجتماع فيها ( ج + ت ) = مجهور + مهموس ،  
( تنافر وثقل ) ، إلى ← ( ز + د ) ، ( تحول التاء المهموسة إلى نظيرها \* المجهور  
الذال ) = مجهور + مجهور ؛ ( تجانس و سهولة ) ← اَجْدَمَعَ .  
يقول ابن جنّي " وقد قلبت ' تاء ' الافتعال ' دالا ' مع الجيم في بعض اللغات ، قالوا :  
اجدمعوا في اجتمعوا . " (2) وأورد الفراء قول العرب في هذا الصدد فقال : " حدثنا علي  
عن محمد بن فرج ، عن سلمة ، عن الفراء ، قال : قوم من العرب يقولون : ' أجديك '  
في موضع ' أحتبيك ' ، يجعلون ' تاء ' الافتعال بعد الجيم ' دالا ' ، و يقولون  
' اجدمعوا ! . " (3)

وبإمكان موازنة الصّوت لمحيطه أن تصبح شيئاً مطّرداً يسير وفق معيار عام في اللّغة  
الواحدة ، كما الحال في الإنجليزية التي تنطق فيها ( s ) الجمع شيئاً في كلمة ( cats )  
، التّالية لـ ( t ) المهموسة ، لكنّها تنطق ( z ) زائياً في كلمة ( Dogs ) ،

\* كانت النتيجة التي انتهى إليها جاكسون جدولاً جمع فيه اثني عشرة زوجاً تناظرياً يصلح لكلّ لغات العالم ،  
مفاده أن العنصر الرئيسي في النظام اللّغوي ليس هو الفونيم ، وإنما التناظر أو بالأحرى القيمة الخلافية .

( ينظر :  
Initiation aux problemes des linguistique  
contemporaines / Catherine Fuchs et Goffic Pirre /  
Librairie Hachette / Paris / 1995 / p : 125 . et Essais de  
linguistique générale / p : 124 . )

(1) الدّراسات اللّهجية و الصّوتية عند ابن جنّي — ص : 348 - 349 .

(2) سرّ صناعة الاعراب — ج 1 — ص : 187 .

(3) الصّاحي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها — أحمد بن فارس — علّق عليه و وضع حواشيه

: أحمد حسن بسج — دار الكتب العلمية — بيروت — ط 1 — 1997 — ص : 71 .

الثالثة لـ (g) المجهورة . (1)

وفي (قِيلَ وَغِيضَ) ؛ يجانس صائت الكسر - الأمامي المستفل - (القاف و الغين) المستعليتين قبله ، فينطق بين الضمّ و الكسر على الشّكل : قِيلَ / غِيضَ . يقول حسن ظاظا : " على الضّلغ الأسفل بين الضّمة و الكسرة يوجد ما يسميه النّحاة بالإشمام ، وهو مزيج بين الضّمة و الكسرة في حركة واحدة ... و لا يظهر ذلك إلّا في اللفظ و لا يظهر في الخطّ ... وقد قرئ في السّبعة قوله تعالى : ( وَقِيلَ يَا أَرْضِ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءِ اِقْلَعِي ، وَغِيضِ الْمَاءِ ) (2) بالإشمام في (قِيلَ وَغِيضَ) . " (3) ومن تأثير الصّامت في الصّائت " اتجاه العلة الأمامية إلى الخلفية بتأثير السّواكن المفخّمة ، ومثال ذلك الكسرة في (طَبُّ) و الفتحة في (صَبْرٌ) تحت تأثير الطّاء و الصّاد . " (4) ومن ذلك أيضا قولهم (فَعَلَ - يَفْعَلُ) بفتح عين المضارع مع حروف الحلق و ما قاربها في (سَعَرَ يَسْعَرُ ، وَسَأَلَ يَسْأَلُ ، وَتَهَرَّجَ يَتَهَرَّجُ) وغيرها ، و كان من حقّها أن تكون مضمومة كما هي الحال مع باقي الصّوامت من مثل (كَتَبَ ، يَكْتُبُ) الخ . ولعلّ ذلك يفسّره قانون اختزال الجهد الصّوتي ، " لأنّ الحروف الحلقية ... تتميز بالنطق الإنتاجي المفتوح ، ممّا تتناسب معها حركة (الفتحة) ، لأنّها حركة أمامية متّسعة ، بالإضافة إلى أنّ الكثرة العالية من هذه الأفعال تقابلها نسبة تردّدية عالية للأصوات الحلقية بالقياس إلى الأصوات الأخرى . " (5) يقول سيوييه : " أنهم فتحوا حروف الحلق

(1) ينظر : الصّوتيات - ص : 188 .

(2) الآية 44 من هود .

(3) كلام العرب : من قضايا اللّغة العربية - حسن ظاظا - دار النهضة العربية - بيروت - 1976 - ص

11 - 12 .

(4) دراسة الصّوت اللّغوي - ص : 329 .

(5) علم الصّرف الصّوتي - ص : 250 .

لأن الفتحة بعض الحرف الذي في حيز حروف الحلق وهو الألف ، ولم يجر كوها بالكسر  
أو الضمّ لأهما بعض حرفين مرتفعين عن الحلق . " (1)

### 3-2 : المماثلة بين الصّوات و أشباه الصّوات الجانسة لها :

يحدث أن تتأثر الصّوات وأشباهاها بما يتقدّمها من صوات ، وهي مفصّلة كاللآتي :

#### 3-2-1 : تأثير الضّمة في الفتحة الطويلة التّالية لها :

في تصغير : دابة على ( فُعَيْلة ) ؛ فالبنية العميقة لها هي : دُ / ا / يّة .

هنا يستحيل التّطق بعد اجتماع الأمثال وبخاصة إذا كانت صوات و أشباهاها ( الصّات الضيق الخلفي ' الضّمة ' متبوعا بصّات أمامي متسع ' الألف ' متلوّا بصّات انتقالية أمامي ضيق ' الياء ' ، فاللسان يستحيل عليه التّنقل و الحركة بينها ، هنا تتدخّل المماثلة لصدّ التّراع و حسم الخلاف باستبدال الصّات موضع الإشكال ( الألف ) ، غير الجانس ، بما يجانس الضّمة التّالية للدّال وهي ' الواو ' الذي تلحقه آيا الفتحة ، لأنّ بناء الصيغة يقوم عليها ، تيسيرا للتّطق و إعادة للتّوازن البنائي للوحدة ، لتصبح في بنيتها السّطحية : ← دُوَيّْة .

و في تصغير : كاتب على ( فُعَيْل ) ؛ فالبنية العميقة يجب أن تكون على الشّكل : كُ / ا / يّب ← إلى البنية السّطحية : كُوَيّْب .

#### 3-2-2 : تأثير الضّمة في الهمزة التّالية لها :

الصّات الخلفي الضيق ( الضّمة ) يؤثّر في الهمزة فيبدلها صائتا انتقالياً بجانساً تخفيفاً للتّقل الذي يعتري العملية التّطقية أثناء تحقيق الهمزة — الصّات العسير على التّطق منفردا ، فما بالك باجتماعه مجاورا للضّمة ، أثقل الصّوات وأصعبها نطقاً —

(1) الكتاب — ج2 — ص : 252 . و ينظر : الخصائص — ج2 — ص : 143 .

" وذلك قولك في : جَوْنٌ ؛ جَوْنٌ ، وفي رجلٍ سؤلةٌ ؛ سؤلةٌ ، وفي بُورٍ ؛ بُورٍ ،  
وفي لَوْمٍ ؛ لَوْمٍ . " (1)

### 3-2-3 : تأثير الكسرة في الصائت الانتقالي التالي لها :

فقد تأثرت ' الواو ' بالكسرة السابقة لها في : رَضِيٌّ ؛ فالأصل فيها : ( رَضِوٌ ) .  
يقول عبد الصبور شاهين : " و على ذلك نرى أن عنصر الضمة قد أسقط في هذه  
الأمثلة ، فأتصلت الكسرة بالفتحة مباشرة ، فكانت الياء نتيجة الانتقال بينهما ، دون  
أن تكون بدلا من الواو كما قيل :  $\text{radi-a} < \text{Radi-u-a}$  " (2)

فالدّراسة المقطعية لا تقبل هذا التحليل ، وبالتالي فتفسيره بالكيفية المذكورة غير وارد .  
فالبناء المقطعي لكلا الصيغتين واحد ، ولا أثر لسقوط الضمة أو أيّ عنصر آخر من البنية  
العميقة في البنية السطحية ؛

رَضِوٌ = ص م + ص م + ص م ؛ ( ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة من النوع الأوّل ) .  
رَضِيٌّ = ص م + ص م + ض م ؛ ( ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة من النوع الأوّل ) .  
وعليه نفس انتقال البنية العميقة ( رَضِوٌ ) إلى البنية السطحية ( رَضِيٌّ ) كالتالي :  
رَضِوٌ : اجتمع فيها الصائت الضيق الأمامي ( الكسرة ) مع الصائت الانتقالي الخلفي  
الضيق ( الواو ) ، وهو اجتماع تينك الحركتين المتناقضتين — كما سلفت الإشارة  
إليه — مما شكّل صعوبة في الأداء الكلامي لهذه البنية ، فاستعانت العربية بالمماثلة التي  
عملت على استبدال العنصر غير المحانس ( الواو ) بأخر بحانس للكسرة السابقة و هو

(1) سرّ صناعة الإعراب — ج 2 — ص : 560 .

(2) المنهج الصوتي للبنية اللغوية — ص : 189 .

'الياء' ، حتى يتحرك اللسان في إتجاه واحد لضرب من التيسير ، لتنتقل الصيغة إلى :  
رَضِي .

#### 4 - المائلة الجزئية التقديمية المنفصلة :

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المنفصل عنه بأن يجعله يماثله في إحدى صفاته .

#### 4-1 : المائلة بين الصوامت :

ومنها قول القائل : " هذا نبيذٌ قارص ، و لبنٌ قارص ، أي يقرص اللسان ... ،  
و الصّواب ( القارس ) . و أخذَه قصراً ، والصّواب ( قسراً ) ، و القاف من الحروف  
المستعلية كالصّاد ... فلعلهم أبدلوا من السين صاداً لتوافق بالاستعلاء الذي فيها استعلاء  
القاف قبلها . " (1)

وفي ( مهران ) ؛ وهي البنية السطحية في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس  
المجري ، للبنية العميقة ( مهران ) ، فقد أثرت الرّاء المجهورة في السين المهموسة ،  
فقلبتها إلى إحدى صفاتها وهي الجهر للمجانسة و التيسير في النطق . (2)  
أما ( وقيظ ) ؛ فهي البنية السطحية في إحدى اللغات القديمة ، للبنية العميقة : وقيظ ،  
التي اجتمعت فيها القاف المستعلية بالذال المستقلة ، مما يشكّل عسراً في انتقال اللسان  
من الاستعلاء مع القاف إلى الاستفال مع الذال ، رغم وجود ذلك الفاصل بينهما و هو  
الصّائت الأمامي الضيق الطويل ( الكسرة ) ، وعليه تعمل اللّغة على دفعهما إلى المجانسة  
باستبدال الصّائت غير المجانس بما يجانس القاف و يستعلي معها وهو ' الظاء ' ، الطّرف

(1) نصوص في فقه اللّغة العربية - يعقوب بكر - دار النهضة العربية - د.ط - د.ت - ج 1 - ص :

378-379 .

(2) ينظر : التطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه - ص : 27 - 28 ، نقلا عن المدخل إلى تقويم اللسان  
و تعليم البيان - لابن هشام اللّخمي ، ص : 34 .

الآخر للزوج التناظري ( ذ ، ظ ) ، قصد توحيد الحركة النطقية والجنوح بها إلى الخفة واليسر .

يقول ابن جنّي في ذلك : " يقال تركته و قيذا و وقیظا ، و الوجه عندي و القياس أن يكون الظاء بدلًا من الذال ، لقوله عزّ اسمه : ( **والموقوذة** )<sup>(1)</sup> بالذال ، فالذال أعمّ تصرفًا فلذلك قضينا بأنّها الأصل . " <sup>(2)</sup>

ويتوفّر هذا النوع من المماثلة في كثير من اللغات الأخرى كالفرنسية التي يؤثر 'الجيم الهشيشي' في السّين في كلمة ( Jusque ) فيجعلها يمائله ، يقول ماليرج : " ينطق بعض الفرنسيين كلمة ( Jusque ) [ بالشّين ] بدلًا من السّين ، إنّنا بصدد تأثير الساكن الأول الهشيشي أو الشّيني على الصّفيري الذي تحوّل إلى ساكن هشيشي [ الشّين ] ، وهذه هي حالة المماثلة المتباعدة . " <sup>(3)</sup>

أمّا في الإنجليزية ، فتتطق لاحقة ( ed ) تاءً [ t ] أو دالًا [ d ] تأثرا بالصّامت مجهورا كان أو مهموسا قبلها ، فإذا كان ما قبلها مهموسا نطقت تاءً [ t ] كما هي الحال في ( liked ) التي تنطق [ laikt ] ، وإذا كان مجهورا نطقت دالا [ d ] كما هي الحال في [ loved ] التي تنطق [ lavd ] . <sup>(4)</sup>

#### 2-4 : المماثلة بين أشباه الصّوات و الصّوات المجانسة لها :

الصّوات الانتقالي ' الياء ' يؤثّر تأثيرا جزئيا في حركة الضّم للضمير الغائب المفرد المذكّر ( هـ ) أو الجمع المذكّر ( هم ) أو الجمع المؤنث ( هنّ ) أو المشى ( هما )

(1) الآية 4 من المائدة .

(2) سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 228 .

(3) الصّوتيات — ص : 118 - 119 .

(4) ينظر : الصّوتيات — ص : 118 .

للمجانسة تسهيلا وتيسيرا للنطق ، لأن اللسان يعتريه الثقل في الانتقال من الأمام مع 'الياء' ليعود إلى الخلف مع 'الضمة' ، رغم وجود ذلك الحاجز الضعيف بينهما ، في : عليه ، عليهم ، عليهنّ ، عليهما ، وهي البنى السطحية للبنى العميقة : عليه ، عليهم ، عليهنّ ، عليهما .

الصّائت الأمامي 'الكسرة' يؤثر في الصّائت الأمامي الطويل 'الألف' المنفصل عنه بصامت ، إشاعةً للانسجام وتخفيفاً للنطق . وهو ما أشار إليه القدماء بالإمالة . و الإمالة أن " أن تقرّب الحرف ممّا يشاكله من كسرة أو ياء " <sup>(1)</sup> . بمعنى أن " تقرّب الفتحة من الكسرة ، و الألف من الياء ، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه . " <sup>(2)</sup> و أشهر القبائل العربية المعروفة بالإمالة : بنو تميم وأسد و قيس و عامة نجد ، و لا يعيل الحجازيون إلا قليلا <sup>(3)</sup> و ذلك في : سِرْبَال و شِمْلَال و عِمَاد و كِلَاب و غيرها . <sup>(4)</sup>

### المماثلة الرجعية :

وفيها يرجع التأثير إلى الوراثة على غير عاداته مع المماثلة التقديمية ، إذ يؤثر الصّوت الثاني على الأوّل . " وقد لوحظ أن المماثلة الرجعية هي الصّورة الأكثر وقوعاً في اللّغة العربية ، حيث تسير في أمثلتها على قياس مطّرد . " <sup>(5)</sup>

(1) المقتضب - المرّد ، محمد بن يزيد - تحقيق : محمد عبد الخالق عضمة - عالم الكتب - بيروت - د.ط - د.ت - ج 3 - ص : 46 .

(2) القراءات و أثرها في علوم العربية - محمد سالم محسن - مكتبة الكلّيات الأزهرية - د.ط - 1984 - ص : 97 .

(3) ينظر : شذا العرف في فنّ الصّرف - ص : 180 .

(4) ينظر : الكتاب - ج 4 - ص : 117 .

(5) المنهج الصّوتي للبنى العربية - ص : 210 .



## 5 - المماثلة الكلية الرجعية المتصلة :

وفيها يذوب الصّوت الأوّل في الثاني ، حيث لا فاصل بينهما ، بأن ينطقا صوتاً طويلاً كالثاني . وهي الإدغام في عرف القدماء ، إذ يلتقي الصّوتان المتجانسان أو المتقاربان ، وقد أجازوه في " كلّ صوت من أصوات اللّغة العربية ، غير أنّه نادر بين أصوات الحلق ، لأنها ليست بأصل للإدغام . "(1)

## 5-1 : المماثلة بين الصّوامت :

في مثل قوله تعالى : ( **إِنْ نَشَأْ نُغَسِّقْ بِهِمُ الْأَرْضَ** ) (2) ، التقت فيها ' الفاء ' و' الباء ' دون فاصل بينهما ، وهما من مخرجين متقاربين جدّاً ، ويقعان معا في نفس المجموعة ، هي منطقة خارج الفمّ ، التي تضمّ ( ب ، م ، ف ) حسب تقسيم ابراهيم أنيس و عبد الصّبور شاهين لحالات التأثير بين الأصوات - المشار إليه سابقاً - . ولما كان من تقاربهما المخرجي ؛ إذ اللسان أثناء النطق بهما يتشكّل في الهيئة المناسبة لنطق ' الفاء ' ، ليعود تقريبا و بسرعة كبيرة إلى النّقطة نفسها لنطق الصّوت الثاني ' الباء ' ، بالإضافة إلى اختلافهما في الصّفة ، إذ الفاء مهموسة بينما الباء مجهورة ، ممّا يشكّل صعوبة في النّطق و ثقلا فيه ، فكان لا مناص من التماثل و الاندماج وإدغام الأولى في الثانية و ليس العكس ، لما تتميز به الباء من القوّة الإسماعية نتيجة جهرها ، ليصيرا في البنية السّطحية ( نغسـ / بهم ) . و يمكن تعليل هذا الإدغام بالقول " إنّ الفاء جُهر بها أوّلا ، فأصبحت ذلك الصّوت الشائع في اللّغات الأوربية ... ( v ) ، و مثل هذا الصّوت إذا ذهب رخاوته بأنحباس الهواء معه ليصبح انفجاريا ، أشبه الباء كلّ الشّبه ،

(1) الأصوات اللّغوية - إبراهيم أنيس - ص : 188 .

(2) الآية 9 من سبأ .

ولهذا يمكن الإدغام . " (1)

وقوله تعالى: ( وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) (2) ، التقت في الآية 'راء' مع ' اللام 'دون فاصل ، وهما من نفس المخرج الخامس ( اللثوي ) مع التكرير الذي في 'راء' قبل اللام ، الأمر الذي يعرقل سريان العملية النطقية بين المتكلم والمستمع . ومع الاتفاق الذي بينهما في الميوعة والجر ، روعي إدماجهما قصد الإسراع بالحركة النطقية وتخفيفها ، لتصبح ( يغفـ / لكم ) ، " وكل الذي يتطلبه ادغام 'راء' في اللام هو ترك التكرار المختصة به 'راء' . " (3)

وتؤثر أصوات المجموعة ( يرملون ) على التون المتصلة و التّونين قبلها ، لما بينها وبين التّون من التقارب المخرجي و التّمائل في صفة الإجهار ، رغبة في دفع السلسلة الكلامية نحو الانسياب والاسترسال ، و ذلك في ( من يعمل ، من رأى ، من ما ، إن لا ، من وال ، إن نشأ . و سكراناً يمشي ، سكراناً راكب ، سكراناً ماكث ، سكراناً لابس ، سكراناً وافد ، سكراناً ناعس ) في البنية العميقة التي تتطور في البنية السطحية إلى ( مـ / يعمل ، مـ / رأى ، مـ / ما ، مـ / لا ، مـ / وآل ، مـ / نشأ ، و سكران / يمشي ، سكران / راكب ، سكران / ماكث ، سكران / لابس ، سكران / وافد ، سكران / ناعس ) .

ويكثر في اللغة العربية ، بل يشيع شيوعاً فاحشاً تأثر ' اللام ' بما يجاورها مباشرة في السياق الكلامي من أصوات مُقدّم الفمّ ( ذ / ث / ظ / د / ت / ط / ز / س / ص / ض / ن / ر / ش ) ، وهي أصوات مجاورة لها في المخرج . (4)

(1) الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 201 .

(2) الآية 12 من الصّفّ .

(3) الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 200 .

(4) ينظر : نفسه — ص : 202 .

ولعلّ مرّة ذلك كلّه إلى كثرة شيوع اللّام في اللّغة ، حيث تصل إلى حوالي 127 مرّة في كلّ ألف من الصّوامت ، مما يعرضها أكثر من غيرها للتطور اللّغوي و الميل إلى الفناء في تلك الصّوامت . (1)

ومنه قوله تعالى ( **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ) (2) ؛ اجتمعت فيها اللّام في ( بَلْ ) وهي جانبية بجمهورة ، مع التّاء الشّديدة المهموسة في ( تُؤْثِرُونَ ) ، بالإضافة إلى قرب مخرجيهما ؛ و أثناء نطقهما يحصل أن يتذبذب الوتران الصّوتيان أولاً مع نطق اللّام ، ويرتفع طرف اللّسان للاتّصال باللّثة ليمنع مرور الهواء الذي يتسرّب من حافتي اللّسان أو إحداهما ، ثم يفتح المجرى الهوائي بعد خروج ' اللّام ' ليتوقف الوتران عن الذذبذة ثم غلق المجرى الهوائي ثانية في نفس الموضع تقريبا للتّاء و بسرعة فائقة ، مما يشكّل ثقلاً بيّناً على الجهاز الصّوتي أثناء إخراجهما . و منه يحاول النّاطق العربي أن يتجنّب كلّ هذا الإشكال عن طريق نطق ' اللّام ' و ' التّاء ' مهموسين معا وانفجارين معا في نقطة واحدة و بفتح واحد للمجرى الهوائي ، وهو ما تسمح به اللّغة — مع إطالة مدّة الحبس — تيسيراً للتّلق ، على الشكل : ( ب — / تُؤْثِرُونَ ) .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ( **وَمَنْ يَبْقُرْ وَ الْغَنَةَ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحِوْمَهُمَا** **إِلَّا مَا حَمَلَتْهُ ظَهْرُهُمَا** ) . (3) فهنا جهرنا أولاً ' بالتّاء ' فصارت ' دالا ' ، لأن الصّوت الثّاني أي ' الظّاء ' صوت مجهور ، ثمّ سُمح للهواء معها بالمرور فصارت رحوّة ، ثمّ انتقل مخرجها إلى الأصوات المسماة باللّثوية ، وبهذا صارت ' ذالا ' ، ولا فرق بين الدّال و الظّاء إلّا في أن الصّوت الثّاني من أصوات الإطباق . فالإدغام هنا له ما يبرره من النّاحية الصّوتية .

(1) الأصوات اللّغوية — ابراهيم أنيس — ص : 204 .

(2) الآية 16 من الأعلى .

(3) الآية 147 من الأنعام .

يذكر فندريس مثالا عن المماثلة حيث يقول : " فالمجموعة (tn) (تن) مجموعة غير ثابتة ، فلمّا كانت نقطة الحركة النطقية للتاء هي عين نقطة التّون في تركيب مثل (أنا : atna) ، كان على اللسان أن يتحرك بين الفتحيتين ... ، ينخفض الحجاب منذ بدء المجموعة ، وتستمر الأوتار الصّوتية في الذبذبة دون توقّف بين الفتحيتين فتكون النتيجة (أنا : anna) . " (1)

ثمّ يبين الفرق بين الصّوت المضعّف من المفرد قائلا : " (أنا : atta) تتميز عن المجموعة (أنا : ata) ، يوجد مسافة بين الحبس و الانفجار يمكن للأذن أن تقدّرهما ، ومن الخطأ أن يقال أنّه يوجد ساكنان في (أنا : atta) و ساكن واحد في (أنا : ata) ، فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة ، عنصر انجاسي يتبعه عنصر انفجاري ، ولكن بينما نجد العنصر الإنجاسي في (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة ، نجده في (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق . " (2)

ويضرب دانيال جونز مثالا عن المماثلة الكلية الرّجعية المتصلة التي يسمّيها ' المماثلة السياقية ' ، بتطوّر السين [s] إلى شين [sh] عندما يتجاور اللفظان (Shoe و horse) على الشكل (Horse-shoe) . (3)

أما ما لمرج ففي حديثه عن المماثلة يبيّن أنّها سبيل من السبيل التي يلجأ إليها المتكلم لتجنّب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها كليّة لإحداث الأثر الأكوستيكي المرجوّ و تحقيق أكبر أثر بأقل جهد ممكن . (4)

(1) اللّغة — ص : 92 .

(2) نفسه — ص : 49 .

An outline of English phonetics / p : 218 .

(3) ينظر :

(4) ينظر : الصّوتيات — ص : 111 - 112 .

ويقدّم أمثلة عنها من الإنجليزية ، فيذكر المركب ( At-ten ) ، الذي لا تُنطق فيه التاء الأولى نطقاً كاملاً ، أي بغلق متبوع بانفجار ، لما في ذلك من إجهاد زائد عن الحاجة ، بمعنى فتح مجرى الهواء أولاً ، ثم غلقه ثانية للتاء [ t ] الثانية المشابهة للتاء الأولى في مخرجها وطريقة نطقها . و بدلاً من ذلك يحافظ المتكلم على نقطة الالتقاء الأولى مما يترتب عنه غلق طويل الأمد ، و بهذه الكيفية يتمكن من الاستغناء على حركتين نطقيتين: الفتح للتاء الأولى [ t ] ، و الغلق للتاء الثانية . أما في حالة نطق ( At-down ) ، فعل التاطق الشيء نفسه في تحقيقه لصوتي [ t,d ] مع فارق واحد ، هو أنه في منتصف حركة الغلق يبدأ الوتران الصوتيان في التذبذب و الحركة ، لأن صوت [ d ] مجهور ، وبالتالي تقتضي هذه العملية غلقاً واحداً فحسب ، بينما يحدث عكس ذلك في لفظ ( Bad taste ) ، عندما يسبق الصامت المجهور الصامت المهموس .<sup>(1)</sup> بينما " في عنقود ... مكوّن من ساكنين أنفيين ( In may ) ، ( Come now ) ، يبقى المرء المؤدي إلى الأنف مفتوحاً طوال الوقت الذي يتطلبه نطق الساكنين الأنفيين ، وبذا يستغني المتكلم عن مجهود القيام بأداء حركة واحدة مرتين على التوالي ، وهو مجهود لا جدوى منه في هذه الحالة ."<sup>(2)</sup>

ويرد في هذا الصدد ما ذكره الصّرفيون فيما يخصّ قلب الواو و الياء ( تاءً ) إذا كانت إحداهما واقعة ( فاءً ) للافتعال وإدغامها في تائه ، وكذلك ما تصرّف منه نحو : اتّعد و اتّصل و اتّسر ؛ من الوعد والوصل و اليسر .<sup>(3)</sup>

(1) ينظر : الصوتيات — ص : 112 .

(2) نفسه — ص : 112 .

(3) ينظر : شرح الملوكي في التصريف — ص : 292 إلى 294 . وشذا العرف في فنّ الصّرف — ص : 164 .

يقول عبد الصبور شاهين في تفسير هذا الإبدال وردّ تعليل القدامى له : إن تفسيرهم " هذه الأمثلة بقلب الواو أو الياء تاءً ، تأثراً بتاء الافتعال ، والواقع أنه تفسير بعيد عن الصّحة مطلقاً ، لبعد ما بين التاء من جانب و الواو و الياء من جانب آخر ؛ فالتاء : صوت لثوي انفجاري مهموس ( من الصّوامت ) ، و الياء صوت غاري انطلاقي مجهور انتقالي ( نصف حركة ) ، و الواو صوت طبقي انطلاقي مجهور و انتقالي ( نصف حركة ) ، و كل ما حدث هو استتقال الواو و الياء في هذا الموقع ، دفع التاطن العربي إلى اسقاطها ، وتعويض موقعها بتكرار التاء ، فالتاء هنا مجرد وسيلة لتحقيق الإيقاع اللّازم لصفة الافتعال لا غير . " (1)

وفي رأينا أن سبب الإبدال و المماثلة يكمان في الانطلاقية التي تميّز الواو و الياء ، و الوقفية و الحبسية التي تميّز التاء ، وهما صفتان متناقضتان تشكّلان مجتمعين ثقلاً واضحاً ، الأمر الذي لا يستسيغه الذوق العربي ، فعمد إلى المجانسة بينهما و بين التاء دفعاً بالعملية التلّفظية نحو البساطة و اليسر ، باستبدالهما بما يمثّل وقف الهواء و حبسه وهو التاء ، فكانت الصّيغة الصّرفية في البنية العميقة ( اوتعد و اوتصل و ايتسر ) ، و بعد الإبدال أصبحت ( اتعد و اتصل و اتسر ) التي وصلت إلى البنية السطّحية بعد الإدغام على الشكل ( اِتعد و اِتصل و اِتسر ) . (2)

## 5-2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها :

يحدث أن تتأثر أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها أثناء تجاور بعضها ببعض ، وتفصيلها كالآتي :

(1) المنهج الصّوتي للبنية العربية — ص : 210 .

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 430 .

## 5-2-1 : تأثير 'الياء' في 'الواو' المتصلة قبلها :

في ( طَوِيْتُ طَيًّا وَ شَوَيْتُ شِيًّا ) ؛ وهما البنتان السطحيتان للبنتين العميقتين ( طويت طويًّا وَ شويت شويًّا ) ، والذي دعا الصّرفين إلى إبدال الواو ياءً هو الثقل الذي أحسّوا به من التّجاور المباشر للصّائت الانتقالي الخلفي ( الواو ) مع الصّائت الانتقالي الأمامي ( الياء ) ، و الانتقال السّريع للسان من حالة تصعد مؤخرته واستعلائها مع الواو ، إلى حالة تصعد مقدّمه مع الياء ، حتّى يدفعوا بالعملية التّطقيه نحو الحركة والسّرعة ، فقالوا : طويت طيًّا وَ شويتُ شيًّا ، لتصبح في البنية السّطحية عن طريق إخفاء<sup>(1)</sup> " الساكن الأوّل في الثاني حتى ينبوا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وتزول الوقفة التي كانت تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر " (2) ( طويت طيًّا وشويت شيًّا ) .

## 5-2-2 : تأثير الصّائت في الصّائت المتصل الموجود قبله :

يقول صلاح الدّين صلاح حسنين : " تؤثّر الكسرة في الواو السّابقة لها ، فتحوّل إلى ياء ، ثم تتحوّل الكسرة و الياء إلى كسرة طويلة ستنتقل إلى الساكن قبلها نحو : مُصَوِّبٌ وَ مُصِيبٌ ، مُضَوِّفٌ وَ مُضِيفٌ ، مُقَوِّلٌ وَ مُقِيلٌ . " (3) ففي : مُصَوِّبٌ وَ مُضَوِّفٌ وَ مُقَوِّلٌ ؛ اجتمعت الواو مع الكسرة ، بمعنى الصّائت الخلفي الانتقالي مع الصّائت الأمامي ، وفي صعود مؤخرّة اللسان نحو أقصى الحنك مع الواو ، ثمّ صعود طرفه الآخر الذي هو مقدّمه نحو الغار في نفس اللّحظة تقريبا ، فيه ثقل ومشقّة . في هذه الحالة تؤثّر الكسرة في الواو غير المجانسة فتقلبها إلى ' ياء ' مجانسة ( مُصِيبٌ وَ مُضِيفٌ وَ مُقِيلٌ ) ، و الإشكال لا يزال قائما باجتماع الجنسين الياء والكسرة

(1) الخصائص - ج 1 - ص : 49 .

(2) نفسه - ج 2 - ص : 140 .

(3) المدخل إلى علم الأصوات - ص : 79 .

— الصّائت الانتقالي الضيّق مع الصائت الضيّق — و ما يعترى العملية النطقية عند اجتماعهما من ثقل محسوس ملموس ، كونهما تخرجان من مكان واحد تقريبا ، لذلك لجأت اللّغة إلى تحوير هذه الصّيغ الصّرفية و إعادة التّوازن و الانسجام بين عناصرها عن طريق قانون المخالفة الصّوتية — الذي سنفصل فيه القول في موضعه إن شاء الله — الذي يقضي بتنحية الصّائت ( الكسرة ) الذي بعد الياء في جميعها ، فتصبح ( مُصَيَّب ، مُضَيَّف و مُقَيَّل ) ، و لما كانت الياء — وهي شبه صائت — ساكنة و قبلها الصّامت ساكنا مثلها و بدون حركة ، وهو ما لا تقبله اللّغة ، تحوّلت إلى حركة طويلة له ، والنّاطق يحققها كذلك بكلّ بساطة و دون شعور منه .



## 6 - المماثلة الكليّة الرجعية المنفصلة :

وفيها يؤثّر الصّوت الثّاني في الصّوت الأوّل المنفصل عنه .

### 1-6 : المماثلة بين الصّوامت :

تحدث في مثل قوله تعالى : ( يَعْذِبُهُ مَن يَشَاءُ )<sup>(1)</sup> التي تصير إلى : ( يعذب / مَن يشاء ) ، و كذلك في قوله : ( وَقَوْلُهُمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا )<sup>(2)</sup> التي تصير إلى ( وقولهم على مريم / بهتانًا )<sup>(3)</sup> . ففي البنية العميقة ( يَعْذِبُهُ مَن يَشَاءُ ) ، اجتمعت الباء مع الميم " ولا فرق بين الباء و الميم إلا في أنّ الهواء مع الأولى يتسرب من الأنف ومع الثانية من الفمّ ، و شكل الشّفتين مع كلّ منهما واحد ."<sup>(4)</sup> فقد اجتمع جنسان ، وعلى هذا فالأمر لا يخلو من التّعثر في العملية النّطقية ، لذلك لجأت اللّغة من خلال القوانين الصّوتية التي تمثلها هنا المماثلة ، إلى تدبّر الأمر قصد الإسراع بالنّطق و التّعجيل به عن طريق إسقاط الحاجز الذي يفصل الصّامتين وهو ( الضمّة ) كمرحلة أولى ( يعذبُ مَن يشاء ) ، ثم إدغام الصّامتين كمرحلة ثانية ( يعذبُ / مَن يشاء ) . ونكون بذلك قد وفرنا جهد عمليتين ووضعين في حركة واحدة ، ينطلق الهواء معها من الرّتتين ، ثم ينخفض الحنك الرّخو ليسمح للهواء بالمرور ، فتلتقي الشّفتان و يهترّ الوتران الصّوتيان ، ثم تنفصل الشّفتان بعد ذلك إحداهما عن الأخرى .

(1) الآية 42 من المائدة .

(2) الآية 155 من النساء .

(3) المدخل إلى علم الأصوات - ص : 80 .

(4) الأصوات اللّغوية - إبراهيم أنيس - ص : 186 .

وفي البنية العميقة ' يخسفُ بهم '؛ فقد اجتمعتُ فيها الفاء مع الباء ، و الأمر الذي ينقل اجتماعهما كونهما من مخرجين متقاربين جداً بالإضافة إلى اختلافهما في الهمس والجره و الرخاوة و الشدّة ، رغم وجود ذلك العازل الذي يفصلهما و الذي هو الضمّة .

فالتكلم يفتح جهازه الصّوتي مرتين متتاليتين للتّلق بمَا ، بما فيهما من التناقض الحاصل بين احتكاك الأولى و انفجارية الثانية ، و العضو الأساسي للاحتكاك و الانفجار في كليهما واحد ، هو الشفّة السفلى ، بالإضافة إلى اختلافهما في الهمس و الجهر ، و ما يشكّله انبساط الزمار مع المهوس و انقباضه مع المجهور من ثقل زائد ، فكان لازماً مع هذا الوضع المتأزم من إجراء جراحة تسهّل اجتماعهما بإسقاط الفاصل ( الضمّة ) ثم إدغام أولاهما في ثانيهما ، فنصبح ( يخسفُ / بهم ) .

وفي البنية العميقة ( وَقَوْلُهُمْ عَلَى هَرِيَّةٍ بُهْتَانًا ) ؛ اجتمعت الميم الأنفية مع الباء الشفوية الانفجارية ، و هما من نفس المخرج ، فبعد التخلّص من الصائت الفاصل بينهما وهو الفتحة ، صارت ( وَقَوْلُهُمْ عَلَى هَرِيَّةٍ بُهْتَانًا ) ، و هنا يكفي غلق التجويف الأنفي لتحوّل الميم الأنفية إلى صامت انفجاري<sup>(1)</sup> بضمّ الشفتين ثم انفراجهما تحقيقاً لهما مجتمعين ، إلى البنية السطحية ( مريـ / بهتانا ) .

وتحدث المماثلة الكلية الرجعية مع مضارع صيغتي : تفعلّ و تفاعل ، حيث تؤثر فاء الفعل إذا كانت صامتا من صوامت الصّفير أو الأسنان على التاء المنفصلة قبلها ، و يطرد الحال على صيغة الماضي ، في ( يتذكّرُ و يتركّى و يتدارأ و يتناقلُ ) و غيرها ، التي وردت في القرآن على صورة التأثر في أكثر من موضع ؛ قال تعالى :

(1) ينظر : الصّوتيات — ص : 113 .

( وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَئِكَ الْأُولَاءِ )<sup>(1)</sup> ، وقال : ( وَمَا يُخَوِّرُكَ لَعَلَّهُ يَزَّكِي )

أَوْ يَذْكُرُ فَيَنْفَعَهُ الظُّمْرُ )<sup>(2)</sup> ، وقال أيضا : ( وَإِذَا قَاتَلَهُ نَفْسًا

فَأَخَارَاتِهِ فِيهَا )<sup>(3)</sup> ، وقال كذلك : ( إِثْقَالَهُ إِلَى الْأَرْضِ )<sup>(4)</sup> .

و الماضي من : يذكر ← اذكر ، ومن : يزكي ← ازكى ،

ومن : يذارأ ← اذارأ ، ومن : يناقل ← اثاقل<sup>(5)</sup> .

والمماثلة بالشكل الذي رأيناه هي التي سماها القدماء بالإدغام الكبير ، لأنه يحتاج

إلى عمليتين ؛ عملية التخلص من الصائت الفاصل ، ثم عملية المزج بين الصوتين ،

وصولاً بالنطق إلى غايته المرجوة اقتصاداً في الطاقة العضلية المبذولة . ولا بد من الإشارة

إلى قلة صور المماثلة بأنواعها مع أصوات الإطباق و أصوات الحلق مع مجانسها أو

مقارها ، ومردّ الأمر في ذلك إلى قلة شيوخ هذه الأصوات لذلك لم يحتاجوا إلى تسهيلها

بالمماثلة<sup>(6)</sup> .

## 6-2 : المماثلة بين الصوائت :

وفيها يؤثر الصائت المتقدم في الصائت المتأخر المنفصل عنه .

يمثل لها رمضان عبد التّواب بكلمة : ( emza ) في الحبشية التي تقابل في العربية

( مُنْذُ ) ، وهي في الحبشية كلمة مركبة من ( za ) بمعنى : من ، و ( em ) بمعنى اسم

(1) الآية 268 من البقرة .

(2) الآية 3-4 من عبس .

(3) الآية 71 من البقرة .

(4) الآية 38 من التوبة .

(5) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه — ص : 29 .

(6) ينظر : الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 189 و 256 .

الموصول 'ذو' (1) . وقد "حكى عن بني سليم : ما رأيته منذُ ستّ ، بكسر الميم" (2) ، ممّا يدلّ أن أصل (مُنذُ) العربية (منّ + ذو) فأثرت ضمة الذال في كسرة الميم قبلها رغم وجود الفاصل (الصّامت الساكن) ، فقلبتّها إلى مماثل لها وهو الضمّة لتصير (مُنذُ) (3) .

ويذكر سيبويه في كتابه ضربا من المماثلة تحتاجها هنا ، يتعلق الأمر بحركة الألف الموصولة ، يقول : "واعلم أن الألف الموصولة فيما ذكرنا في الابتداء مكسورة أبدا ، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموما فتضمّها ، وذلك قولك : أقتلّ ، أضعف ، أحتقر ، أحرّبهم ، وذلك أنك قرّبت الألف من المضموم ، إذ لم يكن بينهما إلا ساكن ، فكرهوا كسرة بعدها ضمة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد . " (4)

والظاهر في لهجة الأندلس في القرن الرابع الهجري أن حركة العين أثرت في حركة الميم المنفصلة قبلها فقلبتّها إلى مماثله لها في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَلٌ و مِفْعَلَةٌ ، وهذا مطرد عندهم تمام الإطراد ، في نحو : (مَقوَدٌ و مَسِنٌ و مَنجَلٌ و مَنبِرٌ) في (مِقوَدٌ و مِسِنٌ و مَنجَلٌ و مَنبِرٌ) كما قالوا (مَخدّةٌ و مَصيْدَةٌ و مَرُوحةٌ و مَكْنَسَةٌ) في (مِخدّةٌ و مِصيْدَةٌ و مِروحةٌ و مِكنَسَةٌ) (5) .

(1) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره وعمله و قوانينه — ص : 32 — 33 .

(2) لسان العرب — دار صادر — بيروت — د.ط — د.ت — المجلد 3 — (منذ) — ص : 510 .

(3) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره وعمله و قوانينه — ص : 32 — 33 .

(4) الكتاب — ج 4 — ص : 146 .

(5) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره وعمله و قوانينه — ص : 33 .

## 7- المماثلة الجزئية الرجعية المتصلة :

وفيها يؤثر الصّوت الثّاني في الأوّل فيحوّله إلى مجانس له ، يشبهه في أحد صفاته (1) .

### 7- 1 : المماثلة بين الصّوامت :

لقد أجرى العرب آية نطقهم على حركة واحدة عندما قرّبوا صوتا من صوت ، ففي الكلمات التالية جانسوا بين الدّالّ المجهورة و الصّاد المهموسة المتصلة قبلها ؛ فقالوا في " مصدر : مزدر ، وفي التصدير : التزدير ، و عليه قول العرب في مثل : ( لم يُحرّم من فُرد له ) ، أصله فُصد له ... لما سكنت الصّاد ضعفت به ، و جاورت الصّاد — وهي مهموسة — الدّالّ — وهي مجهورة — قرّبت منها بأن أُشمت شيئا من لفظ الرّأي المقاربة للدّالّ بالجهر . " (2)

فاشرب الصّاد المهموسة شيئا من جهر الرّأي تحت تأثير الدّالّ المجهورة " هو في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض و الانبساط في الزّمار الذي يفتح مع المهموس و يضيق مع المجهور ليتذبذب الوتران الصّوتيان " (3) و بالتّالي تنحو العملية نحو واحد . كما قالوا في ' سقر ' التي اجتمعت فيها القاف المستعلية مع السّين المستغلة ، و في هاتين الحركتين المتناقضتين عسر و صعوبة أثناء النّطق ، فأروا أن يوحّدوا بينهما في مستوى واحد ، مستوى التّجانس في الاستعلاء ليكون عملهم من وجه واحد و يدفعوا بالعملية النّطقية نحو الاسترخاء و الاستراحة عندما قالوا ' سقر ' . (4)

(1) ينظر : علم اللّغة — ص : 299 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 80 .

(3) الخصائص — ج 2 — 144 . و ينظر : النصف — ج 2 — ص : 325 .

(4) ينظر : الخصائص — ج 2 — ص : 143 .

## 7-2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت والصّوائت المجانسة لها :

إذا حدث تجاوز ثقيل بين الصّوائت و أشباهها تدخلت المماثلة لأشاعة الانسجام بينها كما في التسبب إلى ' بَصْرَة ' نقول ' بَصْرِي ' فقد أثر الصّائت الانتقالي ' الياء ' رجعياً في الفتحة غير المجانسة قبله ليحوّلها إلى صائت مجانس هو الكسرة .<sup>(1)</sup>

ويؤثر صائتا الفتح والضمّ سواء أكانا قصيرين أم طويلين في ' الرءاء ' تأثيراً رجعياً متصلاً فيفخماها كما هي الحال في : رَحِيم ، رَأْشِد ، رُكَّام ، رُوح ، بينما يؤثر صائت الكسرة سواء كان قصيراً أو طويلاً تأثير عكسياً فيها بأن يدفعها إلى الترفيق كما في : رِزْق و رِيف .<sup>(2)</sup>

## 8- المماثلة الجزئية الرجعية المنفصلة :

وفيها يؤثر الصّوت الثاني في الصّوت السابق المنفصل فيحوّله إلى صوت مجانس .

## 8-1 : المماثلة بين الصّوامت :

يذكر ابن جنّي جملة من الأمثلة أثرت فيها ' القاف ' المستعلية في السّين المستفلة قبلها والمنفصلة عنها ، سواء أكان الفاصل صوتاً واحداً أو أكثر من صوت ، كما في : سَبَقْتُ و صَبَقْتُ و في سَقْتُ و صَقْتُ و في سَمَلَقُ و صَمَلَقُ و في سَوَيْقُ و صَوَيْقُ ، فقتربوا السّين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السّين ، وهو نظيرها المستعلي ' الصّاد ' .<sup>(3)</sup> و يقول في موضع آخر " وإذا كان بعد السّين ' غين ' أو ' خاء ' أو ' قاف ' أو ' طاء ' جاز قلبها ' صاداً ' ، و ذلك قوله تعالى : ( كَانُوا يُسَاقُونَ )<sup>(4)</sup> و يصاقون ، و ( هَسَّ سَقَر )<sup>(5)</sup> و صقر ،

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 441 .

(2) ينظر : التشر في القراءات العشر — ج 2 — ص : 69 و 75 .

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 186 .

(4) الآية 6 من الأنفال .

(5) الآية 48 من القمر .

و ( سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ )<sup>(1)</sup> و صَخَّرَ ، و ( أَسْبَغَ مَلِيحًا نَبَعَهُ )<sup>(2)</sup> وَأَصْبَغَ  
و ( سِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ )<sup>(3)</sup> و صراط . " (4) و قد جانسوا بين الطَّاء و  
السَّيْنِ قبلها بأن قلبوا السَّيْنِ صادًا في بعض قراءات القرآن ، في مثل قوله تعالى :  
( أَمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ )<sup>(5)</sup> ، و ( لَسْتُمْ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطِينَ )<sup>(6)</sup> ، بإخلاص الصَّاد .<sup>(7)</sup>  
وقد فسَّر ابن مجاهد هذا القلب و كتابة ' مُسَيِّطِر ' بالصَّاد بدل السَّيْنِ في المصحف  
بقوله : " إنما كتبت بالصَّاد ليقربوها من الطَّاء ، لأنَّ الطَّاء لها تصعَّد في الحنك ،  
وهي مطبقة و السَّيْنِ مهموسة ، وهي من حروف الصَّفير ، فثقل عليهم أن يعمل اللسان  
منخفضا و مستعليا في كلمة واحدة ، فقلبوا السَّيْنِ إلى الصَّاد ، لأنها مؤاخية للطَّاء في  
الإطباق ، و مناسبة للسَّيْنِ في الصَّفير . " (8)

وقد أثرت كذلك الخاء المستعلية على السَّيْنِ المنفتحة قبلها فحولتها إلى نظيرها  
المفخَّم و هو الصَّاد في : سَخَّرَ و صَخَّرَ .<sup>(9)</sup> و الذي دعاهم إلى ذلك هروهم — كما  
تقدم — من الحركتين المتناقضتين القرئيتين من بعضهما ؛ نزول اللسان مستفلا نحو  
قاع الفم مع الصَّوامت المنفتحة ، ثم صعوده مطبقا نحو أقصى الحنك مع الصَّوامت

(1) الآية 2 من الرَّعد .

(2) الآية 19 من لقمان .

(3) الآية 6 من الفاتحة .

(4) سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 211 - 212 .

(5) الآية 35 من الطور .

(6) الآية 22 من العاشية .

(7) ينظر : النَّشر في القراءات العشر — ج 2 — ص : 282 - 283 .

(8) السَّبعة في القراءات — ص : 49 .

(9) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 81 .

المستعلية ، وجنوحهم إلى العمل من وجه واحد و اختصار العمليتين المكلفتين في حركة واحدة اقتصادا في الجهد العضلي المبذول وتحقيقا للأثر الأكوستيكي المنتظر .

أما سرّداب و سَعْتَر : فهما البنيان العميقتان اللبنيّتين السطّحيّتين زِرْدَاب و زَعْتَر ، والذي حدث هو تأثير الرّاء المجهورة في السّين المهموسة المنفصلة قبلها ، لأنّها لا تناسبها في هذا التّموضع ولا تنسجم معها ، فتستبدلها بما هو أهلّ للانسجام وهو ( الزّاي ) المجهورة<sup>(1)</sup> ، تجاوزاً لذلك الاضطراب الذي قد ينتج من الحركة المزدوجة لفتحة المزمار التي تتسع مع المهموس و تضيق مع المجهور، و ما عدا ذلك فالأمر واحد بين السّين و الزّاي ، فبالإضافة إلى الصّغير الذي فيهما و الاحتكاك ، فهما ينطلقان من نقطة واحدة ؛ ما بين طرف اللّسان و الأسنان العليا و اللّثة .

وقد أثرت الميم في النّاء المنفصلة قبلها في كلمة ( ثوم ) ، فقلبتّها إلى ' فاء ' فصارت ' فوم ' ، " والنّاء و الفاء تتفقان في الهمس و ... الرّخاوة و مخرجاها متقاربين ... وقد حكمنا على الثّوم بأنّها الأصل لأنّ النّظائر السّامية تؤيّد ذلك ، ففي الأكاوية ( Šumu ) : شوم ، و في العبرية ( Šûm ) : شوم ، و في الأرامية ( tûmā ) : توما ، و النّاء في العريية تكون شيئا في الأكاوية و العبرية ، و تاء في الأرامية ، ولعلّ ( الفاء ) في ( الفوم ) أبدلت من ( النّاء ) في ( ثوم ) مماثلة للميم في الآخر " (2) ، لتلقى مهمه التّلفظ بالكلمة ( فوم ) على عاتق الشّفتين فقط ، بأنّ تقترب الشّفة السّغلى بالأسنان العليا مع الفاء ثمّ تلتقي بعد ذلك بالشّفة العليا مع الميم ، و الأمر لا يخلو — كما هو واضح — من كونه عملية غاية في الاقتصاد و ادّخار الجهد .

(1) ينظر : التطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه — ص : 35 .

(2) نصوص في فقه اللّغة العربية — ج2 — ص : 240 .



## 8-2 : المماثلة بين الصّوائت :

وتظهر المماثلة بين الصّوائت فيما يسمّى بالإمالة ، " و الإمالة تقريب صوتي بين الصّوائت ، و معناه الإتجاه بالصّائت قصيرا كان أم طويلا إلى حالة إرتكازية وسطى بين اثنين من قريناته . " (1)

تؤثّر الكسرة في الفتحة الطويلة المنفصلة قبلها فتميلها نحو الكسرة " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، و ذلك قولك : عَابِد ... مَسَاحِد ومَفَاتِيح ... ، وإّما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصّاد من الرّاي . " (2)

كما تؤثّر الكسرة في الضمة الطويلة المنفصلة قبلها ، فتتحوا بها نحوها بأن تشمّها رائحة الكسرة الطويلة ، يقول ابن جنّي " و أما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة : مررت بمدعورٍ و هذا ابن بُورٍ ، نحوّت بضمة العين و الباء نحو كسرة الرّاء ، فأشتمتها شيئا من الكسرة . " (3) فقد أشار ابن جنّي من خلال قوله هذا إلى قاعدة هامة تستعدها اللّغة ، عندما تسير نحو الاطّراد و جمع حركات النّطق في نفس المستوى ، جنوحاً إلى الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول أثناء عملية الإنتاج الصّوتي ، فالانتقال من الضمّ إلى الكسر يعتربه الثقل ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ الضمّ يتطلّب ارتفاع مؤخّرة اللّسان دون جزئه الأمامي ، بينما يستدعي الكسر ارتفاع مقدّمه مع بقاء مؤخرته في حالة سكون ، وبغية التّقريب بين الحركتين تمّ إشراب الضمّ قليلا من الكسر ، إلى توحيد النّطق بهما ليعمل اللّسان في إتجاه واحد ، هو تفعيل جزئه الأمامي فحسب . (4)

(1) الأصوات اللّغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 306-307 .

(2) الكتاب — ج 4 — ص : 117 .

(3) سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 53 .

(4) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند التّحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري — ص :

وقد تؤثر الكسرة في الفتحة المنفصلة قبلها فتقلبها كسرة خالصة إشاعة للانسجام ودفعاً بالعملية النطقية إلى السرعة في الإنجاز ، من خلال " توحيد اتجاه حركات النطق والعمل على تشغيل جزء بعينه من اللسان " (1) ، فالبنية العميقة للكلمات (شعير — بعير — رغيف ) تتحول بتأثير الكسرة لتصبح ( شعير ، بعير ، رغيف ) . (2)

#### 9- المماثلة المزدوجة :

وفيها " يحاط صوت بصوتين إذ يؤدي ذلك إلى ممارسة الضَّغَط عليه ، فيحوّلانه إلى طبيعتهما البنائية . " (3) وتقع في نظر المبرج حين يضاهاى الصّوت صوتين محيطين به ، ممثلاً لذلك بصيرورة الحركة أنفية بسبب وقوعها بين ساكنين أنفيين . (4) ويرى أحمد مختار عمر أنه متى وقع " الساكن المهموس بين علتين ، فحينئذ يوجد ميل نحو إجهاره ، و أوضح مثال على ذلك ( الهاء ) التي تجهر في هذا الموضع . " (5) فكلمة ( بُهتَ ) وقعت فيها ' الهاء ' بين صائتين ( الضمة قبلها و الكسرة بعدها ) وطبيعة الصّوات الجهر ، و منه فقد مارستا عليها ضغطاً مزدوجاً ( تقدّمياً و رجعياً ) فحوّلها إلى طبيعتها مجهورة . " و فكرة تأثير الحركة السابقة و اللاحقة على المهموس فكرة صحيحة من الناحية الصّوتية ، فقد اكتشف العالم الدانماركي فرنر ( verner ) أن بعض المهموس قد يصبح مجهوراً إذا وقع بين حركتين . " (6)

(1) ظواهر التشكيل الصّوتي عند التّحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري — ص : 237 .

(2) ينظر : الخصائص — ج 2 — ص : 143 .

(3) علم الصّرف الصّوتي — ص : 435 .

(4) ينظر : الصّوتيات — ص : 118 .

(5) دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 327-328 .

(6) أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي — ص : 280 .

ولعلّ السرّ الذي جعل أحمد مختار يخصّ 'الهاء' مثالا لفكرته ، ربّما لطبيعتها المخرجية التي تشبه إلى حدّ بعيد الطّبيعة المخرجية للصّوائت ، من حيث أنّ إحداث 'الهاء' يكون نتيجة الاحتكاك الحاصل من تقارب الوترين الصّوتيين و تضيق الفرجة بينهما ، ومن حيث أنّ الصّوائت ليس لها غير الوترين لتعتمد على اهتزازهما في تصويتها . فكان لازما وقتئذ على الجهاز الصّوتي أن يخلو الحركات الثلاث - اهتزاز الوترين مع الضمّة ، ثم توقّفهما مع 'الهاء' ، ليهترا ثانية مع الكسرة - في حركة واحدة هي حالة الجهر في كلّها اقتصادا في الطّاقة المبذولة .

يقول ابن جنّي : " و من ذلك قولهم ( ستّ ) ، إنّما أصلها ( سدّس ) ، فقرّبوا السّين من الدّال بأن قلبوها 'تاء' فصارت ( سدّت ) ، فهذا تقريب لغير إدغام ، ثمّ إنهم فيما بعد أبدلوا الدّال 'تاء' لقرّبها منها إرادة للإدغام الآن ، فقالوا ( ستّ ) فالتّغيير الأوّل للتّقريب من غير إدغام ، و التّغيير الثّاني مقصود به الإدغام . " (1)

بينما نقول إنّ البنية السّطحية 'ستّ' ، لما كانت بنيتها العميقة 'سدّس' ، فقد وقعت الدّال المجهورة بين مهموسين ، رغم وجود الفاصل الذي يفصلها عن المهموس الأوّل 'السّين' الذي هو ( الكسرة ) ، و منه فالنّطق قد يتعرقل نتيجة التّوتر الحاصل من الانتقال بين المهموس إلى المجهور ، و العودة مرّة أخرى إلى المهموس .

وفارارا من هذه الحركة غير المرغوبة ، مورس ضغط مزدوج من المهموسين على المجهور ، بأنّ حوّلاه إلى طبيعتهما البنائية ، فأصبح 'تاء' و هي نظيره المهموس 'سّس' ، فاجتمعت الأشباه ، و في ذلك ثقل أشدّ ، فكان لا مناص من الهروب إلى الإدغام عن طريق إبدال السّين موضع الضّعف ، الواقعة آخر المقطع 'تاء' ثانية ، و هما من نفس

(1) الخصائص - ج 2 - ص : 143 .

المخرج ، و لا فرق بينهما غير انسداد الهواء مع التاء و السّماح له بالمرور مع السّين ، ثم إدخال بعضهما في بعض ليصبحا في البنية السّطحية على الشكل : ست .

أمّا تصغير : أسود على (فُعِيلِل) ← أسويد ، و جدول على (فُعِيلِل) ← جدُول ، و عجوز على (فُعِيلِل) ← عُجَيُوز .

يمكننا معرفة هذه الصّيغ الصّرفية و تطوّرها إلى ما هي عليه في بناها السّطحية ، من خلال المماثلة المزدوجة كذلك ؛ نقول باختصار شديد : اجتمعت الأشباه ، و كان لاجتماعها ثقل ، الأمر الذي عجل تدخل القانون الصّوتي المسمّى بالمماثلة المزدوجة إذ مورس على الواو — غير المرغوب فيها ، أساس الثقل ، كونها خلفية بين أماميين — ضغطا مزدوجا من الياء و الكسرة ، فحوّلاها إلى مثل لهما هو 'الياء' ، فأصبحت البنى (أسيد ، و جدّيل ، و عُجَيِيز) ، إلى البنية السّطحية عن طريق المماثلة الكلّية الرّجعية المتصلة (أسيد ، و جدّيل ، و عُجَيِيز) .

وذكروا في : مُحتاج أن أصله (مُحتَوَج) ، وفي : باع : بَيْع ، و في : قام : قَوْم . و يذهب ابن جنّي في تفسير هذا التّطور الذي اعترى البنية العميقة قائلا : " فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهي الفتحة و الواو أو الياء ، و حركة الواو أو الياء ، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو و الياء إلى لفظ تُؤمن فيه الحركة وهو الألف ، و سوّغها أيضا انفتاح ما قبلها . فهذه هي العلّة في قلب الواو و الياء في نحو : قام و باع . " (1)

ونفسرها من خلال المماثلة المزدوجة فنقول في (مُحتَوَج ، و قَوْم ، و بَيْع) ، أن الصّائت الانتقالِي الضّيق ' الواو أو الياء ' تموّع فيها بين صائتين متّسعين ' الفتحتان ' ،

(1) سرّ صناعة الإعراب — ج 1 — ص : 22 .

فمارستا عليه ضغطا مزدوجا ، فأفنتاه و تحوّلنا مجتمعتين إلى صائت مماثل طويل هو  
 'الألف' لتصير ( مُحتَاج ، وقام ، وباع ) دفعا بالنطق نحو السّرعَة و العجَلَة و اليسر .  
 و إذا بحثنا في التّشكيل المقطعي و جدناه يفني بالغرض :

- مُحتَوَج ← ص م ص + ص م + ص م ص .  
 مُحتَاج ← ص م ص + ص م م ص .  
 يَبِع ← ص م + ص م + ص م .  
 باع ← ص م م + ص م .  
 قَوَمَ ← ص م + ص م + ص م .  
 قام ← ص م م + ص م .

فالفرق بين كلّ صيغتين واضح ، هو سقوط 'الياء' أو 'الواو' فيها .  
 ويقول هنري فلاش في مثل ذلك : " و الذي نريد أن نقوله هو : أنّ الواو حين وقعت  
 بين صوتين في ( خَوَكة ) ، احتفت وأصبحت ( خانة ) ، فاجتمع صوتان قصيران تحوّلوا  
 إلى مصوّت طويل ، و الحالة هنا بسيطة ، لأنّ المصوّتين القصيرين كانا من جنس  
 واحد . " (1)

(1) العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد — ص : 41 .

وفيها يتقدّم مخرج الصّوت إلى الأمام أو يتأخّر إلى الخلف أو يتخذ مجراه من الأعلى عبر التّجويف الأنفي ، أو من الأسفل عبر التّجويف الفموي ، نتيجة ظروف صوتية معيّنة ، الغرض منها إشاعة الانسجام وخلق التّلاؤم بين الأصوات تيسيراً للنّطق واقتصاداً في الجهد العضلي .

فالصّامت " قد يتقدّم أو يتأخّر مخرجه تبعاً لنوع العلة المجاورة ، فالـ ( k ) في ( Car ) أكثر خلفية ، وهي في ( key ) أكثر أمامية ، و ربما تقدّم مخرجها من الطّبّق إلى منطقة وسطى بين الغار و الطّبّق . " (1)

إذن الكاف الطّبقيّة التي تخرج من أقصى الحنك المتبوعة بالكسرة في كلمة

( كتاب ) تتقدّم بمخرجها قليلاً في إتجاه وسط الحنك ( الغار ) .

" وتفسير ذلك أمر هيّن ، فقد عرفنا أنّ الكاف تحدث من التحام أقصى اللّسان بالطّبّق ، وإنّ الكسرة تحدث من ارتفاع مقدّم اللّسان نحو الغار . و معنى ذلك أنّ على اللّسان إذا أراد النّطق بهذين الصّوتين متتابعين أن يقوم بحركتين متتاليتين ، إحداهما بأقصاه ، و الأخرى بمقدّمه ، ولاشك أنّ هذه العملية فيها جهد و مشقّة ، تجعل اللّسان — على الرّغم من مرونته الزائدة — يحاول التّخلّص منها بتقريب محبس الكاف من منطقة الغار ليجعل جزءاً واحداً منه يقوم بإحداث الصّوتين المتتابعين . " (2)

(1) دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 328 .

(2) الوجيز في فقه اللّغة — ص : 271 .

ومن صور المماثلة المخرجة ما يحدث للتون عند مجاورتها للباء ، فهي تؤثر  
 بمخرجها في مخرج التون الساكنة قبلها ، فتتقدم به إلى الأمام ، بأن تجرّه من اللثة فتجعله  
 من الشفتين حيث مخرج الباء ، و بذلك تتحوّل ' التون ' إلى ' ميم ' كما الحال في  
 ' ائبث ' في قوله تعالى : ( إِذْ أَنْبَعَثْنَا أَشْقَاهَا ) (1) ، في البنية العميقة ، التي تصبح  
 في بنيتها السطحية ' امبعث ' ، وهو ما اصطلح علماء التجويد على تسميته بالقلب (2) ،  
 و يكون " عند حرف واحد وهو ' الباء ' ، فإنّ التون الساكنة و التّونين يقلبان عندها  
 ميمًا خالصة من غير إدغام ، وذلك نحو ( انبئهم ) (3) ، و ( من بعد ) (4) ، و  
 ( صه بكه ) (5) . " (6)

فقد اجتمع هنا صوتان متنافران استثقل اللسان النطق بهما ، هما التون و الباء ،  
 ف' التون ' تخرج من اللثة ، بينما ' الباء ' تنطق من بين الشفتين ، الأمر الذي صعّب  
 على اللطّاقين تحقيق هذين الصّوتين متتاليين ، لما يفصل بينهما من اختلاف في مخرجيهما  
 المتباينين . و طريق العربية نحو استبعادها لهذا الثقل ، يتمّ باستدعاء ظاهرة المماثلة  
 المخرجة ، وهي واحدة من الظواهر التشكيلية التي يلجأ إليها النّظام اللّغوي لفضّ  
 المشاكل التي تصيب عناقيدّه ، فقد عمدت اللّغة هنا إلى قلب ' التون ' ميمًا لما  
 يجمعها من قرابة بالصّوتين المتنافرين ، فهي بمثابة حلقة وصلٍ بينهما ، إذ تشترك مع

(1) الآية 12 من الشمس .

(2) ينظر : الوجيز في فقه اللّغة — ص : 271 .

(3) الآية 32 من البقرة .

(4) الآية 26 من البقرة .

(5) الآية 17 من البقرة .

(6) التشر في القراءات العشر — ج 2 — ص : 21 .

'الباء' في المخرج ، و تلتقي و 'النون' في مجموعة من الصفات ؛ كالجهر و السبولة ، وعلى هذا الحال تكون العربية قد خرجت من هذا البناء المستعصي ، إلى بناء أكثر خفة و سلاسة ، إلى مُلتقى التَّجَانَسِ و الانسجام بين الصَّوْتَيْنِ المتنافرين .<sup>(1)</sup> " فالذي تمَّ ههنا هو إدناء الصَّوْتِ من الصَّوْتِ و تقريبه منه من حيث المخرج ، تسهيلاً للتَّطْقِ و تخفيفاً له ، لأنَّ محاولة الإبقاء على النون الساكنة في التَّطْقِ عند مجاورتها للميم أمر يصعب تحقيقه لما يتطلَّبه من الكلفة و المشاق ."<sup>(2)</sup>

وقد انتقل المخرج كذلك في المماثلة الكليَّة الرَّجْعِيَّةِ بين 'التاء' و 'الثاء' في قوله تعالى : ( **أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعُدْتُمْ تُمُودًا** )<sup>(3)</sup> ، فقد سُمِحَ فيها أوَّلاً للهواء بالمرور مع التاء لتصبح رخوة كالثاء ، ثم انتقل مخرجها متَّجِهاً نحو مخرج الأصوات اللثوية ثانياً ، و بهذا مماثل الصَّوْتَانِ كُلِّ المماثلة فحدث الإدغام .<sup>(4)</sup> كما انتقل المخرج كذلك عند إدغام 'التاء' في 'الجيم' في قوله تعالى : ( **كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ** )<sup>(5)</sup> ، فقد جُهِرَ أوَّلاً بالتاء فتطوَّرت إلى 'دال' ، ثم انتقل مخرج الدال من أصول الأسنان العليا إلى وسط الحنك ، و بهذا التقى بالجيم من حيث كونها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدال في الصِّفَّةِ ، و بهذا تمَّ الإدغام .<sup>(4)</sup>

" وفي تركيب مثل ( ت + ضمة ) أو ( د + ضمة ) تأخذ الشِّفَتَانِ وضع العلة منذ البداية ، ممَّا يؤدِّي إلى جذب كلِّ من التاء و الدال إلى الورا بقدْر ما يسمح نطقهما

(1) ينظر : ظواهر التشكيل الصَّوْتِيَّ عند التَّحَاةِ و اللَّغَوِيَّينِ العرب حتى هَآئِةِ القرنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيَّ — ص: 21 .

(2) نفسه — ص : 22 .

(3) الآية 95 من هود .

(4) ينظر : الأصوات اللَّغَوِيَّةُ — إبراهيم أنيس — ص : 191 .

(5) الآية 55 من النساء .



ويكون الناتج ' تاء ' و ' دالاً ' شفويين طبقيتين . " (1)

وقد يتحوّل الصّوت من مجراه في التّجويف الفموي لينتقل إلى مجرى آخر في التّجويف الأنفي ، وأكثر ما يحدث ذلك إذا تبع صوت انفجاري آخر أنفي ، فإنّ الانفجار يأخذ طريقه من الأنف كما في كلمة ' بُننا ' التي صعد فيها مخرج ' التاء ' إلى فوق ، عبر التّجويف الأنفي . (2)

وقد يحدث العكس ، بأن يترنل الصّوت من مجراه في التّجويف الأنفي إلى التّجويف الفموي كما الحال مع الصّامت الأنفي ' التّون ' إذا تلي بصامت احتكاكي ، يظهر ذلك بشكل واضح في صيغة ' انْفَعَلَ ' حين الإدغام .

ففي : انْظَلَمَ تقول ← اظَلَمَ ، فمنذ البداية يتحوّل التّون الخيشومي إلى التّجويف الفموي بعد ما سدّ أمامه المنفذ الأنفي .

وكل هذا الانتقال المخرجي والتّقارب فيه ، ماهو في الواقع إلّا ضرب من أضرب التيسير في سريان العملية التّلفظية ومسلكاً من مسالك الاقتصاد في الجهد العضوي المبدول .

---

(1) دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 328 .

(2) ينظر : نفسه — ص : 327 .

## القلب المكاني

تعدّ ظاهرة القلب المكاني ظاهرة قديمة في اللغات السامية واللغات اللاتينية على حدّ سواء ، ولعلّ قانون الاقتصاد في الجهد و السرعة في النطق خير من يفسّر وجودها فيها . والقلب هو " تغيير مواقع الحروف داخل الكلمة " (1) أو هو " تبادل مكاني يحدث بين الأصوات في السلسلة الكلامية ، وهو ظاهرة صرفية لا تخرج عن دائرة التّقدم و التّأخير في الحدث الصّوتي . " (2)

وهو في منظور عاطف مذكور " ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكائيهما بأنّ يحلّ أحدهما محلّ الآخر ، أو هي تغيير موضع الجذور مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي ، مثل : يَفْسَ وَ أَيْسَ ، شَاكِي السَّلَاحِ وَ شَائِكِ ، جَذَبَ وَ جَبَدَ ، اضمَحَلَّ وَ امضَحَلَّ ، قَلَقَلَ وَ لَقَلَقَ ... ويمكن عزو هذه الظاهرة أيضا إلى الرّغبة في السّهولة والتيسير في النطق . " (3) ويرجع أنيس شيوع الظاهرة إلى الخطأ في النطق نتيجة تدافع الحروف على اللسان من أجل السرعة في الكلام ، التي وجدت لها مرتعاً خصبا بين القبائل العربية البدوية . (4) و السرعة في الكلام تستحضر دون شك السّهولة في إخراج الأصوات . ومن خلال الأمثلة التي استحضرتها ، يمكن تفسير القلب المكاني فيها كالآتي :

(1) أسس علم اللّغة — ص : 149 .

(2) الأصوات اللّغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 302 .

(3) علم اللّغة بين التراث و المعاصرة — ص : 177-178 .

(4) ينظر : الأصوات اللّغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 302 .

ففي ( جَذَبَ وَجَبَدَ ) ؛ على أن الأولى هي الأصل ؛ لما كانت الجيم والذال  
قريبتان بعضهما من البعض في المخرج ، إذ يفصل بينهما مخرج واحد فقط ، مما يعترى  
نطقهما متجاورين الثقل ، فأريد التخفيف عن طريق الفصل بينهما بتقديم الباء '   
الشفوية إلى مكان ' الذال ' و حلول ' الذال ' مكانها . (1)

وفي ( يَسَّ وَ أَيْسَ ) ؛ على أن الأولى هي الأصل ، و سبب التبديل الموقعي في  
أصوات الثانية يعود إلى صعوبة النطق بالهمزة ، لذلك قُدِّمَتْ فأصبحت فاءً للكلمة ، من  
جهة أن الصَّوت العسير عند التلغظ يكون أخفَّ في أوَّل الكلام منه في وسطه ، حيث  
تكون الآلة المصوِّتة قد استراحت قبله و استعدادٌ لإنتاجه . (2)

أما ( اِكْفَهَرَ وَ اِكْرَهَفَ ) ؛ على أن الأولى هي الأصل ، فلعلَّ القلب المكاني  
الذي خصَّ ' الرء ' و ' الفاء ' بأن حَلَّتْ إحداهما محلَّ الأخرى ، يعود إلى الإجهاد  
الذي تلاقيه الآلة المصوِّتة من خلال النَّفس المستمر الذي يتطلَّبُه النَّطق بثلاثة أصوات  
مهموسة متتالية هي ( الكاف والفاء والهاء ) ، فأريد قطع هذا المدَّ الصَّوتي المسترسل  
بواسطة الرء المتوسطة اقتصاداً في الطَّاقة وتخفيفاً على النَّطق . (1)

وفي ( نَاءَ التِّي هي من النَّأْي ) ؛ فالقلب المكاني فيها مرده إلى الجنوح نحو  
السَّهولة و التَّيسير لا غير ، فتأخير الهمزة بعد فتحه طويلة يسهِّل نطقها ، لأن الجهاز  
الصَّوتي يرتاح بإطالة هذا لصَّات الذي في آخره يتمَّ إخراج الهمزة . (2)

وفي ( شَائِكْ وَ شَاكِي ) ؛ على أن الأولى هي الأصل ، فقد تبادلت الهمزة  
والكاف المكان فصير إلى ( شاكئ ) ، ولما وقعت الهمزة بعد كسرة أثَّرت فيها فقلبتاها  
إلى صوت مماثل عن طريق المماثلة الكليَّة التَّفدمية المتصلة ، هي كسرة مماثلة ، لتكوِّن  
مع الأولى صائتاً طويلاً هو الياء في البنية السَّطحية ( شاكِي ) . (2)

(1) ينظر : الوجيز في فقه اللِّغة — ص : 274 .

(2) ينظر : علم اللِّغة بين التُّراث والمعاصرة — ص : 277 .

وفي ( واحد وحادي ) (1) ؛ على أن الأولى هي الأصل ، ولما كان صوت 'الحاء' أثقل المجموعة نطقا ، روعي تقديمه فيكون بالتالي فاءً للكلمة ، وتأخير الواو إلى نهاية الكلمة ، فليل ( حادو ) ؛ فتجاوزت الكسرة المتقدمة مع الواو المتأخرة ، وفي تجاورهما ثقل ، فحدث أن غيرت المماثلة الواو بما يتناسب و الكسرة في هذا الموضع و هو ياء . والهدف من كل هذا مراعاة النطق بالصوائت متحدة الطابع .

و لكن كيف نتبين أن الكلمة حصل فيها قلب مكاني ؟  
يحدّد الصّرفيون أربع قواعد لتبين ذلك :

- العودة بالكلمة إلى مصدرها ، فالفعل ( ناء : بناء ) من الكلمات التي حدث فيها قلب مكاني ، لأن مصدره ( نأي ) ، فقد تقدّمت اللّام ( الياء ) عن موقعها ، و تأخرت العين ( الهمزة ) .

- العودة إلى الكلمات التي اشتقت منها نفس مادة الكلمة محلّ الاستفسار ، فالكلمة ( قسي ) مفردتها ( قوس ) على وزن ( فَعَل ) ، والجمع منها ( قووس ) على زنة ( فُعول ) ، يقول سيوييه : " إنّما هي في الأصل ( القووس ) ، فقلبوا كما قلبوا أَيْتَقُ " . (2) فقد تبادلت لام الكلمة ( السّين ) و عين الكلمة ( الواو ) المكان ، بأن حلت كلّ منهما محلّ الأخرى لثقل الموضع ؛ على الشكل ( قُسُو ) ، و لثقل اجتماع الأمثال كذلك في هذه الصّيغة الجديدة ( الصّائت الطّويل الضّمة + الصّائت الانتقالي الواو ) ، خالفت ' الواو ' إلى ' ياء ' لتصبح الصّيغة ( قُسوي ) ، والثقل لا يزال قائما لاجتماع الأشباه و عدم التّجانس بين الصّائت الطّويل الضّمة و الصّائت الانتقالي ' الياء ' ، فتدخلت المماثلة لإيجاد التّجانس ، بأن قلبت الضّمة الطّويلة إلى ما يجانس الياء ، وهي

(1) ينظر : علم اللّغة بين التراث والمعاصرة - ص : 277 .

(2) الكتاب - ج 3 - ص : 467 . وينظر : علم الصّرف الصّوتي - ص : 64 .

الصَّائت الانتقالِي 'الياء' لتصبح الصَّيْغَة ( قُسِّي ) ، ثم بعد الإدغام تصير الصَّيْغَة ( قُسِي ) ، ليتحوَّل صائت الفتح إلى كسرة مماثلة للياء ( قُسِي ) ، فاستتقلوا في الصَّيْغَة الجديدة الحركة المتناقضة والانتقال فيها من الخلف مع الضمة إلى الأمام مع الكسرة ، وهذه وظيفة المماثلة الرَّجعية المنفصلة بين الصَّوَّائت التي تحوَّل الضمة إلى كسرة مماثلة لكسرة السَّيْن ، ثم إلى البنية السَّطْحِيَّة ( قِسِي ) .<sup>(1)</sup>

- أن يحافظ الصَّائت الانتقالِي في الكلمة على صحته فلا يعتلّ ، لكون أن الكلمة

حدث بين أصواتها قلب مكاني فلا يجب أن تقبل تغييراً آخر . فالفعل ( أيسَ ) ضمَّ ياء ' متحرّكة ، و على ذلك يجب أن تصير إلى فتحة طويلة ( ألف ) على الشَّكل : آس ، حسب عُرف القاعدة الصَّرْفِيَّة : متى تحرَّك حرف العلة وانفتح ما قبله ، قلب ألفاً . أما وقد بقي الفعل على حاله ففي ذلك إشارة إلى تغيير الياء لموقعها<sup>(2)</sup> ، و إذا رجعنا إلى المصدر ( اليأس ) تبين لنا أن أصل الفعل : يئسَ ، فقد غيرت فاؤه وعينه بين موقعيهما .  
- أن تُمنع الكلمة من الصَّرْف دون سبب ظاهر من ذلك ( أشياء ) التي تحمل

إشارة واحدة لحالتي النَّصب و الجرّ و هي ' الفتحة ' .

والمتعارف عليه أن وزن ( أفعال ) ليس ممنوعاً من الصَّرْف ، فكلمة ( أسماء ) تلحقها العلامات الثلاث رفعاً و نصباً و جرّاً ، تقول : أسماءٌ و أسماءٌ و أسماءٌ . إذن كلمة ( أشياء ) ليست على وزن ( أفعال ) ، وإنما هي على وزن أحرى يمنعها من الصَّرْف . فالمفرد منها ( شيء ) ، على ذلك فالجمع يجب أن يكون ' شَيْئاء ' على زنة ' فعلاء ' ، فقد حوى الوزن ألف التَّأنيث الممدودة التي تمنع من الصَّرْف .

(1) ينظر : التطبيق الصَّرْفِي - ص : 14 - 15 .

(2) نفسه - ص : 15 - 16 .

## النحت

النحت جنس من الاختصار كما يقول ابن فارس<sup>(1)</sup>، الذي يعدّ أكثر القدماء اعترافاً به وبجثا في جوانبه . والنحت في الاصطلاح أن تأخذ كلمتين أو أكثر ، فتصوغ من مجموع حروفها كلمة مفردة تحمل نفس الدلالة التي كانت تدلّ عليه الكلمات نفسها.<sup>(2)</sup> " ولما كان هذا التّرع يشبه النّحت من الخشب و الحجرارة سمي نحتاً و هو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق ، و ليس اشتقاقاً بالفعل ، لأنّ الاشتقاق أن ترع كلمة من كلمة ، أمّا النّحت أن ترع كلمة من الكلمتين أو أكثر ، وتسمّى تلك الكلمة المتروعة منحوتة . " <sup>(2)</sup> و تكثر الكلمات المنحوتة والمركّبة من كلمتين أو أكثر في الفارسية والأرمنية وفي عدّة لغات أوروبية كالإنجليزية والألمانية ، بينما تقلّ في العربية عن ذلك كثيراً<sup>(3)</sup>، ربّما لكون العربية تملك وسيلة أهمّ من ذلك تعتمد عليها في توسّعها اللّغوي ، وهي ' الاشتقاق ' الذي قد يفتقد في مثل تلك اللّغات .

ولقد حدّد القدماء شروطاً على أساسها تقبل الكلمة المنحوتة في اللّغة العربية ، و لعلّ أهمّها :

- السّهولة اللّفظية ، فلا يجب أن يكون اللفظ المنحوت نايباً عن الجرس الموسيقي والسليقة العربية .



(1) ينظر : الصّاحي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها — ص : 209 .

(2) ينظر : عوامل التطور اللّغوي — عبد الرحمان حمّاد — دار الأندلس — بيروت — ط 1 — 1983 — ص :

(3) نفسه — ص : 35 .

- وضوح الاختزال ، أي أن يكون اللفظ المنحوت سارياً على وزن من أوزان الكلمة العربية . (1)

و الملاحظ في الكلمات المنحوتة أن معظمها جاء رباعياً ، و مذهب ابن فارس في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف ، أكثرها منحوت ، يقرب هذه الرؤية . (2)

و قد استعملت العربية في سلوكها هذا أربعة أنواع من النحت :

### 1- النحت الفعلي :

وفيه يصاغ على البناء العربي فعل منحوت من كلمتين أو جملة يدلُّ على حكاية القول أو حدوث المضمون . (3) و من أمثلته : حَيَّعَ الْمُؤَدِّنَ ، قال : حيَّ على الصلاة . حيَّ على الفلاح . طَلَّبَقَ ، قال : أطال الله بقاءك . دَمَعَرَ : قال : أدام الله عزك . (4) وَمَشَكَّنَ : قال : ما شاء كان ، هَيَّلَلَ : قال : لا اله إلا الله (5) ، وَحَوَّقَلَ : قال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، بَسَمَلَ : قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، حَسَبَلَ : قال : سبحان الله . (6)

(1) ينظر : تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي - ص : 168 - 169 .

وينظر : المولد في العربية - حلمي خليل - دار النهضة العربية - بيروت - ط2 - 1985 - ص :

. 99

(2) ينظر : الصَّاحِبِي فِي فَهْمِ اللُّغَةِ وَ مَسَائِلِهَا وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا - ص : 210 .

(3) ينظر : المولد في العربية - ص : 90 .

(4) غرائب اللُّغَةِ - روفائيل نخلة اليسوعي - المكتبة الكاثوليكية - بيروت - ط2 - 1960 - ص : 51 .

(5) ينظر : من أسرار اللُّغَةِ - ص : 73 .

(6) ينظر : سرُّ صناعة الإعراب - ج1 - ص : 234 .

## 2- التحت الأسمي :

يتشكل الاسم المنحوت في العربية من كلمتين أو جملة ، مثل قولهم : جُلُود ؛  
من : جَمَدَ و جَلَدَ ، حَبَّرَ ؛ للبرد ، من : حَبَّ قَرَّ .<sup>(1)</sup> ' وَيُلَمَّ ' من : وَيْلٌ لأمه .

## 3- التحت الوصفي :

وفيه تبنى في العربية من الكلمتين أو الجملة ، كلمة تدلّ على صفة ، مثل قولهم :  
' الصلِّدم ' ؛ صفة منحوتة من : الصلِّد والصلِّدم ، وَصَهْصَلِقْ ؛ صفة منحوتة من : صَهْلٌ  
وَ صَلِقْ ، وَ ضَبُّطْ ، صفة منحوتة من : ضَبُّطْ وَ ضَبَّرْ وغيرها .<sup>(2)</sup>

## 4- التحت التسيبي :

وفيه يصاغ من كلمتين أو أكثر اسما يدلّ على نسبة صاحبه إلى قبيلته أو بلده ،  
كقولهم : عَبْشِي أي منسوب إلى ( عبد شمس ) ، بَعْبُدْرُ ؛ أي منسوب إلى ( بني عبد  
الدار ) ، بَلْحَرْتُ ؛ أي منسوب إلى ( بني الحارث ) ، حَضْرَمِي ؛ أي منسوب إلى  
( حَضْرَمُوْت ) ، حَنْفَلِي ؛ أي منسوب إلى مذهب أبي حنيفة .<sup>(3)</sup>  
وإنما دعاهم إلى هذا النوع من الاختصار والاختزال جنوحهم العام إلى تلمس أيسر  
السبل وبذل أدنى مجهود في تواصلهم بعضهم مع بعض للوصول إلى أسمى الغايات  
والأهداف .

(1) ينظر : فصول في فقه اللغة — رمضان عبد التّواب — مكتبة الخانجي — القاهرة — ط3 — 1987 —  
ص : 302 .

(2) ينظر : المولد في اللغة — ص : 91 .

(3) ينظر : من أسرار اللغة — ص : 74 .

و ينظر : غرائب اللغة — ص : 51 .



## الفصل الثاني

◀ الاقتصاد المورفولوجي في الظواهر التخالفية .

## المخالفة

من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية في تجاور بعضها مع بعض ، ما يمكن أن يسمّى بالمخالفة .<sup>(1)</sup> و المخالفة قانون آخر من قوانين الاقتصاد اللساني ، وهي : " نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف . " <sup>(2)</sup> يذهب فندريس في تحديدها إلى أنها تقع على الضد من ظاهرة المماثلة ؛ " و ذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحيانا إلى التماثل التام ... ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلاما بينهما من فروق فيعمقهما إلى حدّ ألا يبقى بينهما شئ مشترك ، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه ، و تلك هي عملية المفارقة التي هي ضدّ التوافق . " <sup>(3)</sup>

ويسير رمضان عبد التّواب في النّحو الذي سار عليه فندريس في تعريف المخالفة عندما رأى أنّها قانون صوتي آخر يتّجه عكس متّجه قانون المماثلة ، فإذا كانت المماثلة تبحث على التّقريب بين أصوات المتنافرة ، فإنّ قانون المخالفة يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات ، فيدفع أحدهما إلى المغايرة إلى أحد الصّوائت الطّويلة أو أحد الصّوتين الانتقاليين ، أو إلى أحد تلك الأصوات المتوسطة ، التي هي ( اللّام ، و الميم ، و التّون ، و الرّاء ) . <sup>(4)</sup>

(1) الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 211 .

(2) المدخل إلى علم الأصوات — ص : 81 .

(3) اللّغة — ص : 91 .

(4) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره و علله و قوانينه — ص : 37 . و ينظر : ابن جنّي — المصنف — ج 2

— ص : 209 .

أما أحمد مختار عمر فإنه يركز على الجانب الدلالي في بيان أهميتها ، عندما قال :  
" وإن كانت ضرورية لتحقيق التوازن و تقليل فاعليه عامل المماثلة ، فالعلماء ينظرون  
إلى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة ، لأنها ترمي إلى تخفيض الخلافات بين  
الفونيمات كلما أمكن ، و يتخيلون أنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما إنتهت  
إلى إلغاء التفريق بين الفونيمات ، ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم . ولذا فإن  
عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها ، وإبراز الفونيمات في صورة  
أكثر إستقلالية . " (1) و يؤكد اللغوي ( بروسنهان brosnahan ) أن معظم  
اللغات تستعمل الأصوات الأنفية و الترددية كاللأم و الميم و النون و الراء ، لتحقيق  
ظاهرة المخالفة ، التي يمكن في ضوءها تفسير الكثير من الظواهر التشكيلية التي تطفو  
على سطوح بعض الوحدات اللغوية . (2)

ولعل السر في ذلك أن الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهوداً عضلياً زائداً عن الحاجة  
حين النطق بهما في الكلمة الواحدة ، ومن أجل التقليل من هذا المجهود العضلي إلى الحد  
الأدنى ، يخالف أحد الصوتين إلى مجموعة الأصوات التي سهلت في الكلام ، كأصوات  
اللين و أشباهها . (3) " وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها الكثير  
من المحدثين ، و التي تشير إلى أن الإنسان في نقطة يميل إلى تلمس الأصوات السهلة  
التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها  
السهلة . " (3)

(1) دراسة الصوت اللغوي — ص : 330 .

(2) ينظر : علم الصرف الصوتي — ص : 291 .

(3) ينظر : الأصوات اللغوية — إبراهيم أنيس — ص : 212 .

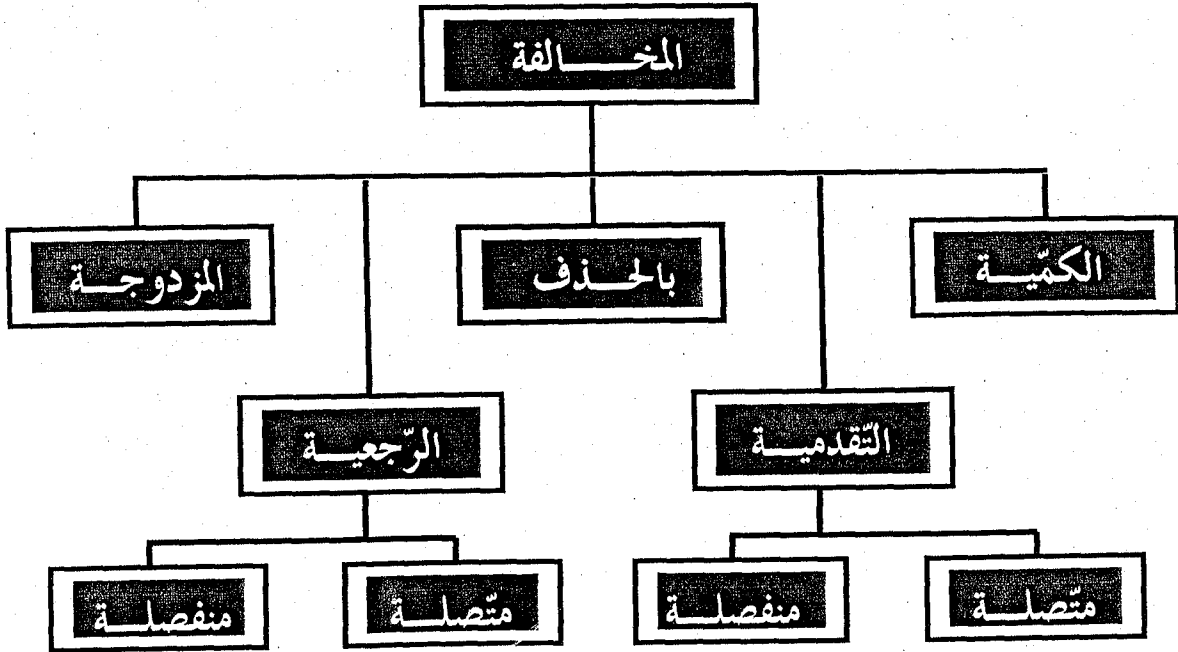
وقد عالج القدماء هذه الظاهرة كسيبويه و ابن جنّي و الفراء و وغيرهم في ضوء تسميات متنوّعة أخرى ، فجاء عن سيبويه : ' كراهية التّضعيف ' ، وعن ابن جنّي : ' ثقل تكرار الأمثال ' ، و عن الفراء : ' إبدال الشّديد ' و عن غيرهم ' كراهة إجتماع حركتين من جنس واحد ' ، و ' كراهة إجتماع الأمثال ' و غيرها .<sup>(1)</sup> يقول ابن جنّي : " اعلم أنّ هذا موضع يدفع ظاهره إلى أن يُعرف غوره و حقيقته ، وذلك أنّه أمر بعض الأمثال إذ تُقلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان ، فيخفّأ على اللسان ، وذلك نحو : ' الحيوان ' ، ألا ترى أنّه عند الجماعة — إلاّ أبا عثمان — من مضاعف الياء ، و أنّ أصله ( حَيَّان ) ، فلمّا ثقل ، عدلوا عن الياء إلى الواو وهذا مع إحاطة العلم بأنّ الواو أثقل من الياء ، لكنّه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك . " <sup>(2)</sup>

والحقيقة التي ذكرناها لا تختلف قليلا أو كثيرا عمّا جاء في قول ابن جنّي ، فالأغلب الأعمّ في الصّوت المخالف أن يُعوّض بأخفّ و أسهل نطقاً ، ولا أخفّ ولا أسهل من أصوات مجموعة المخالفة و المغايرة ( الياء ، الواو ، الميم ، النّون ، اللّام ، الرّاء ) ، رغم أنّ اللفظ الذي مثل به ابن جنّي يصدق كامل الصّدق لتدليل مذهبه .

(1) ينظر : الخصائص — ج3 — ص : 18 ، وينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 81 .  
و ينظر : مجلة التراث العربي — الصّوتيات عند ابن جنّي — العدد : 15 و 16 — ص : 262 .  
(2) الخصائص — ج3 — ص : 18 .

## أنواعها :

كما الحال بالنسبة إلى المماثلة ، تتنوع المخالفة إلى تقديمية و رجعية . والتقدمية أن يوجد صوتان متشابهان ثم يؤثر أولهما في ثانيهما فيكون الثاني هو المخالف ، والرجعية تأتي على العكس من ذلك ، إذ يؤثر ثاني الصوتين في أولهما فيكون الأول هو المخالف ، وبين هذا وذاك ، قد يكون الصوتان محل التأثير في حالة الاتصال ، وقد يكونا منفصلين بعضهما عن البعض ، ففي الحالة الأولى تكون المخالفة متصلة ، بينما في الحالة الثانية تكون منفصلة ، وإذا خالف الصوت الموجود بين مثليه أو مجانسيه فالمخالفة مزدوجة إذن ، وقد تكون نحواً آخر إذا حصل تقليص للصوت أو الزيادة في كميته ، فالمخالفة كمية ، أما إذا لم يتم تعويض الصوت المثل أو المجانس المحذوف فتكون المماثلة وقتئذ بالحذف . هكذا اجتمع لدينا سبعة أنواع من المخالفة ، نمثل لها كالاتي :



وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المتصل، فيكون الثاني هو المخالف .

فالبنية العميقة لـ: كُرْسَانَةٌ هِيَ كُرَّاسَةٌ وَتَقَعُورٌ هِيَ تَقَعَّرٌ وَفَرَكٌ هِيَ فَرَكٌ . (1)

لقد أحسَّ الناطق للصيغ ( كُرَّاسَةٌ ، وَتَقَعَّرٌ ، وَفَرَكٌ ) ثقل الإدغام فيها ، رغم أن الإدغام أسلوب من أساليب التسهيل كونه يختزل عمليتين في واحدة فقط ، إلا أنه أراد أن يتحوّل من سهل إلى أسهل منه عن طريق توظيف عامل المخالفة ، بعد فكّ الإدغام والعودة إلى الأصل ثم مخالفة الصوت الثاني الأول بإبداله بآخر أسهل منه ، من أصوات الإبدال ، كالتون في الصيغة الأولى و الثالثة ، أو أشباهها ، كالواو في الصيغة الثانية .

وفي : ' خَبَّخَبُوا ' التي بنيتها العميقة هي : ' خَبَّبُوا ' بثلاث باءات ، و في

ذلك ثقل واضح ، فقد خالفوا بالياء الوسطى فجعلوها ' خَاءٌ ' ، ولم يجعلوها أحد الأصوات المتوسطة مماثلة للخاء الأولى . (2) " وقالوا في ' طَسَّ ' : ' طَسَّتْ ' ، و في

' لَصَّ ' : ' لَصَّتْ ' و أثبتوها في الجمع ؛ قال الشاعر :

فَتَرَكْنَ هَذَا عَيْلًا أَبْنَاؤَهَا \* وَبَنِي كِنَانَةَ كَاللَّصُوتِ الْمُرْدِّ . " (3)

وإنما دعاهم إلى جعلها تاء ، مجانسةً للسين في الهمس ، حيث أن المجموعة المائعة كلها بمجھورة ، حتى لا تتعثر العملية النطقية و تثقل بالمجھور بعد المهموس .

وفيما يخصّ ( دعاء و بكاء ) فقد خالفت الواو و الياء على الترتيب بعد الفتحة

الطويلة المجانسة لهما إلى همزة . و رغم ثقل الهمزة وعسرها في النطق ، إلا أنها في الموقع الذي تموضعت فيه و بعد إستراحة أعضاء النطق بالفتحة الطويلة قبلها ، سهّلت عملية

(1) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات - ص : 81 - 82 .

(2) ينظر : التطور اللغوي : مظاهره و علله و قوانينه - ص : 40 - 41 .

(3) سرّ صناعة الإعراب - ج 1 - ص : 165 .

التَّلَفُّظ بالصَّيْغَة . فالانسجام الصَّوْتِي لَا يَتَحَقَّقُ مَعَ وَجُودِ الْوَاوِ أَوْ الْيَاءِ ، لِأَنَّ فِي هَذَا  
إِنْتِقَالَ صَوْتِي ثَقِيلٍ مِنَ الْفَتْحَةِ الطَّوِيلَةِ الْمَتَّسِعَةِ إِلَى الْوَاوِ أَوْ الْيَاءِ الضَّيِّقَيْنِ ، بِالإِضَافَةِ  
إِلَى مَا لِاجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ مِنْ ثِقَلِ زَائِدٍ ، فَكَانَ لِلْمَغَايِرَةِ بِالْهَمْزَةِ إِرَاحَةً لِأَعْضَاءِ النَّطْقِ .

## 2 - المخالفة التَّقدِمية المنفصلة :

وفيها يُوَثَّرُ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ فِي الثَّانِي الْمُنْفَصِلِ ، فَيَكُونُ الثَّانِي هُوَ الْمَغَايِرِ .  
يَقُولُ ابْنُ جَنِّي فِي الْخَصَائِصِ فِي بَابِ ' قَلْبِ لَفْظٍ إِلَى لَفْظٍ بِالصَّنْعَةِ وَالتَّلَطُّفِ لَا  
بِالإِقْدَامِ وَالتَّعْجُوفِ ' : " وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ ( تَسْرَيْتَ ) مِنْ لَفْظِ ( س ر ر ) ،  
وَقَدْ أَحَالَته الصَّنْعَةُ إِلَى لَفْظِ ( س ر ي ) . وَمِثْلُهُ ( قَصَيْتُ أَظْفَارِي ) وَهُوَ مِنْ لَفْظِ  
( ق ص ص ) ، وَقَدْ آلَ بِالصَّنْعَةِ إِلَى لَفْظِ ( ق ص ي ) ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : \* تَقْضَى  
الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ \* ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ تَرْكِيْبِ ( ق ض ض ) ، ثُمَّ أَحَالَه مَا  
عَرَضَ مِنْ اسْتِثْقَالِ تَكَرُّرِهِ إِلَى لَفْظِ ( ق ض ي ) . " (1) وَيَقُولُ فِي سِرِّ الصَّنَاعَةِ  
الإِعْرَابِ فِي الْمَوْضُوعِ نَفْسَهُ : " وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : تَطَنَّنْتُ وَ إِنَّمَا هِيَ ( تَفَعَّلْتُ ) مِنْ  
الظَّنِّ ، وَ أَصْلُهَا تَطَنَّنْتُ ، فَحَلَبْتُ النَّوْنَ الثَّلَاثَةَ ' يَاءً ' كَرَاهِيَةَ التَّضْعِيفِ . " (2) وَجَاءَ عَنْهُ  
كَذَلِكَ فِي : أَمَلَيْتُ الْكِتَابَ ، إِنَّمَا أَصْلُهُ ' أَمَلَلْتُ ' فَفَدَّ غَايِرَتِ اللَّامِ الْأَخِيرَةَ إِلَى ' يَاءٍ '  
' هَرَبًا مِنَ التَّضْعِيفِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ بِاللُّغَتَيْنِ جَمِيعًا ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( فَهَيَّيْ تَحْلِي  
تَحْلِيهِ بِحُرَّةٍ وَاحِدًا ) (3) ، وَقَالَ عَزَّ اسْمُهُ : ( وَلِيُمَلِّلُ الذِّي تَحْلِيهِ الْعَقْرَ ) (4) . (5)

(1) الخصاص - ج 2 - ص : 90-91 .

(2) سرّ صناعة الإعراب - ج 2 - ص : 757 .

(3) الآية 5 من الفرقان .

(4) الآية 281 من البقرة .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب - ج 2 - 759 .

وذكر الزركشي في برهانه ، في قوله تعالى : ( إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّرَأَتِي ) (1) ، أن أصله (تصددّة) . و في قول امرئ القيس :

\* فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي \*

معناه : (تنسلل) ، و في بيت مجنون بن عامر :

إني لأستنعي وما بي نعسة \* لعلّ خيالاً منك يلقى خيالاً

أراد (أستنعس) . (2)

نستنتج من الأمثلة السابقة أن القدماء صعب عليهم التضعيف ووجدوا في تحقيقه عسراً ومشقة على اللسان في الارتفاع والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية ، فمالوا إلى إبدال الصوت المضعف بأحد الأصوات المتوسطة ، وقد أبدلوه بصائت قصير فقط ، كما الحال في : تمطى (تمطط) ، وتقضى (تقضض) ، و تنسلي (تنسلل) ، وأستنعي (استنعس) وغيرها ، لسهولة هذه الأصوات ويسرها على التطق . (3)

وإذا بحثنا عن البتين العميقتين لكلمتي : (دهدنتُ ، وَصَهَّصَيْتُ) ، وجدناهما (دهدنتُ ، وَصَهَّصَيْتُ) . "ولكن لم جعلوها 'ياء' دون بقية الحروف ؟ الهاء حرف مهموس ، (لا يوجد في اللغة حرف مجهور يقابله) ، ومن ثمة كان اختيار أي حرف صامت ليس له ما يبرره ، و الصوامت الضعيفة أو الصوامت الطويلة هي حركات مشبعة ، و قد تكون أنصاف حركات أحيانا ، ولذا كثر فيها التغيير ، فكان الأوفق أن

(1) الآية 35 من الأنفال .

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن — الزركشي — تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم — دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع — ط3 — 1980 — ج3 — ص : 389 .

(3) ينظر : الأصوات اللغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 296 .



يُختار أحدها ههنا ، وقد استُبعدت الواو ، لأنّ الياء أخفّ على اللسان منها ، وكذلك الألف لما فيها من مدّ الصّوت ، وهم إنّما تحوّلوا عن الهاء هرباً من الإجهاد ، فتحوّلهم إلى الياء إذن ... فيه راحة للرتين في إخراج الهواء . " (1) فالأمر ههنا لا يتعلّق بالجهر والهمس ، ولا بالبحث عن النّظير المجهور حتّى تتحقّق المخالفة و الإبدال ، و إنّما يتعلّق بمجموعة من الأصوات سهلت في النطق و شاعت في الكلام ، فالتجّئ إليها كلّما اعترى العملية التّطقيّة ثقل ناتج عن ازدواجية الحركة و تكرارها في اللّحظة نفسها .

و الذي سوّغ اختيارهم لصوت ' الياء ' في المثالين السّابقين و في سواهما دون غيره ، كونه أخفّ أفراد مجموعة الإبدال و المخالفة ( ي / و / م / ن / ل / ر ) ، فهي صوت " مجهور مخرجها من وسط اللّسان ، فلمّا توسّط مخرجها الفمّ ، و كان فيها من الخفّة ما ليس في غيرها ، كثر إبدالها كثرةً ليس لغيرها . " (2)

وقد خالفت الهمزة كذلك في ( إيمان ، و إيلاف ، و إيناس ) ؛ يقول ابن جنّي : " متى اجتمعت همزتان و انكسرت الأولى منهما ، قلبت الثانية ' ياءً ' البتّة ، و كان البديل لازماً ، و ذلك قولك ( إيمان ، و إيلاف ، و إيناس ) ، وأصله ( إئمان ، و إئلاف ، و إئناس ) . " (3) وقالوا : آدم ، و آزر ، و في الفعل : آمن ، و آزر ، و في صيغتي التصغير : أويدم ، و أوينخر ، و في الجمع على التّكسير : أوادم ، و أوآخر . (4)

فقد خالفت الهمزة الثانية في الصّينغ إلى مصوّت قصير أو طويل وهو الفتحة ، لأنّ الألف قد تساوي اجتماع فتحتين أو أكثر ، وخالفت في الصّينغ الأخيرة إلى ' واو ' .

(1) الدّراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جنّي — ص : 176 .

(2) شرح الملوّكي في التصريف — ص : 241 .

(3) سرّ صناعة الإعراب — ج 2 — ص : 738 .

(4) نفسه — ج 1 — ص : 101 و — ج 2 — ص : 579 .

ومن صور المخالفة ما يأتي مع جمع التّكسير في صيغة 'مفعال' نحو: قرطاس ،  
تقول: قراطيس ، وفي: مفتح ، تقول: مفتح ، وفي: مضباح ، تقول: مصابيح .  
وكان البناء التقديري هو: قراط|اس ، ومفات|اح ، ومصاب|اح .  
فالألف الأولى هي ألف الصيغة الصرفية للجمع في التّكسير ، والألف الثانية هي صوت  
بنائي في المفرد . فلم تطوّرت إلى مصوّت طويل هو 'الياء' ؟

نقول أنّ القوّة المغايرة في الميدان اللّغوي التي هي المخالفة كانت سبب هذا  
التّبديل ، ذلك أنّ المتكلّم كره هذا النّفس المستمرّ ، وهذا المدّ الصّوتي المتتابع الذي  
يتعب الرّئتين و الناتج عن توالي صائت الفتح ، واستمراره على طول الصّيغة ، فعمد إلى  
تخفيضه وتضييق مجاله بصوت مخالف هو الكسرة الطويلة .

ويتّسع القياس و يطرد الحال و ينسحب الحال على " قصر إعراب جمع المؤنث  
السالم على صورتَي الرّفْع و الجرّ ، فيقال : فاعلاتٌ ، و فاعلاتٍ دون أن يقال :  
فاعلاتٌ في حالة النّصب ، بل هي أيضا فاعلات . وكذلك الحال في لاحقة المثني ،  
حيث كُسرت النون ف قيل : آن ، دون : آنٌ ، وسواء في ذلك الأسماء و الأفعال ،  
فيقال : بابان في بابان ، ويقال : يقتلان في يقتلان ، ويقال : هذان في هذان " (1)  
بدليل بعض الأمثلة الموجودة في مصادر اللّغة التي بقيت على الصّورة الأصليّة ، مثل :  
شّان في مثل قولهم ( شّان أخوك و أبوك ) ، بمعنى أنّهما مفترقان ، فهو تشنية  
' شّت ' ، والشّت : المفترق . (2)

والحال نفسها بالنّسبة لـ ' نون ' التّوكيد المشدّدة ، فهي مفتوحة — كما هو معروف  
— في : يضربنّ و تضربنّ وما إلى ذلك ، غير أنّنا نجد لها مكسورة في مثل : يضربان

(1) العربية الفصحى — ص : 48 — 49 .

(2) ينظر : التطور اللّغوي : مظاهره وعلله وقوانينه — ص : 42 .

'إِنَّا' إلى (33) مرة مقابل 'إِنْنَا' مرة واحدة . (1)

وقد حذفت 'التون' من بعض الكلمات عيناً كما في 'مُدْ' و أصلها 'مُنْدْ' ،

وحذفت في 'إِنَّ' و 'أَنَّ' تخفيفاً ، في مثل قوله عزّ وجلّ : ( وَإِنَّ كَلَّ نَفْسٍ لَهَا

تَمَلِيماً حَافِظٌ ) (2) فـ 'إِنَّ' هنا مخففة من الثقيلة 'إِنَّ' . (3)

وإذا بحثنا في 'السّين' و 'سوف' وجدنا أنّ الأولى كانت نتيجة تطوّر الثانية ،

لأنّ 'سوف' أقدم من 'السّين' ، والسّين جزء مقتطع منها فقط ، بدليل وجودها

على الأصل في اللّغات السّامية الأخرى ، فهي في الآرامية ( sawpā ) ، وهي اسم

معناه فيها الغاية و التّهاية ، بينما كان في العربية القديمة أداة تفيد الاستقبال في الأفعال ،

ثم بدأت تنحو في تطوّرها نحو الاختزال و الاختصار ، إذ تعرّضت لقصّ بعض أطرافها

في الفترة التي سبقت نزول القرآن ، فقد ورد عن العرب قولهم : 'سَوْ' يكون ،

و'سَفْ' يكون ، و'سا' يكون ، وسيكون . (4)

وحذفوا 'التون' من 'يكن' ، فقالوا 'يك' ، كما حذفوها في التّثنية والجمع ،

نحو: الضّاربا زيدا ، والضّاربوا زيدا ، و في قوله تعالى : ( وَالْقَائِمِيُّ الصَّلَاة ) (5)

تخفيفاً لطول الاسم . كما تحذف عن طريق عامل المخالفة الكميّة 'تاء' التّأنيث قبل

'ياء' التّسبب ، كما في : غزّة ← غزّي ، و في مكّة : ← مكّي ،

و في بصرّة : ← بصريّ . (6)

(1) ينظر : التطور اللّغوي : مظاهره وعلله وقوانينه — ص : 46 .

(2) الآية 4 من الطّارق .

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب — ج2 — ص : 547 - 548 .

(4) ينظر : التطور اللّغوي : مظاهره وعلله وقوانينه — ص : 98 - 99 .

(5) الآية 33 من الحجّ .

(6) ينظر : التّطبيق الصّربي — عبده الرّاجحي — دار التّهضة العربية — بيروت — د.ط — 1979 — ص :

وحذف التثوين من كل علم تصفه 'بابن' و تضيفه إلى علم آخر مثل قولك :  
هذا زيد بن عمرو .<sup>(1)</sup> كما سقطت ياء المخاطبة وواو الجماعة من النطق إذا تليت بنون  
التوكيد ثقيلة أو خفيفة أو ألف الوصل ، أو 'ال' التعريف في نحو : ( اكتبني اسمك ،  
واكتبوا الدرس ، واكتبين ، واكتبين ) ؛ تقول فيها : ( اكتب سمك ، واكتب  
درس ، واكتبين ، واكتبين ) .

وقد حذفت اللام في 'ظلت' والأصل 'ظَلَّتْ' بتضعيفها ، هروبا من الحركة  
المزدوجة في النطق ، كما حذفت ياء الجماعة المتكلمة في قوله تعالى : ( طَلَّكَهَا كُنْهَا  
فَبَرَّحَ )<sup>(2)</sup> للسرعة في النطق والاقتصاد في الجهد .<sup>(3)</sup> " و من ذلك حذف 'ياء' في  
قوله تعالى : ( وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ )<sup>(4)</sup> للتخفيف .<sup>(5)</sup> والحقيقة أنها كسرة طويلة قلصت  
إلى قصيرة . وقد سقطت صائت لام الفعل في 'فعل' عند إسناده إلى ضمير الرفع ، كما  
هي الحال في ( قرأ ) في حال إسناده إلى الضمير المتكلم المفرد ( ت ) والمثنى والجمع  
( نا ) ، والمخاطب المفرد المذكر ( ت ) و المفرد المؤنث ( ت ) والمثنى المذكر ( تما )  
والمثنى و الجمع المؤنث ( تن ) ، والغائب المؤنث في حالة الجمع ( ن ) ، نقول فيه :  
قرأتُ وقرأنا وقرأتَ وقرأتِ وقرأتما وقرأتن وقرأن .

فالملاحظ على هذه الصور الإسنادية الجديدة خلوها من صائت لام الفعل ، أي  
سقوط فتحة الهمزة ، و لعل مرد ذلك إلى قانون المخالفة الكمية ، فالعربية تكره توالي

(1) ينظر : نصوص في النحو العربي — ج 1 — ص : 515 .

(2) الآية 63 من الكهف .

(3) ينظر : الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني — ص : 208 .

(4) الآية 4 من الفجر .

(5) من أسرار البلاغة في القرآن — محمود السيد شيخون — مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة — ط 1 —

1984 — ص : 44 .

أربعة مقاطع متشابهة ، وهو ما عالجها القدماء تحت فكرة ' كراهة توالي أربعة متحركات ' ، الأمر الذي يشكّل دون ريب ثقلاً مستمراً ، و من أجل إعادة التوازن إلى هذه الصيغ ، اجتزأت المخالفة فتحة الهمزة ، وقلّصت مقطعين في مقطع واحد من النوع المتوسط بما يتلاءم و حالات الاتجاهات الصوتية و قانون اختزال الجهد .<sup>(1)</sup>

والأمر سار في الإسناد علي الشكل التالي :

قرأ : تُقَطَّع إلى : ← ص م + ص م + ص م .

قرأت ← ص م + ص م + ص م + ص م . ( توالي أربعة مقاطع من النوع القصير ، جميعها مفتوحة ) .

قرأت ← ص م + ص م + ص م + ص م . ( تم انصهار مقطعين في مقطع واحد بعد إسقاط الصائت و تقلص المقاطع المفتوحة من أربعة إلى اثنين فقط ) .

ووجدت المخالفة بالحذف مُتَنَفِّسَهَا عند الهمزة ' . فلما كانت الهمزة صوتاً

عسيرا على النطق تخرج بإجتهاد كما قال سيويه<sup>(2)</sup> ، كونها صوت خنجري انفجاري

لا هو بالمهموس و لا هو بالجهور ، تحتاج في نطقها إلى ثلاث حركات متوالية ( قطع

النفس ، إنطباق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما ) ، كان لابد من التوجه بها إلى جادة

التسهيل .<sup>(1)</sup> والأمر من مهموز ' الفاء ' ( أَكَل ) ، كان القياس أن نقول ( أُوكُل )

كما يقال في الأمر من ( ضَرَبَ ) ( أَضْرَبُ ) ، لكن لما اجتمعت الهمزتان و كانتا أول

الصيغة والحال لا يخلو من الصعوبة عند النطق بالحركة المزدوجة وبخاصة إذا تعلق الأمر

بالهمزة ، وجرى وراء التيسير والاقتصاد في الجهد ، تخلّصت اللغة منهما جميعاً ومن كامل

المقطع الذي يضمهما عن طريق قانون المخالفة بالحذف ، فصارت الصيغة ( كَل ) .

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي — ص : 171-172 .

(2) الكتاب — ج 3 — ص : 548 .

(3) ينظر : نفسه — ص : 177-178 .

وه السبيل نفسه يكون مع مهموز الوسط (رأى) عند صياغة المضارع منه ، فالقياس يرى أن المضارع من (رأى) (يرأى) ، ولما كانت الهمزة عند الحجازيين وغيرهم من القبائل العربية تخفف إلى صائت طويل من جنس حركة ما قبله صار الأمر إلى (يرأى) ، فتوالى صائتان طويلان واضطربت الصيغة المقطعية (ص م ص + م م + م م) ، ولإعادة التوازن لها ولاستحالة النطق بصائتين متواليين ، تخلصت المخالفة بالحذف من أولهما لتنتهي الصيغة إلى (يرى) . والأمر منه يجب أن يكون (إراً) على القياس الصرّفي . والبناء المقطعي للصيغة بناء صحيح يقبله البناء الصوتي العام للغة ، إلا أن الإشكال يتركز حول وجود الهمزتين في الصيغة ، وقد ذكرنا أن الهمزة تُسهّل عموماً ، ولعلّ صيرورة الفعل في الأمر إلى (رَ) يعود بالدرجة الأولى إلى تسهيل الهمزتين وتخفيفهما إلى صائتين طويلين على الشكل (يرأ) .

ولعلّ اضطراب هذه الصيغة الجديدة سببه الصائت الطويل الذي بدأت به ، ممّا لا يتناسب و سنن العربية ، بالإضافة إلى ذلك فقد أحيطت الرّاء بنواتين ولا بدّ من تركيب المقطع على نواة واحدة ، فسقطت النواة الأولى وقلّصت الثانية ، فصار الأمر إلى البنية النهائية على مقطع واحد (رَ) كما هي الحال في : وفي ← ف ، وعى ← ع ، وقى ← ق ، وشى ← ش وغيرها (1) .

فالمخالفة بالحذف كانت لها مهمّة تقليص المقطعين الصوتيين في :

إراً (ص م ص + ص م) إلى مقطع واحد في (رَ) (ص م) .  
و يجري الإسناد مع بقية الضمائر على الشكل : رَ ، ربا ، روا ، رين ، ري ، وفي المضارع : يرى ، يريان ، تريان ، يروا ، يرين ، ترين (2) .

(1) ينظر : علم الصرّف الصوتي — ص : 51-52 .

(2) ينظر : نفسه — ص : 182 إلى 184 .

وجاء في القرآن قوله تعالى : ( سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ )<sup>(1)</sup> ، " وأصله 'إِسْأَلُ' ، فلما نُخِفَّتْ الهمزة ، حُذِفَتْ وألْقِيَتْ فَتَحَّتْهَا عَلَى السَّيْنِ قَبْلَهَا ، اعتدَّ بِهَا ، فَحُذِفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ قَبْلَهَا لِتَحْرُكَ الْحَرْفَ بَعْدَهَا ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرٌ . " <sup>(2)</sup> وَ قَدْ سَارَ الْأَمْرُ وَفَقِ الْآتِي :

( إِسْأَلُ ) نُخِفَّتْ الهمزة فِي الصَّيْغَةِ فَصَارَتْ إِلَى ( إِسَالُ ) ، وَ لَمَّا تَحَرَّكَتِ السَّيْنُ بِالْفَتْحَةِ الطَّوِيلَةِ الْمُخَفَّفَةِ عَنِ الهمزة ، حُذِفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ ، ثُمَّ قُلِّصَتْ الْفَتْحَةُ الطَّوِيلَةُ إِلَى قَصِيرَةٍ فَصِيرَ إِلَى ( سَلُّ ) .

وَقَدْ أُجْرَتْ الْمُخَالَفَةُ الْكَمِّيَّةُ الْبِنَاءِ الْمُقْطَعِي كَمَا يَلِي :

إِسْأَلُ = ← ص م ص + ص م ص .

إِسَالُ = ← ص م + ص م م ص .

سَالُ = ← ص م م ص .

سَلُّ = ← ص م ص .

وَجَاءَ فِي الهمزتين إِذَا التَقْتَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، وَكَانَتَا جَمِيعًا مُتَّفَقِي الْحَرَكَةِ ، حُذِفَتْ أَوَّلَاهُمَا ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو قَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَتَقَطَّ جَا أَشْرَاطُهَا )<sup>(3)</sup> ، بِحَذْفِ هَمْزَةِ 'جَاءَ' ، وَقَوْلُهُ أَيْضًا : ( وَإِطَّ شَا أَنْشَرَهُ )<sup>(4)</sup> ، بِحَذْفِ هَمْزَةِ 'شَاءَ' .<sup>(5)</sup>

(1) الآية 209 من البقرة .

(2) سرّ صناعة الإعراب — ج 2 — ص : 486 .

(3) الآية 19 من محمد .

(4) الآية 22 من عبس .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب — ج 2 — ص : 788 .

وجاء في حالة الهمزة الساكنة المفردة : الحذف ، وينوب عنه إطالة حركة الصامت قبله ، وكان ذلك مطّردا خاصة في الهمزة المسبوقة بالضمّ لثقل تجاورهما ، مثل : مُؤْمِنُونَ ومومنون ، والمُؤْتُونَ الزكاة والموتون الزكاة ، و الفأس والفاس ، والكأس والكاس ، والبئر والبير ، ومثرة وميرة ، وغيرها .

و نمثل لأثر المخالفة بالحذف في البناء المقطعي لهذه البنى بالصيغتين : فأس و فاس .

فأس = ص م ص ص . ( حال الوقف )

فاس = ص م م ص . ( حال الوقف كذلك )

والفرق بين البنائين المقطعيين كما يبدو ، هو تحوّل المقطع الطويل من النوع الخامس ، وهو مقطع غير مرغوب فيه ، تفرّ منه العربية متى سنحت لها الدلالة بذلك ، إلى مقطع طويل من النوع الرابع الذي ترضى به اللغة حال الوقف .

وحذفت الهمزة كذلك في درج الكلام دون حركتها ، لتتبع الساكن قبلها في مثل

قولهم : ( هذا زيدن بوك ) . وفي القرآن على قراءة من قرأ بالحذف قوله تعالى : ( إِنْ السَّامِعَةُ آتِيَتُنَّ كَمَا أَخْفِيهَا )<sup>(1)</sup> ، وقوله أيضا : ( وَمَنْ يُخَيِّرِ سَوْءِنَ آيَتُنَّ خَيْرِي )<sup>(2)</sup> .<sup>(3)</sup>

وقالوا : عدة ، وزنة ، وهبة ، من ( وَعَدَ ، وَوَزَنَ ، وَوَهَبَ ) ؛ بإسقاط الفاء

في المصادر . كما قالوا في : يَدٌ ، دَمٌ ، قَمٌ ، هَنٌ ، أَبٌ ، أَخٌ ، حَمٌ ، بإسقاط " اللام " فيها .<sup>(4)</sup>

(1) الآية 14 من طة .

(2) الآية 21 من طة .

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب — ج 2 — ص : 490 .

(4) ينظر : البرهان في علوم القرآن — ج 3 — ص : 115 .



وتسقط فآؤه كذلك عند إسناده إلى حروف المضارعة ، فنقول : يَعِدُ ، أَرِنُ ، نَهَبُ ،  
والأصل أن يقال على القياس الصَّرْفِي : يَ + وَعَدَ = يَوَعِدُ ، وَ : أ + وَزَنَ =  
أَوْزَنُ ، وَ : نَ + وَهَبَ = نَوَهَبُ ، على وزن ( فَعَلَ - يَفْعَلُ ) ، ويجري التركيب  
المقطعي كالاتي :

يَوَعِدُ ← ص م ص + ص م + ص م .

والملاحظ أن هذا التركيب المقطعي صحيح لا يعتوره الاضطراب ، والإشكال  
يسببه اجتماع الأمثال في المقطع الأول مما ينتج عنه ثقل أثناء النطق ؛ فالياء و الواو  
صائتان انتقاليان ضيقان ، أولهما أمامي وثانيهما خلفي ، يتوسطهما صائتان متسع ، وفي  
انتقال أعضاء النطق من الحركة الضيقة إلى المتسعة و العودة مرة أخرى إلى الضيقة مع  
تشابه هذه الحركات ، فيه بالغ الصعوبة ، الأمر الذي يستدعي تدخل عامل المخالفة  
الكمية لتسوية الوضع وفض النزاع والعودة بالصيغة إلى الاسترسالية في النطق عن طريق  
تقليص هذا المقطع واجتزاء هامشه الثاني الذي هو ( الواو ) ليصير :

يَعِدُ ← ص م + ص م + ص م .

أما ( قال وباع ) ؛ فالبنية العميقة لكل منهما هي : قَوْلَ و بَيْعَ ، من ( القول  
والبَيْع ) ، وتركيبهما المقطعي يسير كما يلي :

قَوْلَ ← ص م + ص م + ص م .

بَيْعَ ← ص م + ص م + ص م .

يلاحظ في تحليلهما توالي ثلاثة مقاطع مفتوحة فيهما من نفس النوع ، " والسلوك  
المقطعي في اللغة العربية يكره تتابع الحركات ويعمد دائما إلى اختصارها ، فإذا توالى  
ثلاث حركات اختصرها إلى اثنتين ، وإذا توالى حركتان مكروهتان كضمة وكسرة ،

حُذفت إحداهما و أُطيلت الأخرى . وهكذا تعالج اللّغة صعوبة توالي الحركات . " (1)  
وعلى هذا قلّصت المخالفة المقطعية المقطعين القصيرين المفتوحين ، الأوّل و الثاني إلى  
مقطع واحد متوسط من النوع المفتوح ؛

قَوْل ← قال = ص م م + ص م .

بَيْع ← باع = ص م م + ص م .

و في ( مَقول و مَبيع ) ؛ يقول الصّرفيون أن أصلها ( مَقوول و مَبِيع ) ، فلما استثقلوا  
الضمة على الواو و على الياء ، نقلوها إلى الصّامت قبلها ، فاجتمع لديهم ساكنان  
فحذفوا أحدهما . غير أن سبب هذا الثقل يمكن تفسيره كما يلي :

لما اجتمع الصّائتان الانتقاليان ( الواو و الياء ) بصائت مجانس لهما ، ثقل على اللسان ،  
وكان لا بد من إجراء جراحة على البناء ، و المهمة موكولة إلى المخالفة الكميّة لتتدبّر  
الأمر ، و الحال يخصّ المقطع الثاني الطويل المغلق ، بتخفيض كميته عن طريق حذف  
هامشه الأوّل وهو ما يقع على الصّائت الانتقالي ( الواو ) ، فيضطرب المقطع عندما  
يصبح مبدوءاً بنوأة ، ممّا هو غير مستساغ ولا موجود في قواعد اللّغة العربية ، فيتخلّى  
المقطع الأوّل على هامشه الثاني له ، فتوازن الصّيغة .

مَقوول ← ص م م + ص م م ص .

مَبِيع ← ص م م + ص م م ص .

ثمّ : مَقول ← ص م + ص م م ص .

مَبِيع ← ص م + ص م م ص .

(1) المنهج الصّوتي للبنية العربية — ص : 185 .

وفي الاسم المنقوص : ' قاضي ' الذي يصير إلى قاضٍ .

قاضي ← ص م م + ص م + ص م ص .

قاضٍ ← ص م م + ص م ص .

فقد تحولت البنية العميقة إلى البنية السطحية كالآتي :

تجاوزت الأشباه في البنية العميقة ( قاضي ) ( كسرة الضاد + الياء + الضمة ) ، وانتقال اللسان فيها من الأمام إلى الخلف أمر يعجل تدخل المخالفة بالحذف التي تتخلص من موضع الثقل و هو الياء المحركة بالضمة ، ( الصائت الانتقالي الأمامي الضيق + الصائت الخلفي الضيق ) ، ليصبح البناء الجديد في البنية السطحية ( قاضٍ ) .

والحال في تصغير ( سَفَرَجَل ) و ( فَرَزْدَق ) يسير وفق الصيغة ( فَعِيلِلل ) الخاصة بتصغير الخماسي ، فيقال : سَفِيرِجِل وَ فَرُزِيدِق ، وقد يقال : سَفِيرِيح وَ فَرُزِيدِ عَلِي الصيغة ( فَعِيلِل ) ، كما قيل في ( قنديل ) ( قُنَيْدِل ) ، إلا أن الصيغتين سارتا في طريق الاختزال و الاختصار ، عندما قلصت المخالفة بالحذف من مقاطعهما ، فالعربية تسير إلى تقصير البنى الطويلة اقتصادا في الجهد عند نطقها ، ومنه :

سَفِيرِجِل  
وَ فَرُزِيدِق ← ص م + ص م + ص م + ص م ص .

فقد اجتمع لكل صيغة أربعة مقاطع ، اثنان قصيران مفتوحان ، و الآخران من النوع المتوسط المغلق ، الأمر الذي يتطلب جريانا متواصلًا في الجهد المبذول ، مما استدعى تخفيض عدد المقاطع تقليصاً لطول الصيغتين و تسهيلاً لنطقهما ، فكان المقطع الأخير هو مدار الاجتراء ، فصار الوضع إلى ثلاثة مقاطع .

فقالوا :

ص م + ص م ص + ص م ص . (1) ← سَفِيرِح  
وَ : فُرَيْزِد

إنَّ الأمثلة التي سقناها و المعالجة تحت قانوني المماثلة والمخالفة الصّوتيين لتبيّن ذوق الناطق العربي و ميوله إلى السّهولة واليسر في الآداء ، و هجره — ما أمكنه ذلك — تلك العناقيد التي تثقل على اللّسان و تجهد الآلة المصوّتة .

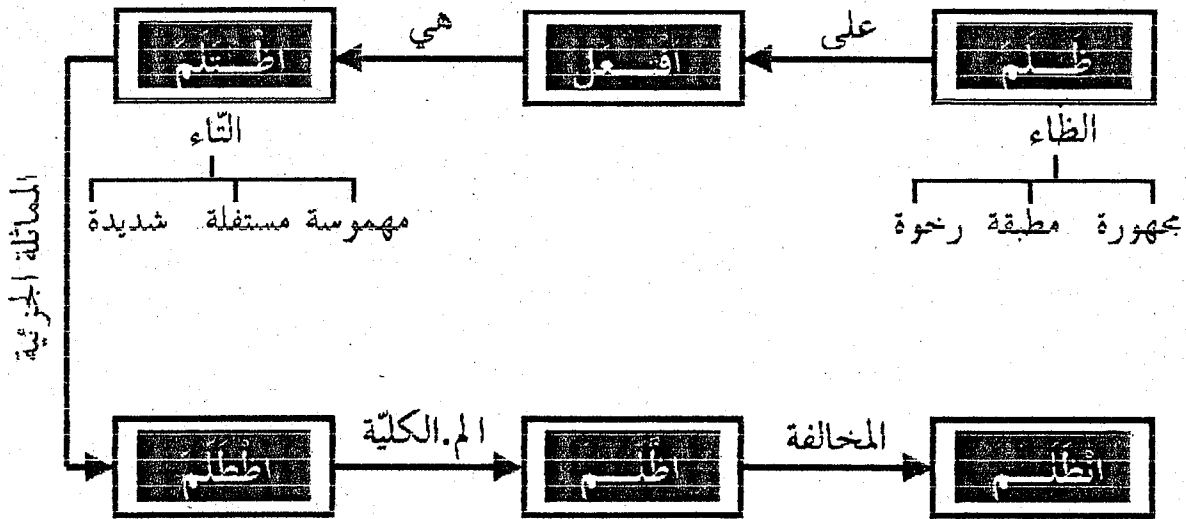
إنَّ المماثلة و المخالفة ظاهرتان متعاكستا الاتجاه ، فكلّ منهما يحاول جذب البنية اللّغوية ناحيته و بالتالي يتحقّق للغة سمتها التّوازنية التي يحكم بنيتها قانون اختزال الجهد والتّيسير في التّطق . (2)

و في الرّسم الموالي (3) يتبيّن لدينا دور كلّ من المماثلة التي تسعى إلى التّقريب بين الصّوتين المتجاورين إلى أن يصبحا أحيانا متماثلين كلّ التّماثل ، ثم يأتي دور المخالفة التي تعمل في الاتّجاه المناظر ، فتقلب أحد الصّوتين المتماثلين أو المتقاربين إلى أحد أصوات اللّين و أشباهها ، بغية التّقليل من الجهود العضلي المبذول ، و في ذلك أقصى مراتب التّيسير .

(1) ينظر : الخصائص — ج 3 — ص : 117 . و ينظر : الكتاب — ج 4 — ص : 365 .

(2) ينظر : الأصوات اللّغوية — عبد القادر عبد الجليل — ص : 292 .

(3) ينظر : نفسه — ص : 293 .



## الفصل الثالث

**وظيفة الاقتصاد المورفولوجي في عملية التواصل  
من خلال سورة " طه " :**

◀ **جوانب العملية التواصلية .**

◀ **وظيفة الاقتصاد المورفولوجي فيها من خلال سورة  
" طه " .**

## جوانب العملية التوأمية

## \*التواصل باعتباره أهم وظيفة في اللغة :

اللغة مجموعة من الأدلة وُضعت بالتواطؤ و الاصطلاح لتفصح عن معانٍ وفق نظام محدد يميزها عن غيرها من الأنظمة . فاللغة بهذا الشكل تعرب عن ذكاء الإنسان الخارق و بحته الدائم عما يكفل له الراحة و يضمن له الاقتصاد في الطاقة . فالإنسان باختراعه هذا يوفر جهود إحضار الأشياء بعينها و يكتفي بذكر ما يدلّ عليها (1) . يقول ابن جنّي : " لكل واحدٍ منها لفظ إذا ذكر عرف به مسمّاه ليمتاز عن غيره و يغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب و أخفّ وأسهل من تكلف إحضاره . " (2) فالدليل اللغوي بهذه الكيفية يتضمّن معنى الاقتصاد . وهو ينقسم إلى صنفين ؛ دليل صوتي و دليل كتابي (3) ، وكلاهما كيان مكوّن من ( دال ) و هو الصّورة الصوتية في الدليل الصوتي ، بينما في الدليل الكتابي هو الصّورة الحرفية ، بمعنى تصوّر السلسلة المتوالية من الحروف التي يتكوّن منها الدليل ، و(مدلول) وهو المفهوم و المعنى المقصود من ( الدّال ) ، و ( مرجع ) وهو ذلك الشّيء الموجود فعلا في الواقع . و يمكن تشخيص هذه الدائرة الدلالية من خلال المثلث اللساني المشهور الذي يشير إلى العلاقة الثلاثية بين الدّال و المدلول و المرجع : (4)

(1) ينظر : محاضرات في علم النفس اللغوي — حنفي بن عيسى — الشركة الوطنية للنشر و التوزيع — الجزائر — ط2 — 1980 — ص : 92 .

(2) الخصائص — ج1 — ص : 44 .

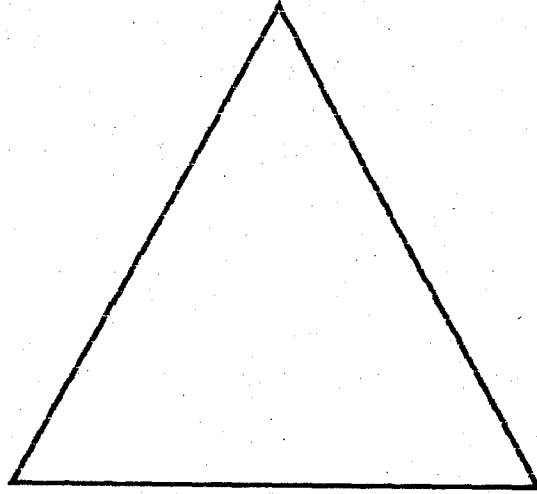
(3) ينظر : ماهي السيمولوجيا — برنار توسان — ترجمة : محمد نظيف — افريقيا الشرق — ط1 — 1994 — ص : 11 .

(4) ينظر : مبادئ اللسانيات — ص : 289 .



المدلول ( sé )

الدليل



الدال ( sa )

المرجع ( Ré )

و اللغة أداة تستعمل لتؤدي وظائف و أغراضا مختلفة داخل المجتمع ، فهي وسيلة في شكلها المكتوب لحفظ حضارات الأمم و نقل تراثها " من الماضي إلى الحاضر ، ومن الحاضر إلى المستقبل ، فهي الجسر الذي تعبر عليه الثقافة عبر الأجيال . " (1) وهي الرابطة بين العبد وربّه ، فبوساطتها يؤدي الفرد صلواته و أدعيته و يقوي علاقته مع خالقه ، وهي طريق الفكر إلى التحليل و التركيب و التصوير و التجريد ، وهي أداة الفرد للتأثير على الغير من خلال أوامره و طلباته ، كما تستخدم كذلك للتعبير عن العواطف و المشاعر الإنسانية وغيرها . " ولكن على الرغم من تعدد وظائفها ، تبقى وظيفتها كوسيلة للاتصال بين البشر أهم تلك الوظائف جميعا . " (2)

(1) اللسانيات من خلال التصوّر — عبد السلام المسدي — نقلاً عن محمود أحمد السيد — الدار التونسية للنشر — ط2 — 1986 — ص : 18 .

(2) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة — نايف حرما — سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب — الكويت — سبتمبر 1978 — ص : 32 .

فاللغة ماهي إلّا وسيلة لنقل الأخبار و المعارف و المعلومات ، بل إن علومها كالفونولوجيا و الصّرف و النحو و البلاغة لتجتمع على حصول الدّلالة أو عدم حصولها ، معنى ذلك أنّها تؤسّس على عنصر التّبلغ و التّواصل .<sup>(1)</sup>

يقول ابن جني مشيراً إلى هذه الوظيفة الأساسيّة للغة التي هي التّواصل : " أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم . " <sup>(2)</sup> و إلى هذا المعنى يجرح فندريس فيرى أنّه " في أحضان المجتمع تكونت اللّغة ، و وجدت اللّغة يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم ... ، فاللّغة هي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى ، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي ، و صارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات ، و قد دانت بنشوتها إلى وجود احتشاد اجتماعي . " <sup>(3)</sup>

فالعبارتان : ' يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم ' ، و عبارة ' وُجدت اللّغة يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم ' تشير بوضوح إلى الوظيفة المركزيّة و الأهمّ في اللّغة التي هي — دون منازع — التّواصل و التّفاهم المتبادل بين أفراد العشيرة و القبيلة أو المجتمع و الأمة الذين يتبادلون نفس السنن .

ويذهب أندري مارتني ولسانيون آخرون في نفس الشّأن ، عندما يرون أنّ إحدى وظائف اللّغة الأساسيّة هي تواصل الناس مع بعضهم بعضاً ، و دخولهم بواسطتها في علاقات تضمن التّفاهم المتبادل بينهم .<sup>(4)</sup>

(1) ينظر : اللّسانيات العامّة — مصطفى حركات — دار الآفاق الجزائر — د.ط — د.ت — ص : 9-10 .

(2) الخصائص — ج 1 — ص : 33 .

(3) اللّغة — ص : 35 .

(4) ينظر : اللّغة و التّواصل — عبد الجليل مرتاض — دار هومة — الجزائر — د.ط — 2000 — ص :

فالتواصل بهذا الاعتبار يعدّ عنصراً من الأهمية بحيث لا يستطيع أن يستغني عنه الإنسان ، فهو أكسجينه الثاني ، يجيا معه و ينتهي بوفاته ، وقد يستمرّ بعده من خلال آثاره المكتوبة . فإذا كانت اللّغة ظاهرة صوتية في المقام الأوّل ، فإن الكتابة ما هي إلاّ صورة مرئية لها ، تنقلها من بعدها الزّمني إلى البعد المكاني<sup>(1)</sup> ، " فالظواهر الصّوتية تتابع في الزّمن ، والحروف المكتوبة تتابع في المكان . " <sup>(2)</sup>

### العملية التّواصلية :

لقد طالعتنا نظرية شانون المعلوماتية منذ 1949 بتعريفها للتواصل بأنه : " تحوّل الإعلام أو تنقله بين باث و متلقٍ ، وذلك بفضل مرسلّة تمرّ عبر قناة ، مثل الإعلام عن طريق [ الهاتف ] حيث الباث أو المتكلّم سيرسل إلى مستقبله أو مكالمه مرسلّة بفعل ذبذبات كهربائية ، بواسطة قناة الخطّ الهاتفي . " <sup>(3)</sup> و الملاحظ في هذا التعريف أنّه مادّي شكلي لا يضطلع بجميع أجزاء العملية التّواصلية و تفاصيلها ، " فإنّ نظرية المعلومات لا تأخذ بعين الاعتبار المظهر الدّلالي و لا تهتمّ إلاّ بالإرسال و التّحويل أو التّقل و استقبال المرسلّة الواردة عليها كشكل . " <sup>(3)</sup>

كما وُضعت تعريفات أخرى للتواصل ، منها ما أشار إليه جون ديويو ( J.Dubois ) في معجم اللّسانيات ؛ عندما قال أنّ : " التّواصل تبادل كلامي بين المتكلّم الذي ينتج ملفوظاً أو قولاً موجهها نحو متكلّم آخر يرغب في السّماع أو الإجابة . " <sup>(4)</sup>

(1) ينظر : اللّسانيات من خلال التّصوص — نقلاً عن محمود فهمي حجازي — ص : 43 .

(2) نفسه — ص : 43 .

(3) اللّغة و التّواصل — ص : 80 .

(4) نفسه — ص : 78 .

وما أشار إليه روبر لافون ( R.Lafon ) عند ما قال إن " التّواصل هو ما يتمّ تبادلُه من أفعال كلامية شفوية كانت أم مكتوبة بين متخاطبين ، ولكي يتحقّق هذا التّبادل لا بدّ أن يتوفّر شرط أساسي وهو : أن ينطلق المتخاطبان من وضع لغوي ( Code ) واحد في الإرسال والاستقبال . " (1)

و يصوغ الباحث الأمريكي شارل كولي ( C. cooly ) تعريفاً آخر يقرب فيه من التعريف السيميولوجي للتواصل ، يقول فيه : " هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية و تتطوّر ، إنّه يشمل كلّ الرّموز الذهنية مع وسائل تبليغها عبر المجال و تعزّيها في الزّمان ، و يتضمّن أيضاً تقاسيم الوجه و تعابيرها ، و هيئات الجسم و الحركات ، و نبرة الصّوت و الكلمات و الكتابات و المطبوعات ... و التّلفّات و التّلفون و كلّ ما يشمله آخر ما تمّ من اكتشافات في الزّمان و المكان . " (2)

فالتواصل بالشكل الذي عرضه ( كولي ) ، يدرج كلّ أنواع التواصل ، سواء تعلق الأمر بالتواصل عن طريق اللّغة الإنسانية المعروفة التي يمثلها ' اللّسان ' أو غيرها من اللّغات الأخرى ، كلغة الإشارة ولغة الرّموز و ما إليها . (3)

ولعلّ ' اللّسان ' هو أهمّ أنظمة التّواصل جميعها ، وهو نظام تتجاوز وحداته و تتقابل وفق قواعد مضبوطة لتأدية الدّلالة و حصول الفائدة بين مستعمليه . " إن امتلاك اللّغة الإنسانية هي السّمة الأكثر تمييزاً للفرد عن باقي التّبعات الثقافيّة الأخرى ، يتعلّق الأمر بسمة ليست فقط مشتركة بين كلّ النّاس بغض النّظر عن انتماءاتهم الثقافيّة ، بل

(1) المجلس الأعلى للغة العربية — بشير ابرير — التّواصل مع التّصّ — مجلّة فصلية يصدرها المجلس — العدد

الرابع — 2001 — ص : 203 .

(2) نفسه — ص : 204 .

(3) Les Formes de la communication / Jaques Durand / Bordas /

Paris / 1981 / p : 2 .

هي الوسيلة الأكثر انتشارا و استعمالا في التّواصل الإنساني . " (1) و يعتقد مارتيني و أصحاب المدرسة الوظيفية أنّ ما يميز اللّسان البشري عن باقي أنظمة التّواصل ، هو أنّه مركّب بطريقة ثنائية (2) من خلال ما ' أسماء بالتّلفظ المزدوج ' ، فهو يتركّب من وحدات دالّة على معنى كالجمل وشبه الجمل و الكلمات ، أصغرها ' المونيم ' ، من جهة ، ومن وحدات خالية من المعنى ، أصغرها ' الفونيم ' ، من جهة أخرى . (2)

ولمّا كان ' اللّسان ' يتكوّن من وحدات دالّة و أخرى غير دالّة ، وجب على طرفي التّواصل ؛ المرسل و المرسل إليه أن يمتلكا نفس السّنن و إلاّ تعطلّ التّواصل و لم يؤد الغرض المرجو منه .

فالتّواصل اللّغوي مسار يجب أن تحمل فيه السّلسلة الصّوتية نفس المعنى بين المتكلم و المستمع ، " فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معيّنة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم ، لأنّ كلّاً منهم يمتلك — بصورة أساسية — نفس تنظيم القواعد . " (3) و على هذا الأساس ، فالتّواصل نظام ينطلق فيه المتكلم و المخاطب " من الوضع نفسه لبناء الخطاب و فكّ رموزه و ارساله و استقباله ، و من ثمّة فهمه في مختلف ظروفه و احواله . " (4)

و تبني العملية التّواصلية على العناصر التالية : (5)

---

(1) La Science de la communication / Judith LAZAR / que sais- je ? / (1)  
Dahleb / 2<sup>ème</sup> édition / 1993 / p : 79 .

(2) ينظر : اللّسانيات العامّة — ص : 8 .

(3) اللّغة و التّواصل — ص : 37 .

(4) التّواصل مع النصّ — المجلس الأعلى للّغة العربية — ص : 204 .

(5) انظر : نخولة طالب الإبراهيمي — مبادئ في اللّسانيات — دار القصبة للنشر — الجزائر — د.ط —

2000 — ص : 27 — 28 .

— المرسل : وهو المتكلم ، صاحب الرسالة و باعثها .

— المرسل إليه : وهو المخاطب ، ملتقط الرسالة و باعثها .

— القناة : وهي موصلُ الرسالة بين المتكلم و المخاطب ، فقد تكون الهواء أو مادة معدنية أو غيرها .

— الرسالة : وهي الخطاب الذي يحمل الدلالة .

— السُنن : النظام المشترك والمتفق عليها بين طرفي التواصل : المرسل و المرسل إليه .

— المرجع : هو الشيء الحقيقي الموجود فعلاً في الواقع ، الذي تحيل إليه الرسالة .

و تتخذ العملية التواصلية " عدّة أبعاد ذهنية و تصوّرات فكرية و قنوات فيزيائية و صوتية و نفسية و فيزيولوجية . " (1)

وهي تقوم وفق مايلي :

أولاً ؛ لا بد أن يتوفّر ' مثير ' يدفع ' المرسل ' إلى الكلام ، و إلّا لما احتاج إلى ذلك . وقد يكون هذا المثير ( Stimulus ) داخلياً كأن يشعر الإنسان بالألم أو الجوع أو العطش أو السّرور و غيرها ، و قد يكون خارجياً ناتجاً عن العالم الخارجي الذي يحيط بالإنسان ، كمشاهدة شخص في موقع خطر يجب تنبيهه و تحذيره و ما إلى ذلك . (2) ثم يعتمد بعد ذلك إلى التصور الفكري الملائم و اختيار المعاني المناسبة و وضعها في قوالبها الجاهزة المتوفرة في لغته ، إلى اختيار الأصوات المناسبة التي بإمكانها أن تحمل تلك القوالب المعنوية ، إلى إصدار الدماغ أوامره إلى الآلة النطقية لتتحرك بالكيفية المناسبة لإصدار هذه السلسلة اللغوية ، فتخرج الأصوات من حيز الكتمان

(1) اللغة و التواصل — ص : 9 .

(2) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة — ص : 78 .

إلى الوجود ، وهنا تقف مهمة المرسل المتكلم (1) تنتقل هذه الأصوات على شكل ذبذبات عبر الهواء وغيره إلى أذن المرسل إليه " فتدق طبليتها و تحدث اهتزازات في أذنه الوسطى و الداخليّة ، لتنتقل عبر الأعصاب إلى الدماغ . " (2) فيقوم بحلّ رموزها وتفكيك شفرتها إلى إدراك تركيبها الصوّقي و الصّرفي و التّحوي وصولاً إلى إدراك دلالتها ومقصود المتكلم من خلالها ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا اشترك المتكلم و المخاطب في نفس السنن .

ومن خلال ما سبق يمكننا تمييز ثلاث مراحل كبرى تبنى عليها العملية

التّواصلية :

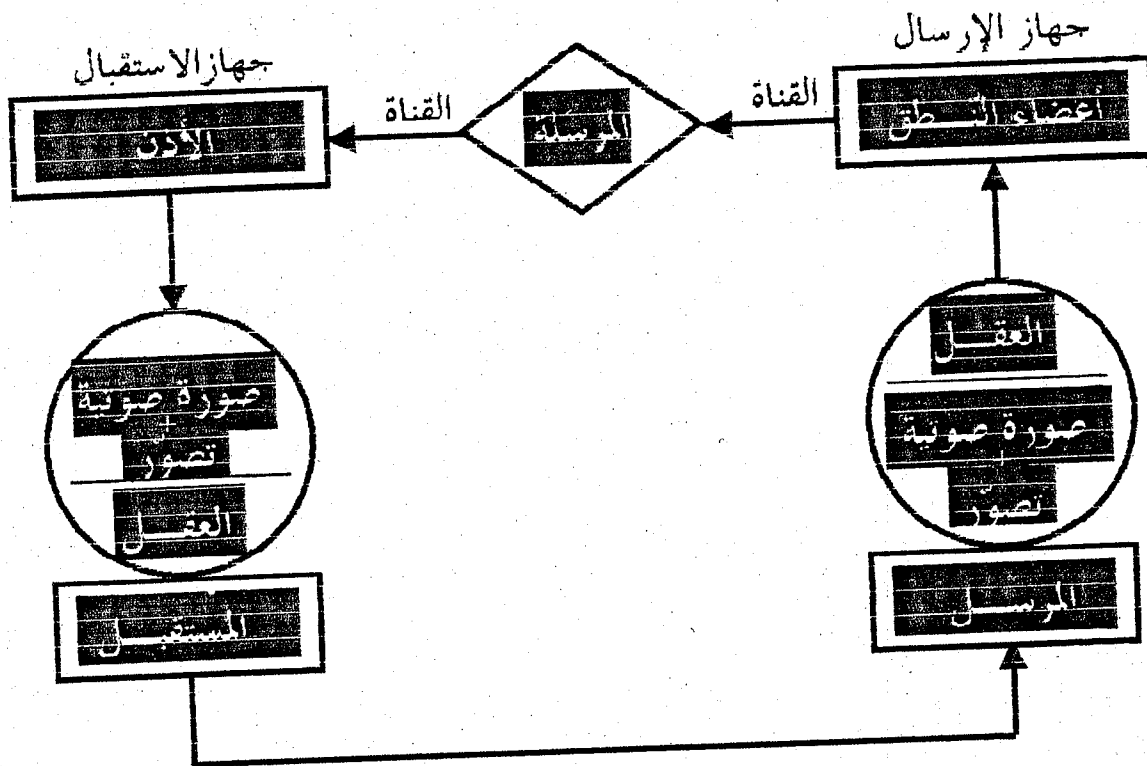
- 1- مرحلة أولى فيزيولوجية عصبية نفسية حركية داخلية تخصّ المرسل المتكلم .
  - 2- مرحلة ثانية فيزيائية محضة تقع بين المرسل و أذن المستمع تهتمّ بنقل المرسلّة .
  - 3- مرحلة ثالثة فيزيولوجية عصبية نفسية حركية داخلية تخصّ المرسل إليه المخاطب . (3)
- و في الرّسم البياني التالي بيان لذلك :

---

(1) ينظر : أضواء على التّراسات اللّغوية المعاصرة — ص : 83 .

(2) نفسه — ص : 84 .

(3) ينظر : اللّغة و التّواصل — ص : 11 . و ينظر : اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة — ص : 156 .



انعكاس متجه الإرسال

— تواصل —

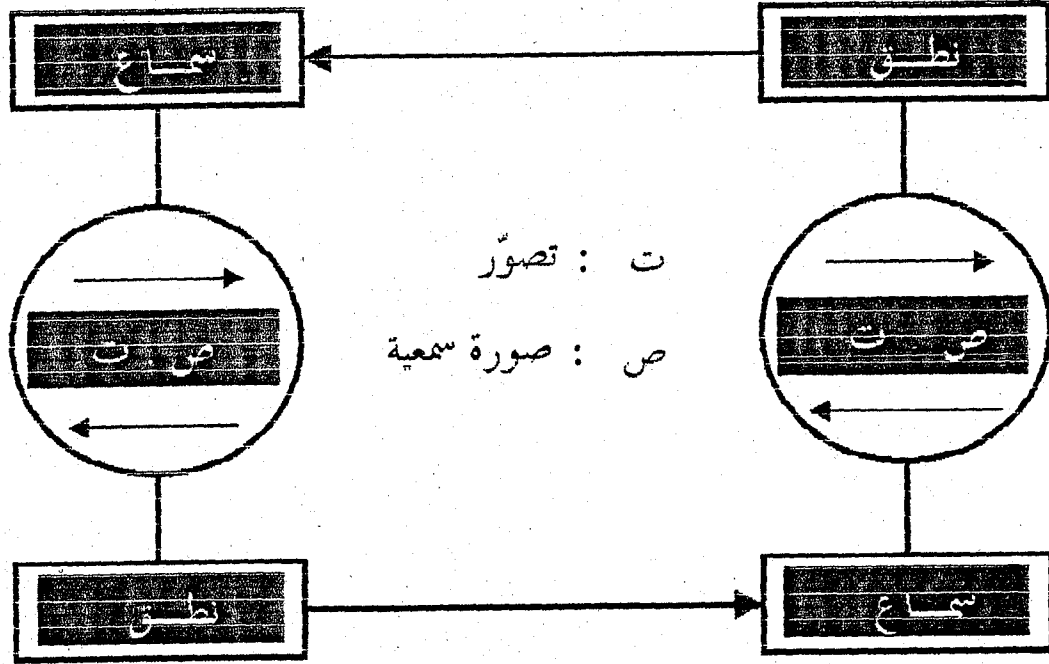


و كان ممن حدّد أبعاد العملية التّواصلية الأوائل بالشّكل الذي أشرنا إليه ، العالم اللّغوي السويسري المشهور فرديناند دي سوسير ، الذي يشترط أن تتوفّر دورة التّواصل على الأقلّ على فردين ؛ ( أ و ب ) ، بحيث تكون نقطة انطلاق الدّورة التّواصلية في ذهن ( أ ) أين توجد المعاني مرتبطة مع صورها السّمعية التي تمثّلها .

إنّ أيّ مفهوم أو معنى ما ، يثير في الدّهن صورة سمعية مناسبة ، وهي عملية فيزيائية متبوعة بعملية فيزيولوجية ممثلة في دفع الدّهن أعضاء النّطق لتتحرك بكيفية مناسبة للصّورة السّمعية ، ثمّ تنتشر الأمواج الصّوتية من فمّ ( أ ) إلى أذن ( ب ) ، وهي مرحلة فيزيائية محضة .

ثمّ يستمرّ المسار التّواصلية إلى ( ب ) على شكل عكسي ؛ من الأذن إلى الدّماغ ، وهي عملية تحويلية فيزيولوجية للصّورة السّمعية ، التي تربط في الدّهن فيزيائياً مع المعنى المناسب ، و إذا تكلم ( ب ) بدوره ، فإنّ هذا الحدث الجديد يسلك نفس المسار ويتبع نفس الخطوات التي سلكها ( أ ) .

و مسار العملية التّواصلية في منظور دي سوسير ، يسير وفق الشّكل التّالي : (1)

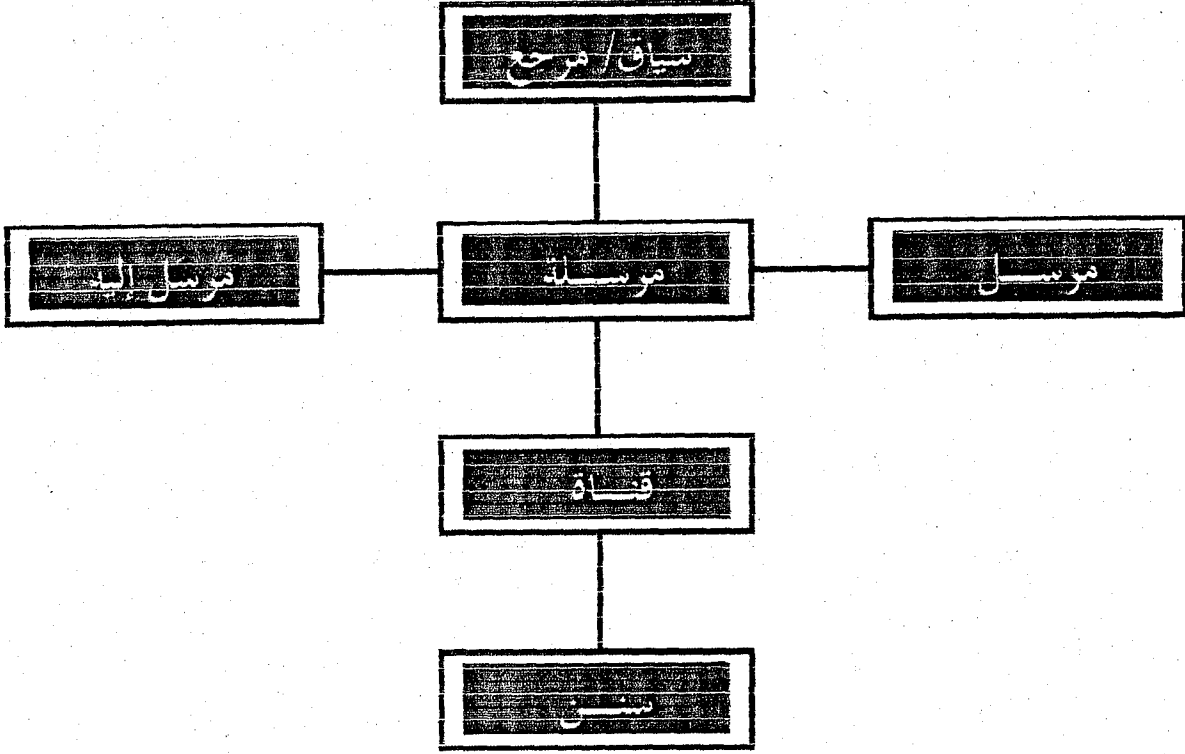


و يعترف دي سوسير بأنّ التحليل الذي قدّمه لا يخلُ من النقص ، و أنّه ركّز على ماهو مهمّ في العملية التّواصلية . (1)

وإذا كان اللّسانيون يعيرون على سوسير إهماله لبعض جوانب العملية التّواصلية " ولاسيما ما كان مرتبطا منها بالقاعدة الفيزيائية التي تساعد على تبليغ المرسلّة و نقل إشاراتها ، و نعي بها القناة ، فضلا عن السّياق الدّال على المقام و الطّروف المحيطة بالإبلاغ ... ، فإنهم يطمئنون أكثر " (2) إلى الدّائرة التّواصلية الجاكوبسونية .

فإذا كان رومان جاكبسون في بحثه على تحديد ' الوظيفة الشّعيرية ' في اللّغة قصّد عزلها ، قد أعاد رسم الدّائرة الكلاسيكية للتّواصل من أجل تكميلتها و دراسة كل ما يرتبط بها . فقد جعل لكلّ عملية تواصلية ستّة عناصر تتكوّن منها :

مرسل ، مرسل إليه ، مرسله ، قناة ، سنن ، و سياق ( مرجع ) .  
و تمثل لها الدوائر اللسانية بالخطاطة التالية : (1)



فالمرسله التي يوجهها المرسل إلى المرسل إليه ، فهي تحيل على مرجع ، كما  
تشرط وجود رابطة بين المرسل و المرسل إليه ، بالإضافة إلى توفر سنن مشترك بينهما .  
وكل من هذه العناصر يؤدي دوره و يترك تأثيره على المرسله . فيكون بذلك ما أسماه

جاكسون 'بوظائف اللغة' ، و تفصيلها كالآتي : (1)

1- الوظيفة المرجعية ( F. référentielle ) :

تتعلق بمرمى و هدف المرجع الذي هو 'التبليغ' و 'التواصل' و 'نقل الخبر' .  
وتعتبر أساس الوظائف الأخرى ، فهي جزء منها و فرع عنها .

2- الوظيفة التعبيرية ( F.éxpressive ) :

تتعلق بالمرسل ، و من خلالها يفصح عن مشاعره و أفكاره و أغراضه . فكل مرسله تحمل سمات صاحبها و تبيّن طبيعته .

3- الوظيفة الخطابية ( F. Conative ) :

تتعلق بالمخاطب من حيث أنّ المرسله موجهة إليه ، فالتوجه إلى المخاطب يعني إثارة وجدانه و ردود أفعاله .

4- الوظيفة التوصيلية ( F. Phatique ) :

تعكس الظروف التي تمّ فيها الخطاب ، و التأكد من كون المرسله تصل فعلا إلى المرسل إليه . و أحسن مثال على ذلك هو استعمال كلمة 'ألو' في الهاتف ، التي ليس لها معنى غير التحقق من أنّ الاتصال واقع و موجود .

5- الوظيفة ما بعد اللسانية ( F.Méta-Linguistique ) :

تعكس وعي المرسل بالقواعد والسّنن التي يستعملها ، و تتجسّد هذه الوظيفة في الشروح التي تتحلل العملية التواصلية ، كقول المتكلّم للمخاطب ، أعني بهذه الكلمة كذا ، و أقصد بالأخرى كذا ... .

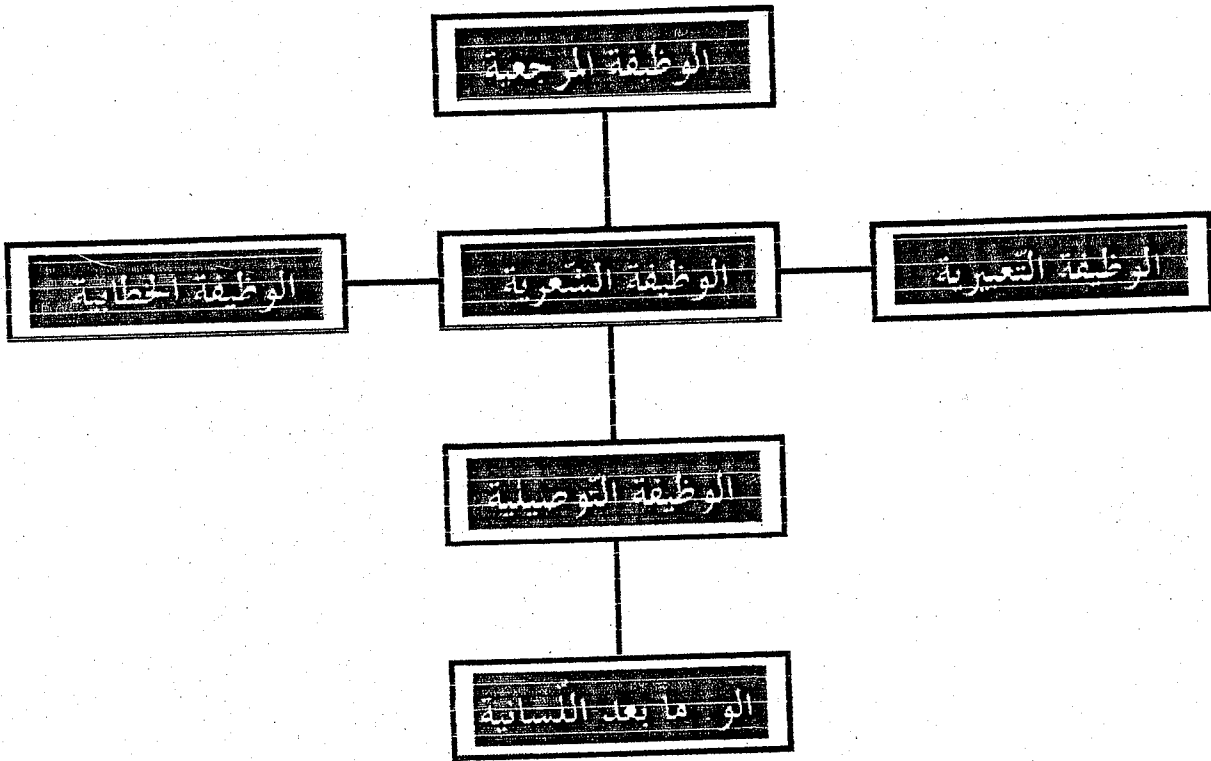
(1) ينظر :

Initiation problèmes aux des linguistiques contemporaines / p : 115 -116 .

و ينظر : حولة طالب الإبراهيمي — مبادئ في اللسانيات — ص : 30-31 . وانظر : محمد الصغير بناني —  
التنظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين — ديوان المطبوعات الجامعية —  
الجزائر — د.ط — 1983 — ص : 195 .

6- الوظيفة الشعرية الجمالية ( F. Poétique ) :

تعكس الشحنة الإضافية و الدلالة الزائدة التي تُثقل بها الرسالة ، فالإهتمام فيها ليس منصباً على الإخبار بقدر ما هو منصب على الكيفية التي صيغت بها هذه الأخبار .  
و كل هذه الوظائف تتعاقب وتتعايش مع بعضها البعض لإقامة العملية التواصلية ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال عزل إحداها و تخصيصها بالتواصل والتبليغ دون بقيتها . (1)



و العملية بهذا الشكل لا تتم بين الباث و المتلقي إلا بتوفر اتفاق دلالي يوازي اتفاقاً صوتياً يوازي تواضعاً بين الطرفين . (2)

(1) ينظر : . / p : 116 Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines

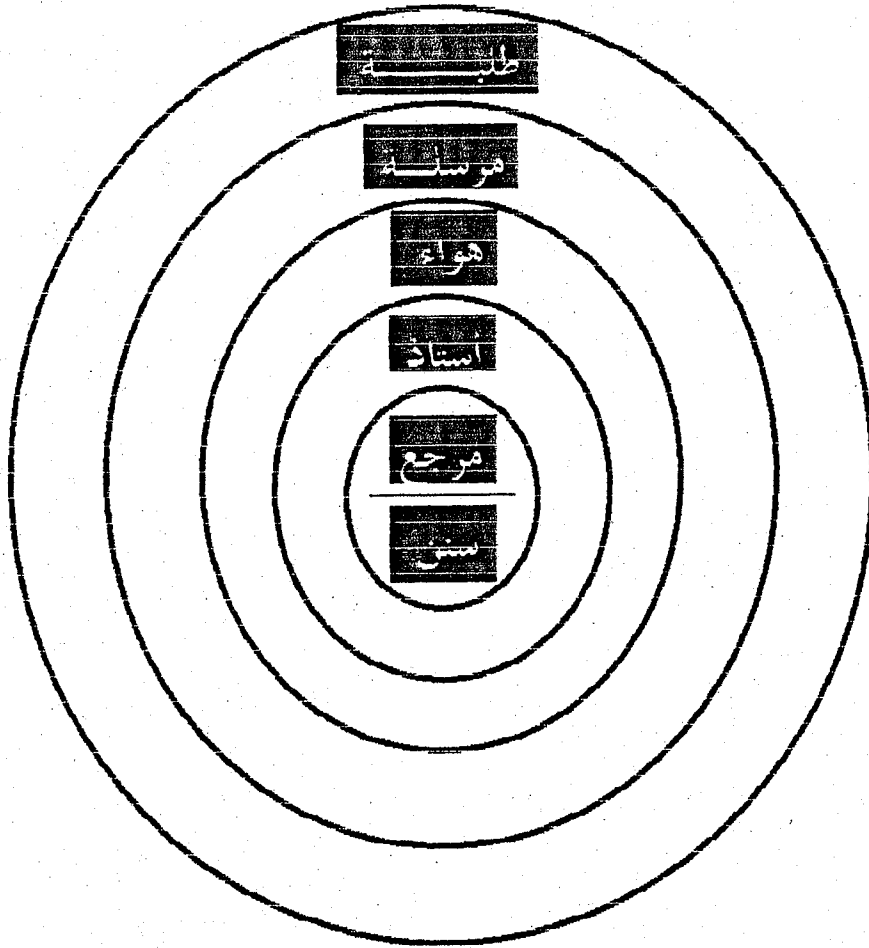
(2) ينظر : اللغة و التواصل — ص : 40 .

المتلقي	المرسل
الاتفاق الدلالي المتبادل ( المدلول )	
الاتفاق الصوتي المتبادل ( الدال )	
التواضع اللغوي المشترك ( العلامة اللسانية )	

وأحسن مثال لها هي ' الحياة التعليمية ' ، من حيث أنّها تمتلك كل آليات التواصل وعناصره ، فالأستاذ يمثل المرسل ، و الطلاب يمثلون المرسل إليه ، و المادة التعليمية المتبادلة بينهما تمثل المرسلة ، و المقام و السياق الذي قيلت فيه هذه المادة العلمية ، يمثل المرجع ، و القناة الناقلة للأصوات بين فم الأستاذ و آذان الطلبة أو العكس هي الهواء الموجود في قاعة الدرس ، و السنن أو الوضع المشترك بين الإرسال و الاستقبال هو اللغة المستعملة و المفهومة لدى الطرفين .

فالعلاقة التواصلية تتحقق على أكثر من صعيد .

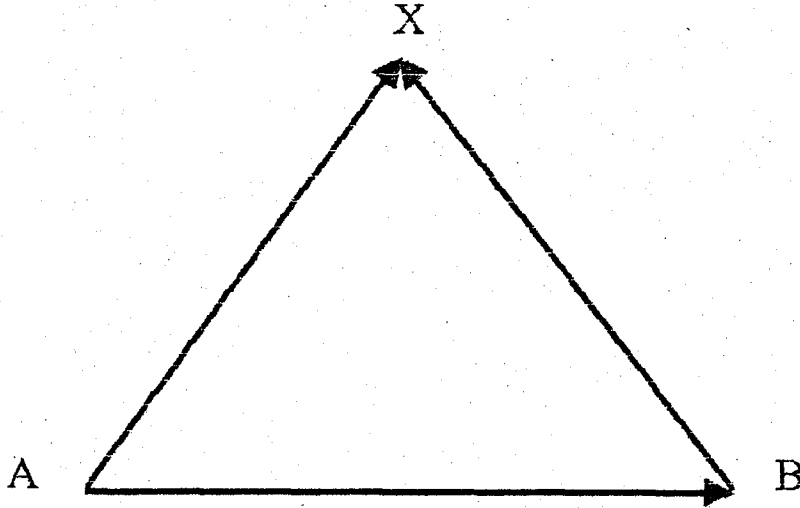
و في هذه الدائرة تلخيص لصيرورتها داخل قاعة الدرس :



وبعد استعراضنا لنموذجي تواصل لقطبين من أقطاب اللسانيات في أوروبا ،  
 لا بأس أن نعرّج على قطب آخر و نموذج مغاير من نماذج التواصل وإن التقت كلّها  
 حول الأهمّ والأصل ، يتعلق الأمر بنموذج 'نيو كنب' ( New Comb )  
 التواصلي الذي أسماه بالنموذج المثلث ، وهو أوّل من أشار إلى أهمية التواصل في  
 العلاقات الاجتماعية .

فبالنسبة له ، يلعب التواصل دوراً بالغ الأهمية في حفظ التوازن داخل النظام الاجتماعي . (1)

و النموذج الذي عرضه يتعلّق بالعلاقات ما بين الأفراد ؛ و يمثّل له بالشكل التالي :



فـ (A) و (B) هما المتكلّم و المخاطب ، يتعلّق الأمر بأفراد ، وقد يتعلّق بمؤسسات و حكومات . و (X) ينتمي إلى محيطهما الاجتماعي ؛ فقد يكون شخص مثلهما ، كما قد يكون شيئاً ما ، و العناصر الثلاثة ( X . B . A ) تكوّن مجتمعة نظاماً ، بمعنى أنّه تجمعهم علاقات متبادلة ، فإذا تغير (X) يتغير كذلك (A) و (B) بدورهما وهكذا .



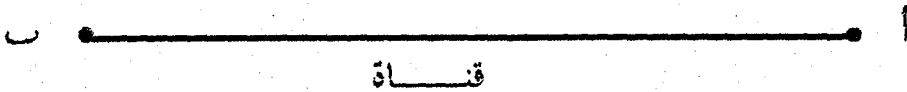
فمن خلال هذا النموذج ، يتبين أن الوظيفة الأساسية للتواصل هي السماح لفردين أو مجموعة من الأفراد من الحفاظ على علاقاتهم تجاه بعضهم بعضا من جهة ، و تجاه العالم الخارجي الذي يحيط بهم من جهة ثانية ، فطرفا التواصل كلاهما متجه نحو الآخر و نحو (X) في الآن ذاته .

فالتواصل بهذا الشكل يفهم على أنه المساق الذي يسعى للإبقاء على الوضعية نفسها بين العناصر الثلاثة ، عن طريق تبليغ المعلومات المتعلقة بكل التطورات المتوقعة حتى يتم التلاؤم معها . و رغم إهماله لبعض عناصر العملية التواصلية ، فإن هذا النموذج ركز على ما رآه مهماً فيها وهو حاجة الأفراد للتواصل فيما بينهم ، قصد التكيف مع المحيط الذي يجمعهم .<sup>(1)</sup>

## أنواع التواصل اللساني :

### 1- التواصل بين الأفراد :

وهو أساس وقاعدة التواصلات الإنسانية ، لذلك لم يكن غريبا أن اهتم به الباحثون .<sup>(2)</sup> وفيه تربط العلاقة بين عنصرين ( مرسل و مستقبل ) بوساطة قناة . ومثال هذا الارتباط بين المرسل و المرسل إليه ، خط يربط بين نقطتين ، كخط الهاتف :<sup>(3)</sup>



Science De la communication / p : 110 - 109 .

(1) ينظر :

(2) نفسه - ص : 53 .

Les Formes de la communication / p : 33 .

(3)

و يقسم بدوره إلى : (1)

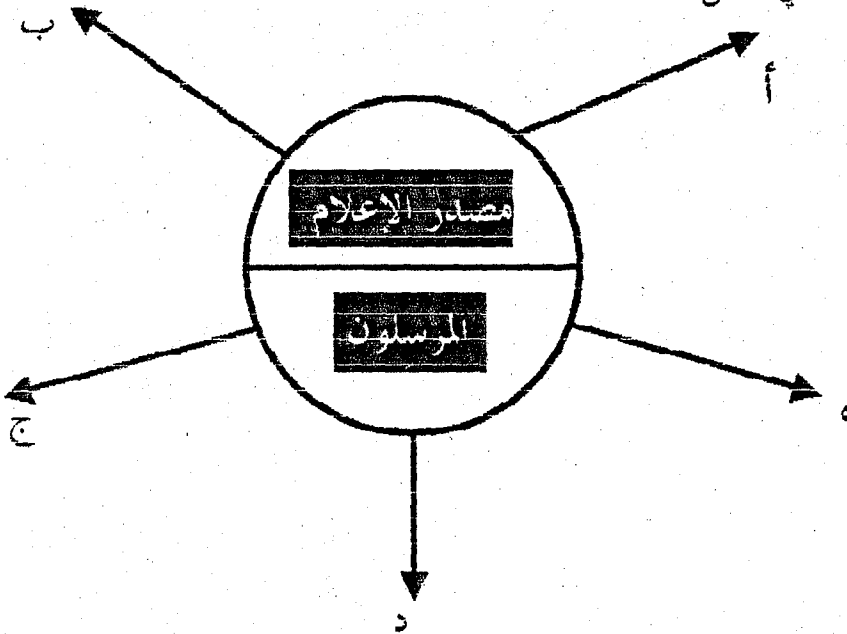
أ- تواصل هوجّه : يستمرّ فيه التّواصل عبر قناة بين عنصرين لهما دوران مختلفان ؛ أحدهما مرسل و الآخر مستقبل .

ب - تواصل متبادل : هو الذي يمكن أن يصبح فيه القطبان كلاهما مرسل و مستقبل ، وهو الأساس في العملية التّواصلية .



## 2- التواصل الجماهيري :

وهو نتاج التطور الصناعي و العمراني ، فهو الذي خلق الوضعية المناسبة لظهوره . (2) و فيه تعدّد أقطاب العملية التّواصلية أين تُترجم العلاقة بين مصدر الإعلام و الجمهور . و في الشّكل التّالي تمثيل لذلك :



Les formes de la communication / p : 34-35 .

(1)

Science De la communication / P : 65 .

(2)

وقد عرف الناس في تواصلهم اللساني قنوات ووسائل و تقنيات جديدة بالإضافة إلى  
التقنية القديمة التي هي المشافهة .

#### 1- الكتابة :

من أهمّ الابتكارات التي ميّزت الإنسان ؛ الكتابة . فهي تعدّ إلى جانب المشافهة  
أساس التواصل الإنساني من حيث أنها حاملة الفكر و متضمّنة جميع معارف و علوم  
الإنسان ، مختزنة في ذلك الزمان و المكان . (1)

#### 2- المذياع و الهاتف :

نتاج التطور التكنولوجي الذي عرفه الإنسان ، فالمذياع و الهاتف مثالان لتسهيل  
التواصل بين الأفراد و الجماعات . (2)

#### 3- السّمي البصري :

هو ذلك التطور العجيب الذي وصل إليه الإنسان خلال العصر الحديث ، وهو  
يوضّح القدرة على مضاعفة ' مرسلّة ' موجهة من خلال سبل سمعية أو سمعية بصرية  
لتمسّ شريحة أكبر من الأفراد . (3)

#### 4- الإعلام الآلي و الإنترنت :

آخر الابتكارات الإنسانية في مجال التواصل ، تتميز بسرعتها في الأداء و القدرة  
على الانتقال إلى أيّ مكان على وجه الأرض ، ومن ثمة التواصل مع أفرادها . (4)

---

La science de la communication / p : 89-90 .

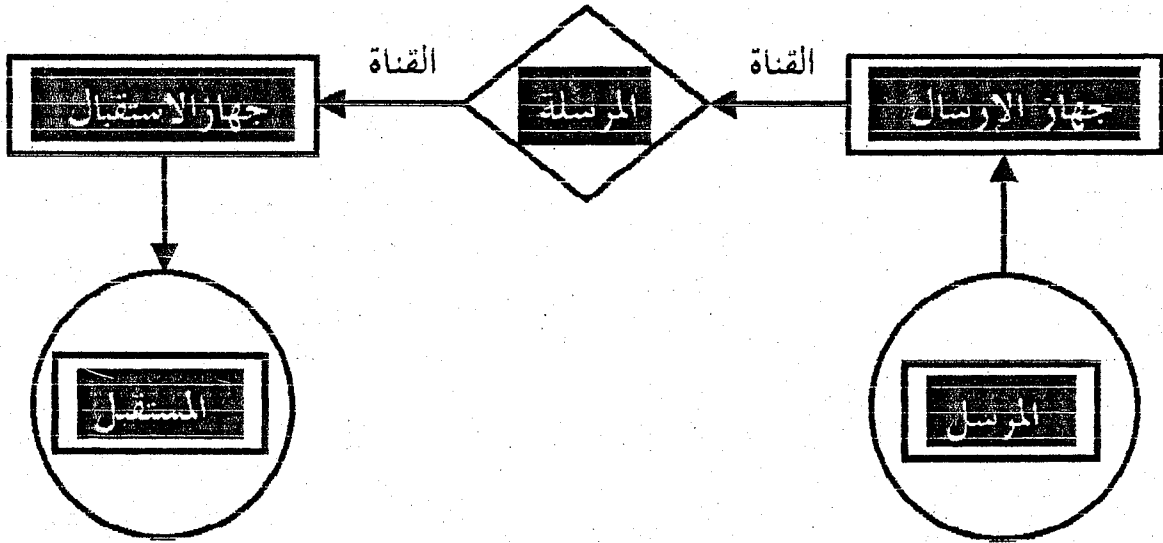
(1)

(2) نفسه — ص : 94 .

(3) نفسه — ص : 95 .

(4) ينظر : نفسه — ص : 98 .

و يمكننا - في آخر المطاف - تصوّر خطاطة تلخّص لنا العملية التّواصلية العامة في أبسط صورها :



وظيفة الاقتصاد الماورفونولوجي فيها

من خلال سورة " طه "

## التخفيف بالسورة

( طة )<sup>(1)</sup> هي السورة العشرون من ترتيب سور القرآن ، وهي من السور المكية ، وآياتها مائة وأربع وثلاثون ( 134 ) ، و تمثل الحزب الثالث والثلاثين من ترتيب أحزاب القرآن الكريم .

والأصل في ' طة ' هو أمر ( بالوطف ) على الأرض ، حيث أن النبي — صلى الله عليه و سلم — كان يقوم في تهجدته على إحدى رجليه ، فأمر بأن ( يَطَأ ) الأرض بقدميه معا . ولما كانت الهمزة أعسرَ على النطق ، خُفِّفت في ( طاها ) — بمعنى ( طأ الأرض ) — إلى ( ألف ) مماثلة للفتحة قبلها لتصير ( طاها ) . وسعيًا لتخفيف العملية النطقية ، ورغبة في الإسراع بها ، اختُصرت الفتحة الطويلة في ( طا ) و ( ها ) إلى قصيرة ، لتصل إلى صورتها السطحية على الشكل ( طة )<sup>(2)</sup> .



و قيل أن أصل ( طة ) هو الحرفان المقطعيان ( طاء ، هاء ) ، ولما ثقلت عليهم ' الهمزة ' في الموضعين خُفِّفت لتصبح ( طاها ) كمرحلة أولى ، ثم اختُصرت الفتحة الطويلة في كليهما لتصير ( طة ) كمرحلة ثانية<sup>(3)</sup> .

(1) الآية 1 .

(2) ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق التبريل و عليون الأقاويل في وجوه التأويل — الزنجشيري — تحقيق

وتعليق : محمد مرسي عامر — دار المصحف — القاهرة — د. ط — د. ت — ج 4 — ص : 25 .

(3) ينظر : في ظلال القرآن — سيد قطب — دار الشروق — بيروت — ط 12 — 1986 — المجلد 4 — ص :

وإذا بحثنا في مضمون هذه السّورة ، وجدناها تُبيّن في مطلعها ، المهمّة الموكلة للرّسول — صلى الله عليه وسلم — وحدود تكاليفه ، فهي ليست ثقلاً ألقى على عاتقه أو شقاءً كُتب عليه ، إنّما هي رحمة ونور و تذكرة و إنذار و سبيل إلى الجنّة .<sup>(1)</sup> فالعودة إلى الله أمر واقع ، و الرّجوع إليه أكيد ، وعندنا سيقف الخلق طائعتهم و عاصيهم أمام جلالته ينتظر و عيده ، فتجزى كل نفس بما اكتسبت في دنياها . ثم تتعرض لقصة سيّدنا موسى — عليه السّلام — من بدء رسالته إلى غاية اتّخاذ بني إسرائيل العجل بعد خروجهم من أرض مصر ، فتبيّن مناجاة الله — سبحانه و تعالى — لكليمه موسى في الواد المقدّس ، ثم تتعرض إلى رحلة موسى وأخيه هارون إلى فرعون لدعوته إلى الهدى ودين الحقّ ، وتُصوّر تلك المناظرة التي دارت بينهما ، و حال منازلته للسّحرة التي انتهت بإيمانهم به و بأخيه هارون ، إلى قصّته مع البحر ثم هلاك فرعون وجنده ، لتعرض بعد ذلك لقصة سيّدنا آدم — عليه السّلام — موجزة سريعة " تبرز فيها رحمة الله لأدم بعد خطيئته و هدايته له ، و ترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار ."<sup>(1)</sup> و تختم السّورة كما بدأت بإشارتها إلى ثواب و جزاء عباد الله ، فيذهب الطّائعون إلى الجنّة التي وعدهم الله بها ، بينما يسير العصاة إلى النار نتيجة كفرهم وعنادهم .

وبعد البحث في السّورة ، تبين أنّ الظّواهر المورفولوجية الواردة فيها فتتخصّر في ظاهرة المماثلة والمخالفة بأنواعها وظاهرة التّحت ، وقد وصل عدد تكرّرها فيها إلى حوالي ( 442 ) مرّة ، وهي مفصّلة كما يأتي :

(1) ينظر : في ضلال القرآن — مج 4 — ص : 2326 .

وينظر : تفسير القرآن الكريم — ابن كثير — دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع — د. ط — د. ت — ج

4 — ص : 494 .

## المماثلة

وقد تكرّرت في سورة ' طه ' مقارنة بجميع أنواع الظواهر المورفولوجية الأخرى بنسبة ( 64,21 % ) ، و من نماذجها :

### 1 - المماثلة الكلية التقديمية المنفصلة :

كان عدد ورودها في السّورة ( 8 ) مرّات ، بنسبة قدرها ( 1,80 % ) ومنها لفظ 'خطايانا' في قوله تعالى : ( ليغفر لنا خطايانا )<sup>(1)</sup> ؛ فهي جمع للكلمة المفردة ( خطيئة ) . والأصل فيها ' الهمز ' ، فكانت في بنيتها العميقة ( خطايئ ) على صيغة ( مفاعل ) ، يقول التحليل الصّري أنّها مرّت بمجموعة من المراحل حتّى استقرّت على صيغتها النهائية ؛ فلمّا وقعت الياء متحرّكة بعد ألف صيغة مفاعل أبدلت همزة ( خطائئ ) ، ثقل عليهم اجتماع همزتين فأبدلوا الهمزة المتطرّفة ياءً ( خطائي ) ، ثمّ استقلوا الكسرة بعد الهمزة في هذا الموضع فأبدلوها فتحة لتصبح ( خطاءي ) ، فتقدّمت الياء المتحرّكة فتحةً فقلبوها ألفاً لتصبح ( خطاء ) ، فوقعت الهمزة بين ألفين وهي شبيهة بهما فقلبت ياءً مخالفة لهما لتصل إلى ( خطايا ) .<sup>(2)</sup> وهي طريق طويلة كما هو واضح . ويمكننا تفسير تطوّرهما من بنيتها العميقة إلى بنيتها السّطحية وفق منظور صوتي ، نقول أنّ الثقل في البنية ناتج عن وجود الصّائت الانتقال

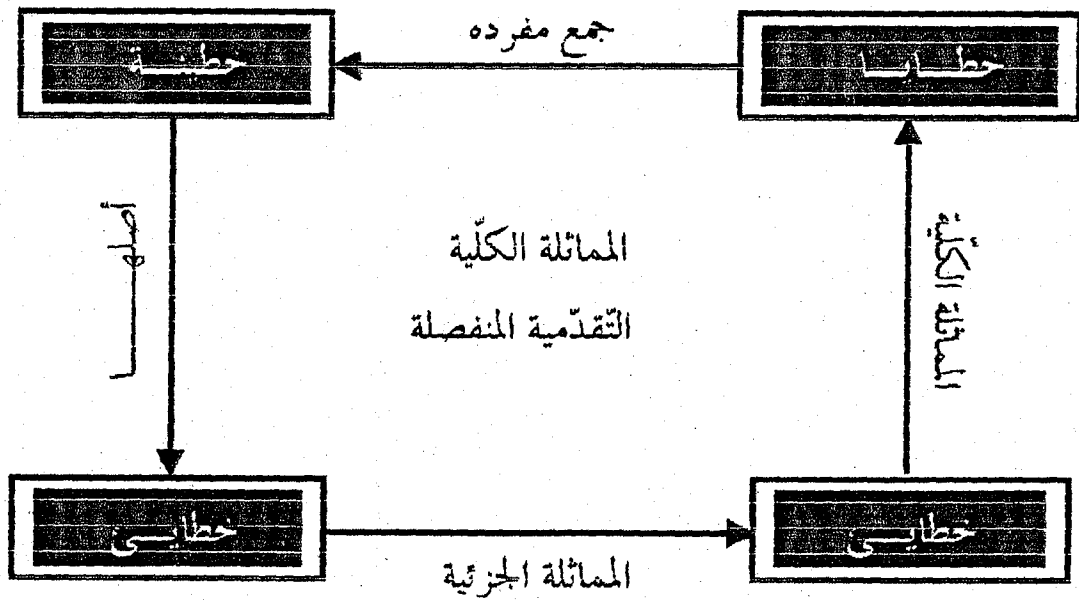
(1) الآية 72 .

(2) ينظر : الخصائص - ج3 - ص : 5 . وينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - ج2 - ص

: 297 .



الضيق الياء المتبوع بصائت ضيق آخر هو الكسرة بين صوتين متسعين هما صائت الفتح الطويل الألف و صامت الهمزة ، الأمر الذي يعيق انسيابية الحركة النطقية و تدفقها على اللسان و حسن وقعها على الأذن مما يعرقل سريان العملية التواصلية بين المتكلم و المستمع ، مما استدعى تحويل الكسرة إلى فتحة مماثلة للألف المنفصل قبلها و الهمزة المتصلة بعدها لتصبح ( خطائى ) ، لتجاور الفتحة و الهمزة و هما جنسان فجمع بينهما في حركة توحد النطق بهما و ذلك بإبدال الهمزة ألفاً مماثلة كلية للألف السابقة لتصير البنية إلى مرحلتها الأخيرة على الشكل ( خطايا ) ، جنوحاً بها إلى التيسير و التسهيل .  
 وفي الخطاطة التالية تمثيل لانتقال الكلمة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية :



و في الألفاظ ( به ، اَقْذِفِيهِ ، سِحْرِهِمْ ، فِيهِ ) في الآيات :  
— ( اَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ) <sup>(1)</sup> وَ ( اِقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ) <sup>(2)</sup> وَ ( مَنْ سَجَرَهُمْ  
أَنَّهُمْ تَسْعَى ) <sup>(3)</sup> وَ ( لَا تَطْغَوْا فِيهِ ) <sup>(4)</sup> .

ففي هذه البنى قد تأثرت حركة الضمّ للضمير الغائب المفرد ( ه ) ، و الجمع الغائب  
المذكر ( هُم ) ، بصائت الكسر المنفصل قبلها سواء أكان قصيرا أم طويلا ، فقلبت إلى  
صوت مماثل ، وهو صائت الكسر نفسه تخفيفاً للنطق واقتصاداً في الجهد بتوحيد  
الصّوائت وجعلها في مستوى واحد دفعا بالعملية التّواصلية نحو السّلاسة والاسترسال  
بين المتكلم و المستمع . فإذا كان الأصل في الضمير : الضمّ ، فكان من حقّ البنى أن  
تكون ( أَشْدُدْ بِهِ ) وَ ( اِقْذِفِيهِ ) وَ ( مَنْ سَجَرَهُمْ ) وَ ( لَا تَطْغَوْا فِيهِ ) ، معنى ذلك  
أن العملية التّواصلية تتعرّض في طرفها الأوّل الذي هو المتكلم من حيث أن لسانه يثقل  
عليه الانتقال من الكسر إلى الضمّ ، أي من الصّائت الأمامي إلى الصّائت الخلفي . فهي  
حركة من الصّعوبة بمكان ، إذ يصتعي عليه الارتفاع بمقدّمه نحو الغار ، ليعاود الكرّة  
بمؤخّرتة والصّعود نحو أقصى الحنك في نفس اللّحظة تقريبا . و تتعرّض في طرفها الثّاني  
الذي هو المستمع من حيث أن جهاز استقباله لا يستانس عدم التّجانس المسجّل بين  
الكسر والضمّ ، رغم وجود الصّائت الذي يفصلهما .

(1) الآية 30 .

(2) الآية 38 .

(3) الآية 65 .

(4) الآية 79 .

## 2 - المماثلة الجزئية التقديمية المتصلة :

تكررت في السورة حوالي ( 4 ) بنسبة لا تتجاوز ( 0,90 % ) ومن أضرهما :

### 1-2: المماثلة بين الصوامت :

في تأثير ( فاء ) الافعال في ( تائه ) ، لما كانت الفاء ( صادًا ) في قوله تعالى :

( اصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) (1) وَ ( اصْطَبِرْ لِنَفْسِي ) (2).

— فالأصل من : اصْطَبِرْ : صَبَرَ + افْتَعَلَ ← اصْطَبِرْ .

— والأصل من : اصْطَبَنْتَكَ : صَنَعَ + افْتَعَلْتُكَ ← اصْطَبَنْتَكَ .

إنَّ طرفي العملية التَّواصلية يجدان — كلٌّ من جهته — صعوبة في إنتاج واستقبال صامتين على التوالي ؛ أحدهما مطبق و الآخر منفتح ، فأعضاء النطق تتعثّر أثناء الانتقال من الاستعلاء والإطباق مع الصّاد ، إلى الاستفال والانفتاح مع التّاء مباشرة . والمعروف أنّ الأصوات المطبقة تخرج من بين أقصى اللسان و أقصى الحنك ، فارتفاع أقصى اللسان إلى أقصى الحنك فيه مشقّة وعسر مضاف إلى مشقّة وعسر الانتقال من الإطباق مع ' الصّاد ' إلى الانفتاح مع ' التّاء ' . أمّا جهاز الاستقبال ، فإنّه يستهجن هذا التّنافر الموجود بين الصّامتين و يستقبحه وينفر منه ، وهو ما دفع باللّغة إلى تسوية الوضع عن طريق تجنب الحركات التّطبيقية التي يمكن الاستغناء عنها اقتصادا في الجهد و ميلا إلى التيسير ودفعها بالعملية التّواصلية إلى الخفّة والسّرعة من خلال توحيد النطق بينهما و جعله في نفس المستوى . فسار الوضع إلى تحويل تلك البنى العميقة إلى سطحية ، يتحقّق فيها عنصر الانسجام والتّلاؤم بين الأصوات ، على الشكل التّالي :

(1) الآية 131 .

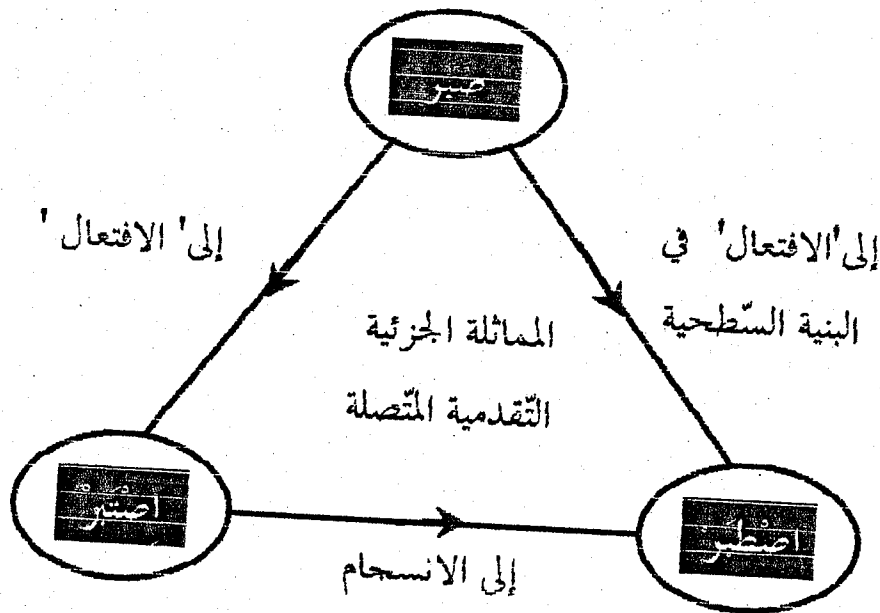
(2) الآية 41 .

- اصْتَبِرْ ← اجتماع فيها ( ص + ت ) = مطبق + منفتح ( عدم التجانس + عسر النطق و ثقله ) ← نحو تحوّل ' التاء ' إلى نظيرها المطبق ' الطاء ' تحت تأثير ' الصاد ' ، إلى ( ص + ط ) = مطبق + مطبق ، إلى البنية السطحية والانسجام ← اصْطَبِرْ .

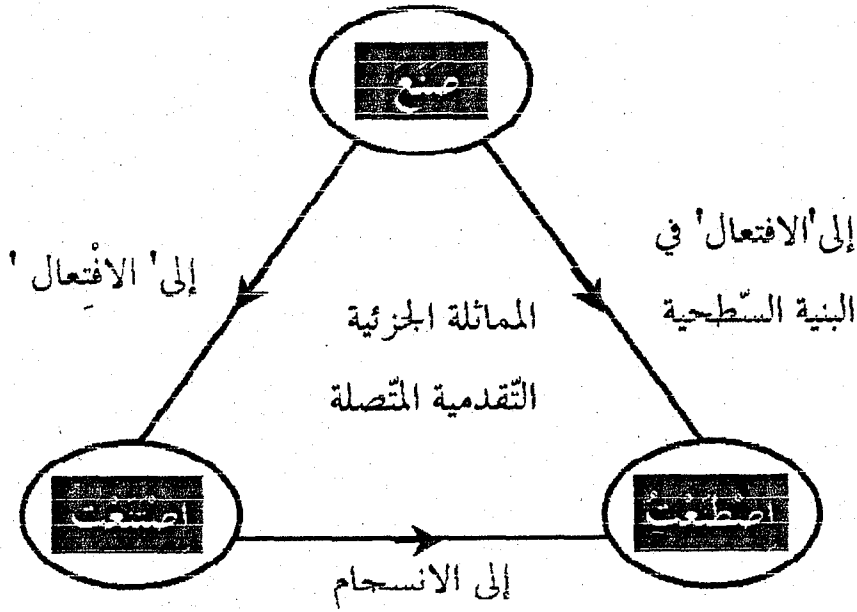
- اصْتَبَتْ ← اجتماع فيها ( ص + ت ) = مطبق + منفتح ( عدم التجانس + عسر النطق و ثقله ) ← تحوّل ' التاء ' إلى نظيرها المطبق ' الطاء ' تحت تأثير ' الصاد ' للمماثلة ← إلى ( ص + ط ) - مطبق + مطبق ، إلى البنية السطحية والانسجام ← اصْطَبَتْ .

وفي الشكل التالي اختصار لعملية تطور الكلمتين :

أولا : مع صيغة ( اصْتَبِرْ ) :



ثانيا : مع صيغة : ( اصْطَبَعْتُ ) :



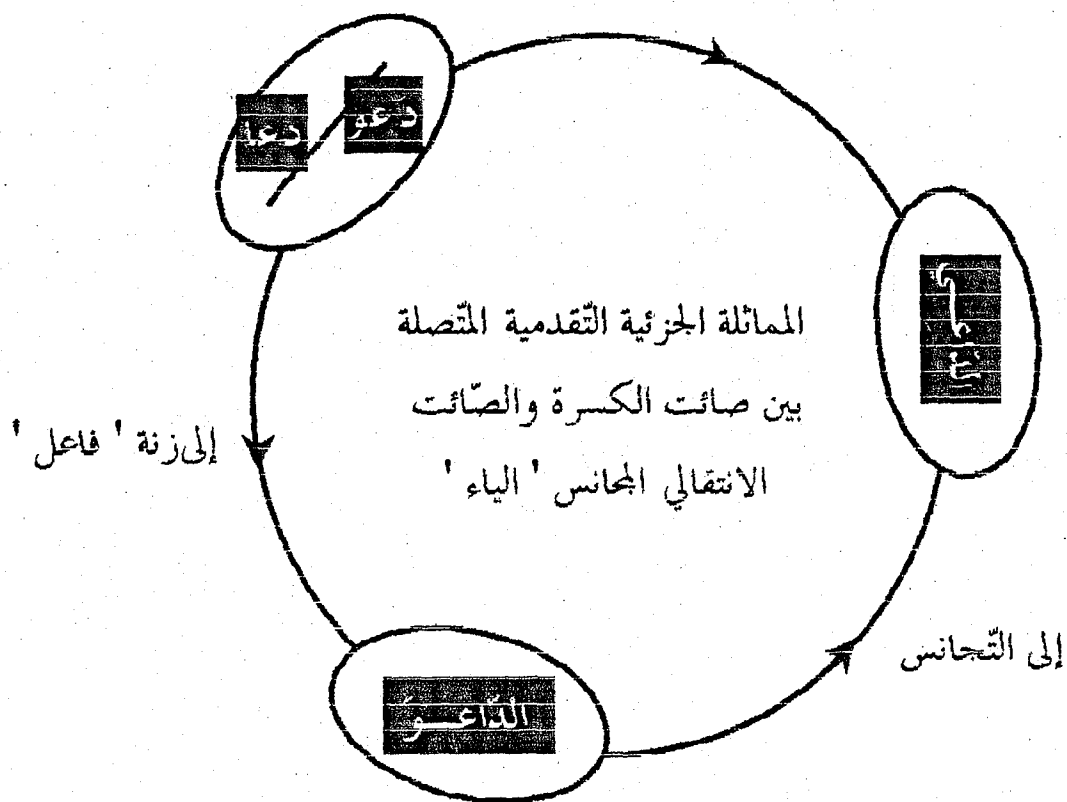
2-2 : المماثلة بين الصّوائت والصّائتين الانتقاليين :

في 'الدّاعي' في قوله عزّ وجلّ : ( يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ لا حَوجَ لَهُ ) (1) ؛  
اسم فاعل من الفعل الثلاثي المعتلّ ( دعا - يدعو - دعوة ) .  
فمن خلال المضارع و المصدر ، يتبيّن أنّ أصل الصّائت الانتقالي 'ياء' في ( الدّاعي )  
هو : ' الواو ' . وعليه ، فأصل الفعل الثلاثي ' دعا ' هو ( دَعَوَ ) ، واسم الفاعل  
منه على زنة ' فاعل ' هو : داعٍ .

(1) الآية 105 .

دَعَوَ ← على وزن 'فاعل' ← دَاعِو ← الدَّاعِوُ .  
 فـ 'الدَّاعِوُ' اجتمع فيها صائت الكسرة الأمامي الضيق مع الصَّائت الانتقالي الخلفي الضيق 'الواو' ، و في اجتماعهما تعرَّض لانسيابية الحركة النطقية و ثقل عليها ، نتيجة الانتقال بينهما من الأمام إلى الخلف ، فالكسرة لا تناسبها 'الواو' ، وسعيًا إلى الانسجام و بحثًا عنه ، من حيث أن الأصوات المنسجمة أقلّ عبثاً على الذاكرة السَّمعية وأيسر على عملية التلفظ (1) ، تحوّل الصَّائت الانتقالي 'الواو' تحت تأثير الصَّائت القصير 'الكسرة' إلى 'بجانس' ، وهو الصَّائت الانتقالي 'الياء' ليصبح في البنية السطحية : الدَّاعِي .  
 و في الرَّسْم التالي توضيح لعملية التطور التي مسّت الكلمة :

إلى زنة 'فاعل' في البنية السطحية



(1) ينظر : موسيقى الشعر — إبراهيم أنيس — دار القلم — بيروت — ط4 — 1972 — ص : 14 .

وفي 'خيفة' في قوله: ( فأوحى في نفسه خيفة موسى )<sup>(1)</sup>؛ فهي مصدر: خاف - يخاف - خوفاً وخيفةً .

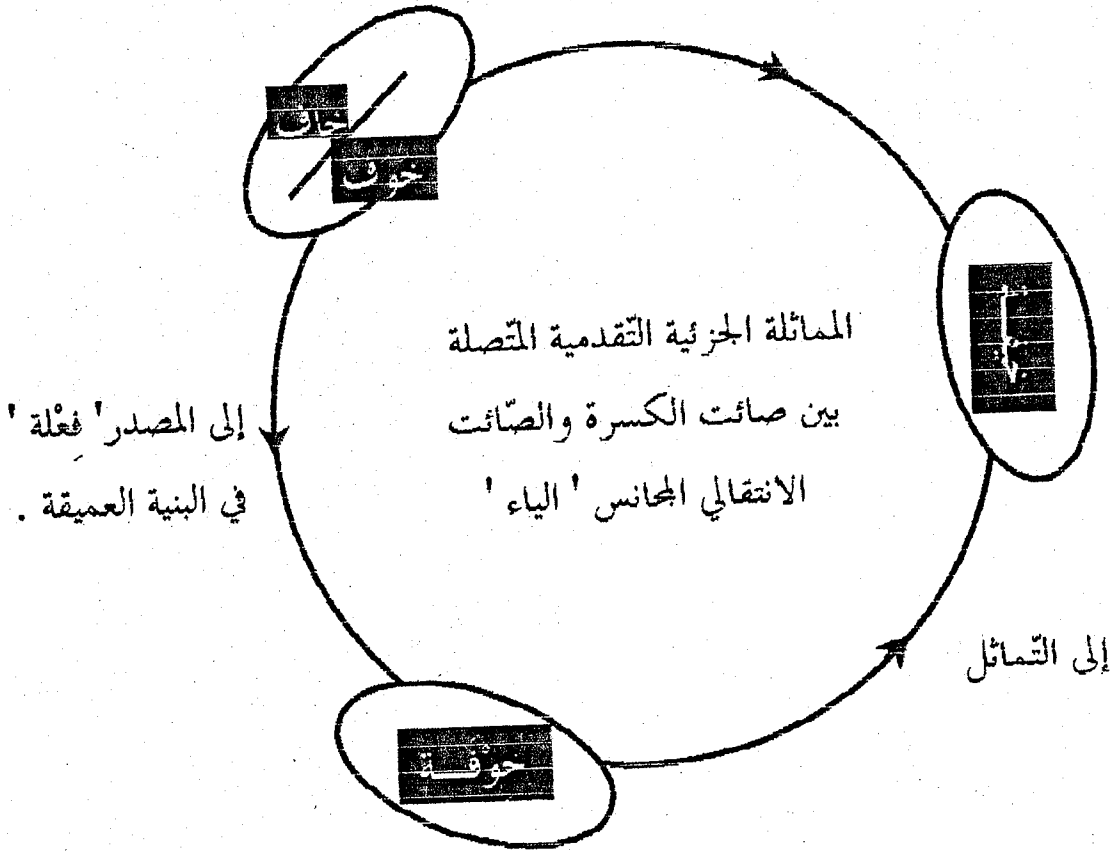
فأصل 'الياء' في ( خيفة ) ، وصائت الفتح الطويل 'الألف' في : خاف - يخاف ؛ هو الصائت الانتقالي 'الواو' ، وعلى ذلك فالبنى العميقة لتلك الصيغ كانت : خَوْفَ ، يَخْوَفُ ، خَوْفاً ، و خَوْفَةً .

ففي ( خَوْفَةً ) ؛ التقى صائت الكسرة مع الصائت الانتقالي 'الواو' دون فاصل بينهما ، وفي التقائهما تنافر يُذهب رنة الانسجام التي تُريح أذن السامع و تُطرب بها ، الأمر الذي دفع بقانون المماثلة الصوتي إلى التَّدخُّل من أجل إشاعة الانسجام بينهما ، عن طريق تحويل أحدهما إلى ما يجانس الآخر ، فتحوَّل الصائت الانتقالي 'الواو' - كونه واقع آخر المقطع ، فهو هامشه الثاني - إلى الصائت الانتقالي 'الياء' ، الذي يتحوَّل بدوره إلى مجرد صائت قصير آخر مماثل للكسرة الأولى ، ليشكَّلا مع الصائت الطويل 'الياء' ، تسهيلاً لعملية التَّنطِق والاستماع .

والرَّسم التالي من شأنه يزيدنا توضيحاً :

(1) الآية 66 .

إلى المصدر 'فَعْلَة' في البنية السطحية .



2-3 : المماثلة بين الصوامت و الصوائت :

في اللفظين : 'تَسْعَى' و 'يسألونك' في قوله : ( **أَنهَآ تَسْعَى** ) (1) ، و  
( **و يسألونك عن الجبال** ) (2) ؛ فقد فتحت عين المضارع فيهما مع أصوات الحلق ؛

(1) الآية 65 .

(2) الآية 103 .



( العين في : تسعى ، و الهمزة في : يسألونك ) ، فجاءت على ميزان ( فَعَلَّ - يَفْعَلُ ) للمجانسة . فالأصل فيها أن تكون مضمومة على صيغة ( فَعَلَّ - يَفْعَلُ ) ، كما في ( كَتَبَ - يَكْتُبُ ) و ( نَصَرَ - يَنْصُرُ ) أو مكسورة على صيغة ( فَعَّلَ - يَفْعِلُ ) ، كما في ( ضَرَبَ - يَضْرِبُ ) و ( غَلَقَ - يَغْلِقُ ) . فقد اختارت العين الفتحة لأن وضع الفم معها يتناسب ووضعه مع العين لانتساع مخرجيهما ، و لم تختَر الضمة أو الكسرة لضيق مخرجيهما ، جنوحا بالنطق نحو الخفة و السهولة و الاقتصاد في المجهود العضلي . (1)

### 3 - المماثلة الجزئية التقديمية المنفصلة :

وقد وصل عددها في السورة إلى ( 15 ) بنسبة قُدِّرت بحوالي ( 3,39 % ) وكان منها لفظ ' كِتَاب ' في الآية : ( قَالِ لِمَ لِمَا يَدْرِي فِيهِ كِتَابٌ ) (2) ؛ تؤثر ' الكسرة ' التالية للكاف مباشرة في الفتحة الطويلة المنفصلة بعدها ، فتسبب نحو الكسرة الطويلة للمماثلة و التقريب فتنتطق بين الفتحة الطويلة و الكسرة الطويلة ، إشاعة للانسجام بين أصوات الكلمة و إسراعاً في تحقيقها .

كِتَاب ← كِتَاب .

و حركة الضمير في : ( يَفْعِلُ إِلَيْهِ ) (3) ؛

فقد تأثرت حركة الضم في ضمير الغائب المفرد ( هُ ) بالصَّائت الانتقالي ' الياء ' ، فقلبت إلى صوت مجانس هو ' الكسرة ' تيسيراً للعملية الكلامية بين

(1) ينظر : الكتاب - ج 2 - ص : 252 . وينظر : الخصائص - ج 2 - ص : 143 .

(2) الآية 51 .

(3) الآية 65 .

المتكلم والمخاطب ودفعاً بها إلى السرعة في التحقيق .  
 فاللسان يعترضه الثقل أثناء نطق الجملة ' يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ' فهي بنيتها العميقة ، عند  
 الانتقال والصعود من الأمام مع ' الياء ' ليعود إلى الخلف و الصعود ثانية مع الضمة في  
 حركتين متتاليتين تقريبا ، إذ الصامت الحاجز بينهما ضعيف في موضعه ، و الأصوات  
 فيها يميّزها التنافر الذي يذهب الانتباه ولا يشدّ رابطة الاتصال بين المتكلم والمخاطب .  
 قد كان تحوّها على الشكل التالي :  
 يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ← يُخَيَّلُ إِلَيْهِ .

#### 4 - المماثلة الكلية الرجعية المتصلة :

فهذا النوع من المماثلة هو الأكثر وقوعاً في سورة ( طة ) ؛ و فيه يؤثر الصوت  
 التالي في السابق فيدفعه إلى الفناء والدّوبان فيه . و كان عدد وروده فيها حوالي ( 103 )  
 بنسبة ( 23,30 % ) من أمثله :  
 \* ( تَذْكُرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى )<sup>(1)</sup> ، ( نَارًا لِعَلِيٍّ )<sup>(2)</sup> ، ( مَنْ لَا يَوْمَنَ بِهَا )<sup>(3)</sup> ،  
 ( مَحْدُوِّلِي )<sup>(4)</sup> ، و غيرها .

فقد التقت في هذه الآيات ' التّون ' الساكنة والتّوين مع ' اللّام ' دون فاصل بينهما ،  
 وهما من نفس المخرج ' اللّثوي ' ( ن ، ر ، ل ) ، تما قد يتقل حركة اللسان عند  
 النطق بهما مجتمعين . فنطق ' التّون ' نطقاً كاملاً بغلاق الآلة المصوّنة ثم فتحها ، ثم العودة

(1) الآية 2 .

(2) الآية 9 .

(3) الآية 15 .

(4) الآية 38 .

إلى النقطة نفسها وبسرعة فائقة لتحقيق ' اللام ' تحقيقاً كاملاً ، فيه عسر و مشقة .  
ولما وجدت اللغة حلاً تستغني بوساطته عن الحركات التطقية الإضافية و تقتصد  
به الجهد العضلي المبذول فرّت إليه ، فكان ذلك الحلّ هو المائلة الكلية بين الصّوتين  
فيزيد رنينهما وقوّة اسماعهما ثمّ يسهّل العملية التواصلية بين المرسل والمستقبل و يبقى  
عليها . فالناطق عوّض القيام بعمليتين لنطق الصّوتين — بمعنى غلق الآلة المصوّتة مرّتين  
وفتحها مرّتين كذلك — بعملية نطقية واحدة فقط ، هي الغلق ' للنون ' والفتح '   
للّام ' مع إطالة مدّة الغلق واستمرار اهتزاز الوترين الصّوتين كون الصّوتين مجهورين  
معاً ، ويكون بذلك قد استغني عن الفتح بالنسبة إلى ' النون ' و الغلق بالنسبة ' للّام ' .  
وكان التطور من البني العميقة إلى البني السطّحية وفق الآتي :

— تذكرة لمن يخشى — ← تذكرة لمن يخشى .

— ناراً لعلّي — ← ناراً لعلّي .

— من لا — ← م / لا .

— عدوّ لي — ← عدوّ لي .

ومنه كذلك في : ( قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ) (1) و ( وَأَرْجُلُكَ مِنْ خِلَافٍ ) (2) ؛

فقد تجاوز مثلاًن - الميم مع الميم - دون فاصل بينهما ، ثم سهل المائلة بينهما تيسيراً وتسهيلاً لجريان السلسلة الكلامية . و كل ما يؤديه الناطق بهما هو الإكتفاء بغلق واحد تزيد مدته و فتح واحد فقط ، عوض تكرير نفس الحركة النطقية مرتين و ما في ذلك من جهد زائد . ليصير النطق في البنية السطحية كالآتي :

— لهمْ موسى ← له / موسى .

— وأرجلكم من خِلاف ← وأرجلك / من خِلاف .

وفيما يخص الآيتين : ( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ) (3) ، و ( قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ) (4) ؛ فقد التقت فيهما التون الساكنة مع الرء ، وهما من المخرج نفس ، ويشتركان في صفتي الجهر و الميوعة ، الأمر الذي سهل على عملية المائلة الكلية الرجعية المتصلة أن تجمع بينهما في حركة نطقية واحدة .  
والذي يحدث في النطق بهما هو ابقاء التحوييف الأنفي مغلقاً مع التون ليستمر النفس مع التحوييف الفموي ، ثم يصعد طرف اللسان مرتعداً نحو

(1) الآية 60 .

(2) الآية 70 .

(3) الآية 46 .

(4) الآية 48 .

اللثة مع إطالة مدّة الارتعاد ، وبذلك يكون المتكلم قد اختصر حركة نطقية إضافية  
وجهدا زائدا يعيق استرسال العملية الكلامية ، فكان التطور الحاصل هو الآتي :

— من رَّبِّك ← م / رَبِّك .

— فمن رَّبِّكما ← فم / رَبِّكما .

## 5 - المماثلة الجزئية الرجعية المتصلة :

وكان عدد تكرر هذا النوع في الصورة (61) مرة ، بنسبة ( 13,80 % )

ومن نماذجه :

### 1-5 : المماثلة بين الصوامت و الصوائت :

تمثل لها بلفظ ' وجوه ' في قوله تعالى : ( وَخَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْبَيِّنَاتِ ) (1) ؛  
فإن بنيتها العميقة هي ' أجوه ' . و منه سار إلى بنيتها السطحية كالآتي :  
لقد تجاوزت ' الهمزة ' مع ' الضمة ' ، فالتقى ثقيل مع ثقيل ، إذ ' الهمزة ' من أثقل  
الصوامت و أعصرها على التطق ، بينما ' الضمة ' تمثل أثقل الصوائت على الإطلاق ،  
فلزم عند ذلك إجراء جراحة في اللفظ لتسهيل نطقه ، فكان أن جيء ' بالواو ' مكان  
' الهمزة ' للمناسبة مع الضمة بعدها ، وموافقة الضمة الطويلة المنفصلة بعد الجيم حتى  
يكون العمل من وجه واحد و في مستوى واحد ، لتنتهي إلى :

— أ جوه ← و جوه .

### 2-5 : المماثلة بين الصوامت :

وفي الآيات : ( هل أحلهم على من يكفله ) (2) ، و ( إننا نغافه إن  
يفرط علينا ) (3) ؛ قد تجاوزت صامت ' التون ' مع ' الياء ' ، وهما من مخرجين متقاربين ،  
تأ يعترى عملية التطق بهما متتالين صعوبة وثقلا . وسعيا من اللغة إلى تجاوز هذه  
الصعوبة وهذا الثقل ، ولما كانا يشتركان في صفة الجهر ، روعي نطقهما دفعة واحدة

(1) الآية 108 .

(2) الآية 40 .

(3) الآية 44 .

من باب المماثلة بينهما ، فكان أن أقفل التَّجويف الأنفي مع ' التَّون ' ، وإطالة مدَّة التَّضيق مع ' الياء ' ، لتصبح البنية السَّطحية كما يلي :

البنية العميقة	البنية السَّطحية
من يكفله	م/ يكفله
أن يفطر	أ/ يفطر

أمَّا في : ( فإِذَا سِيَّ حِيَةً تَسْعَى )<sup>(1)</sup> ؛ فقد تجاور فيها ' التَّنوين ' مع ' التَّاء ' — بمعنى التَّون الساكنة مع التَّاء — دون فاصل بينهما ، و هما من مخرجين متقاربين بالإضافة إلى جهر الأولى و همس الثانية ، ممَّا يثقل اجتماعهما أثناء النُّطق ، إذ يتطلَّب إخراجهما أن يتذبذب أولاً الوتران الصَّوتيان مع ' التَّون ' و يترنل الحنك اللين مع جدار اللسان ، فيغلق التَّجويف الفموي و يمنع الهواء من المرور عبره ، فيفتح له المجرى الأنفي ليتسرَّب منه ، ثمَّ يفتح التَّجويف الفموي من جديد ، فيتوقف الوتران الصَّوتيان عن الذَّبذبة و يتحقَّق صوت ' التَّون ' كاملاً ، ليعاود غلق المجرى الهوائي ثانية و بسرعة فائقة ، و في نفس الموضع تقريباً مع ' التَّاء ' ، و في ذلك مشقَّة و جهد زائدين ، تفرَّ منهما اللُّغة العربيَّة كلُّما سنحت الفرصة . وهو ما يحصل في هذا الموضع ، حيث يتمُّ نطق ' التَّنوين ' و ' التَّاء ' دفعة واحدة و في نقطة واحدة و بغلقٍ واحدٍ و فتح واحد ، مع إطالة مدَّة الحبس و دون اهتزاز للوترين الصَّوتيين ، تخفيفاً على الناطق .

(1) الآية 19 .

كان عدد ورودها قليلاً في السّورة إذ بلغ ( 3 ) مرّات فقط بنسبة ( 0,67 % )  
ومنها لفظ ' النَّار ' في : ( لَعَلِّيْ أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ إِجْدٍ عَلَي النَّارِ هَدًى )<sup>(1)</sup> ؛  
فقد تأثرت ' الفتحة الطويلة ' بعد التّون ' بالكسرة ' المنفصلة بعدها ، فأميلت بسببها  
وَأشربت شيئاً من ' الياء ' ، بأن نُطقت وسطاً بين الصّائت الطّويل ' الألف ' والصّائت  
الطّويل ' الياء ' ، وفي ذلك تقريب لها من ' الكسرة ' التّالية للرّاء تخفيفاً للتّطوق  
بالكلمة .<sup>(2)</sup> فكان التّحول من البنية العميقة إلى السّطحية وفق الآتي :

— النَّارِ ← النَّارِ .

أما ' صِراط ' في الآية : ( مَنْ أَحْبَبَ الصِّرَاطَ السَّوِيَّ )<sup>(3)</sup> ، فأصلها  
( سراط ) . فقد جانسوا بين ( الطّاء و السّين ) في نطقهم لكلمة ( سراط ) ، بأن  
قلبوا ' السّين ' المنفتحة إلى نظيرها المطبق ' الصّاد ' ، و الذي دعاهم إلى هذا ، هروهم  
من حركتين متناقضتين قريبتين من بعضهما ؛ نزول اللّسان مستفلاً نحو قاع الفمّ مع  
الصّوامت المنفتحة كالسّين ، ثم صعوده مطبقاً نحو أقصى الحنك مع الصّوامت المستعلية  
كالصّاد ، وجنوحهم إلى العمل من وجه واحد اقتصاداً في الجهد العضلي المبذول ،  
ورغبة في تحقيق الأثر السّمعي المرجو<sup>(4)</sup> . فكان التّحول إلى البنية السّطحية كالآتي :

— سِراط ← صِراط .

(1) الآية 9 .

(2) على قراءة أبي عمرو و الكسائي - التّشر - ج 2 - ص : 42 .

(3) الآية 134 .

(4) ينظر : سرّ صناعة الاعراب - ج 1 - ص : 212 ، التّطور اللّغوي - ص : 36 ، القراءات وأثرها في

علوم العربية - ج 1 - ص : 101 .



7- المماثلة المزدوجة :

تكررت في السّورة بمعدّل متوسّط إذ بلغ عددها حوالي ( 49 ) بنسبة ( 11,08 % ) في الآيات : ( قال هيّ تحايي )<sup>(1)</sup> ، و ( اطفال عليهم العمد )<sup>(2)</sup> و ( فتاج عليه وهدي )<sup>(3)</sup> ، و ( قال ألقها يا موسى )<sup>(4)</sup> ؛ يقول الصّرفيون في هذه الألفاظ أن أصل ' الألف ' فيها ' واو ' .<sup>(5)</sup>  
ف : عصا ← أصلها ← عَصَوَ .

وَ : طال ( يطول - طولاً ) ← أصلها ← طَوَّلَ .

وَ : تاب ( يتوب - توبةً ) ← أصلها ← تَوَّبَ .

وَ : قال ( يقول - قولاً ) ← أصلها ← قَوَّلَ .

ففي هذه البنى العميقة ( عَصَوَ ، طَوَّلَ ، تَوَّبَ ، قَوَّلَ ) ، وقع الصّائت الانتقال الخلفي الضيّق ' الواو ' بين صائتي ' الفتح ' الأماميين المتسعين ، الأمر الذي صعّب عملية النطق بها مجتمعة ، فكان لا مناص من تدخّل عامل المماثلة المزدوجة ، التي مارست ضغطاً مزدوجاً بواسطة صائتي الفتح على الصّائت الانتقال المشكل ' الواو ' فأفنياه و تحوّلا مجتمعين إلى صائت الفتح الطويل ' الألف ' في البنية السّطحية ليصير الوضع إلى

(1) الآية 17 .

(2) الآية 85 .

(3) الآية 119 .

(4) الآية 18 .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب - ج 1 - ص : 22 . وينظر : شرح ابن عقيل - ج 2 - ص : 306 .

(عصا ، طال ، تاب ، قال) . (1) و في التحليل المقطعي التالي توضيحٌ لذلك :

عَصَوَ	←	ص م + ص م + ح م .
عَصَا	←	ص م + ص م م .
طَوَّلَ	←	ص م + ص م + ح م .
طَالَ	←	ص م م + ص م .
تَوَبَّ	←	ص م + ص م + ح م .
تَابَ	←	ص م م + ص م .
قَوَّلَ	←	ص م + ص م + ح م .
قَالَ	←	ص م م + ص م .

فالفرق واضح بين الصيغة في البنية العميقة و البنية السطحية في كليهما ، هو سقوط الصائت الانتقالي ' الواو ' .

(1) ينظر : العربية الفصحى - ص : 41 .

وفيهما يتحوّل مخرج الصّوت ، فإمّا أن يتقدّم إلى الأمام ، و إمّا أن يتأخّر إلى الخلف ، أو يصعد إلى التّجويف الأنفي أو ينزل منه إلى التّجويف الفموي نتيجة ظروف صوتية محيطية إشاعة للانسجام و خلقاً للتلاؤم بين الأصوات ، قصد توفير الجهد والاقتصاد فيه ، وقد وصل عدد ورودها في السّورة ( 41 ) بنسبة ( 9,27 % ) .

ففي : ( لتبزي كل نفس بما تسعى )<sup>(1)</sup> ، و ( قال فإنّا قد قمتنا قومك من بعدك )<sup>(2)</sup> ، و ( قال اضبط معنا جميعاً بعضك لبعض حدّ )<sup>(3)</sup> ، و ( وله يومن بأياته ربّه )<sup>(4)</sup> ، قد اجتمعت فيها ' التّون الساكنة ' و ' التّوين ' مع ' الباء ' . ولما كان مخرج ' التّون ' من اللّثة ، ومخرج ' الباء ' من الشّفة ، صعب على النّاطق تحقيقهما متجاورين لما فيهما من التّنافر و عرقلة سيرورة العملية التّواصلية وانسيابيتها ، ومن أجل الإسراع بالعملية التّلفظية و الاقتصاد في المجهود العضلي و إراحة المستمع ، تقدّم عامل المماثلة الصّوي ' بالتّون ' من مخرجها اللّثوي ، إلى الأمام حيث مخرج ' الباء ' الشّفوي ، لتصبح ' ميما ' ، من جانب أنّه لا فرق بين الميم و التّون إلّا في نقطة حبس الهواء و صدّه مع ' التّون ' ليتسرب من التّجويف الأنفي . ولما كانت ( الميم و الباء ) تشتركان في نفس المخرج أمكن النّطق بهما من خلال إجراء عملية واحدة ، وفتح واحد و غلق واحد ، وبالتالي يكون المتكلم اقتصد بمجهود عملية نطقية بكاملها ، بمعنى تحطّي فتح العملية الأولى و غلق الثانية .

(1) الآية 14 .

(2) الآية 83 .

(3) الآية 120 .

(4) الآية 125 .

و قد سار التماثل المخرجي في هذه الأساليب من البنى العميقة إلى السطحية كما يلي :

البنية العميقة	البنية السطحية
نفسٍ بما تسعى	نفسمُ بما تسعى
منٌ بعدك	ممٌ بعدك
منها جميعاً بعضكم	منها جميعمُ بعضكم
و لم يومن بأيات	و لم يومم بأيات

وفيما يخصّ ' كِتاب ' في : ( قال علمها عند ربي في كتابه ) (1) ؛ فإنّ الكاف الطَّبْقِيَّة التي تخرج من التحام أقصى اللسان بالطَّبْق ، لما كانت تليها في النطق مباشرة ' الكسرة ' ، التي تحدث من ارتفاع مُقدِّم اللسان نحو الغار ، تطلب أمر التلّفظ بهما متتابعين القيام بحركتين متتاليتين ، إحداهما بأقصى اللسان ، و الأخرى بمقدّمه ، و في ذلك مشقّة زائدة . وللتخلّص من هذا الجهد الإضافي تمّ تقريب مخرج ' الكاف ' من الطَّبْق إلى منطقة وسطى بين الغار و الطَّبْق ليُسمَح لجزء واحد منه إحداث الصّوتين دفعة واحدة . (2)

(1) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي — ص : 328 . وينظر : الوجيز في فقه اللّغة — ص : 271 .  
(1) الآية 51 .

ومن أمثلة المماثلة المخرجة في سورة ' طه ' كذلك ما نجده في البني ( بصيرا ،  
فَطَرْنَا ، أَقْضِ ، صَنَعُوا ) ، في قوله : ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ  
بَصِيرًا ) (1) ، وَ ( وَالطَّيِّبُ فَطَرْنَا ) (2) ، وَ ( فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) (2) ، وَ  
( وَالْقِ مَ فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ صَنَعُوا ) (3) ؛

فقد تجاوزت فيها الأصوات الخلفية ( الصَّاد و الطَّاء و الضَّاد ) مع الصَّائت الأمامي  
( الكسرة أو الفتحة ) ، و هو تجاوز متناقض يستدعي انتقال العملية النطقية من الخلف  
إلى الأمام ، في حركتين متتابعين كما يعرف خفتها وجريانها . وسعيًا إلى جعل العملية  
التلفظية تسير في مستوى واحد اقتصادا في الجهد المبذول ، تأخّرت المماثلة بالصَّائت  
الأمامي ( الكسرة أو الفتحة ) إلى الخلف ، فيتحد المستوى النطقي ، بحثًا للتلاؤم بين  
الأصوات !

(1) الآية 123 .

(2) الآية 71 .

(3) الآية 68 .

## المخالفة

وردت المخالفة في سورة ' طه ' بمجموع ( 156 ) مرة ، بنسبة ( 35,27 % ) وهي تسري سريان المماثلة ، فتنوّع بدورها إلى :

### 1- المخالفة التقديمية المنفصلة :

وجاء عددها في السّورة حوالي ( 13 ) بنسبة مئوية قدرّت بـ ( 2,94 % ) .  
يمثلها في السورة مجموعة من البنى منها ( أنستُ ، آدم ) في الآيتين : ( فقال لأهله  
امكثوا إنّي أنستُ ناراً )<sup>(1)</sup> و ( ولقد محمدنا إلى آداه من قبل فنسي )<sup>(2)</sup> ؛  
— فالبنية العميقة لـ : ( أنستُ ) هي ← أأنستُ .

— و البنية العميقة لـ : ( آدم ) هي ← أأدم .

فقد تجاوزت فيهما ' همزتان ' ، وإذا كانت ' الهمزة ' الواحدة لا تخرج إلا بإجهاد ،  
من حيث أن إنتاجها يتطلب القيام بمرحلتين ؛ سدّ الهواء القادم من الرّئتين عند الحنجرة  
بواسطة الوترين الصّوتيين ، ثم انفراجهما وانطلاق الهواء معهما مُحدثاً صوت الهمزة ،  
وهي حركة من أعسر الحركات على الجهاز النطقي .

فإذا كان الحال كذلك مع ' الهمزة ' الواحدة ، فإن أمر الهمزتين المتجاورتين أشدّ  
كلفةً . وعليه فقد احتاجت اللّغة إلى تصحيح هذا الخلل و نزع هذا الثقل ، فكان قانون  
المخالفة الصّوتي هو السّبيل إلى ذلك عن طريق مغايرة الهمزة الثانية إلى همزة مسهّلة بين  
الألف والهمزة<sup>(3)</sup> تيسيراً على الإجراء النطقي وسريان العملية الكلامية ، وهروباً من

(1) الآية 9 .

(2) الآية 112 .

(3) ينظر : النشر — ج 1 — ص : 279 . وينظر : أثر الفراجات في الأصوات و النحو العربي — ص : 110 .

عسر القيام بالحركة المزدوجة لنطق الهمزتين على التوالي ، فصار التحول كما يلي :

— أَأُنْتُ ← أَأُنْتُ ← أُنْتُ  
— أَادَم ← أَادَم ← آدَم .

وإذا أخذنا صيغ جمع المؤنث السالم في : ( تنزيلاً ممن خلق الأرض  
و السَّمَاوَاتِ )<sup>(1)</sup> ، وَ ( وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتًا قَدْ جَعَلَ الصَّالِحَاتِ )<sup>(2)</sup> ، وَ ( إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ )<sup>(3)</sup> ؛

وجدنا أنها في حال التَّصْب ؛ نُصِبَت بالكسرة عوضاً عن الفتحة . فالأصل فيها أن  
تكون على الشكل : السَّمَاوَاتِ وَ الصَّالِحَاتِ وَ آيَاتِ . فكيف تطوّرت إلى البنية  
السَّطْحِيَّة ؟

نقول أن سبب تطوّر هذه الصّيغ هو أثر القوّة المغايرة في الميدان اللغوي التي هي  
المخالفة ، ذلك أن المتكلم كره استمرارية النفس و المدّ الصّوتي المتواصل الذي يتعب  
الرّئتين ، وهو حاصل توالي صائت الفتح و امتداده على طول تلك البنى ، فعمد إلى  
الحدّ منه وتضييق مجاله تسهيلاً لصيرورة العملية الكلامية بين المتكلم و السّامع ، بتعويضه  
بصوت يخالف هو ' الكسرة ' .

وقد حصل التطور وفق الآتي :

(1) الآية 3 .

(2) الآية 74 .

(3) الآية 126 .

النسبة العميقة	النسبة السطحية
السَّمَاوَاتِ	السَّمَاوَاتِ
الصَّالِحَاتِ	الصَّالِحَاتِ
آيَاتِ	آيَاتِ

ونفس ما قيل على نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة عوضاً عن الفتحة ، يقال كذلك على لاحقة المثني ' أَنْ ' ، سواء تعلق الأمر بالأسماء أو الأفعال ، فالأصل في نونها الفتح ، كما تعلله بعض الصّور الباقية على الأصل مثل ' شَتَّانَ ' (1) .

ففي ( هذان ، ساحران ، يريدان ، يخصفان ) في الآيات : ( قَالُوا إِنَّ هَٰذَا ) (2) ، وَ ( إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرُونَ ) (2) ، وَ ( يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ ) (2) ، وَ ( وَ كَفَيْمَا يَخْفِيَانِ عَلِيمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) (3) ،

فقد كُسِرَتْ فيها التّون حتى تخالف صائت الفتح الطّويل قبلها ، إراحةً لأعضاء النّطق . و كان التّحول من البنية العميقة إلى السّطحية على الشّكل التّالي :

(1) ينظر ص : 103 من هذه الرّسالة .

(2) الآية 62 .

(3) الآية 118 .



البنية السطحية	البنية العميقة
هذَان	هذَان
ساحِرَان	ساحِرَان
يريدَان	يريدَان
يُخَصِفَان	يُخَصِفَان

## 2- المخالفة الرجعية المنفصلة :

وردت في السّورة بعدد لا يتجاوز (7) مرّات ، و بنسبة لا تتعدّى ( 1,58 % ) ، و يمثلها لفظ ( أوّل ، أوّلى ) في قوله تعالى : ( و إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ) (1) ، و ( سنعيدهما سيرتهما الأولى ) (2) ؛ فإن بنيتها العميقة هي : ( وُؤَل ) و ( وُؤلى ) . فقد تكرّر فيها الصّائت الانتقالى ' الواو ' في بداية اللفظ ، وفي تكراره إرهاباً لأعضاء التّلفظ التي يصعب عليها تحقيق العملية نفسها مرّتين على التّوالي . وسعيًا وراء السّهولة والتّيسير ، خالفت ' الواو ' الأولى إلى ' همزة ' . ورغم ثقل الهمزة إلا أنّها في موضعها هذا ، وبتعد مخرجها عن مخرج ' الواو ' الباقية ، سهّلت الإجراء النّطقي للكلمة ، فسارت الحال من البنية

(1) الآية 64 .

العميقة إلى السطحية وفق الآتي :

— وُؤَل ← أُوَل ← سُهَلت إلى أَوَل .  
— وُؤلى ← أُولى .

### 3 - المخالفة المزدوجة :

كان عدد ورودها محتشماً في السّورة إذ لم تتكرّر أكثر من مرّة واحدة ( 1 ) ،  
بنسبة ( 0,22 % ) إلى مجموع تكرّر باقي الظواهر بأنواعها المختلفة ، في لفظ  
( سماءات ) في قوله عزّ من قائل : ( تَنْزِيلًا مِمَّنْ فَلَاقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ  
الْعُلَى ) ( 1 ) ،

فالأصل فيها ( سماءات ) ، فهي جمع مؤنث سالم للمفرد ( سماء ) .

ولما وقعت ' الهمزة ' بين ألفين ، وهي قريبة منهما ، فقد تجاوزت الأشباه ، و في  
ذلك كلفة على النّاطق وثقل على السّامع .

ومن أجل تحريك العملية التّواصلية و تسهيل جريانها ، مورس ضغط مزدوج من

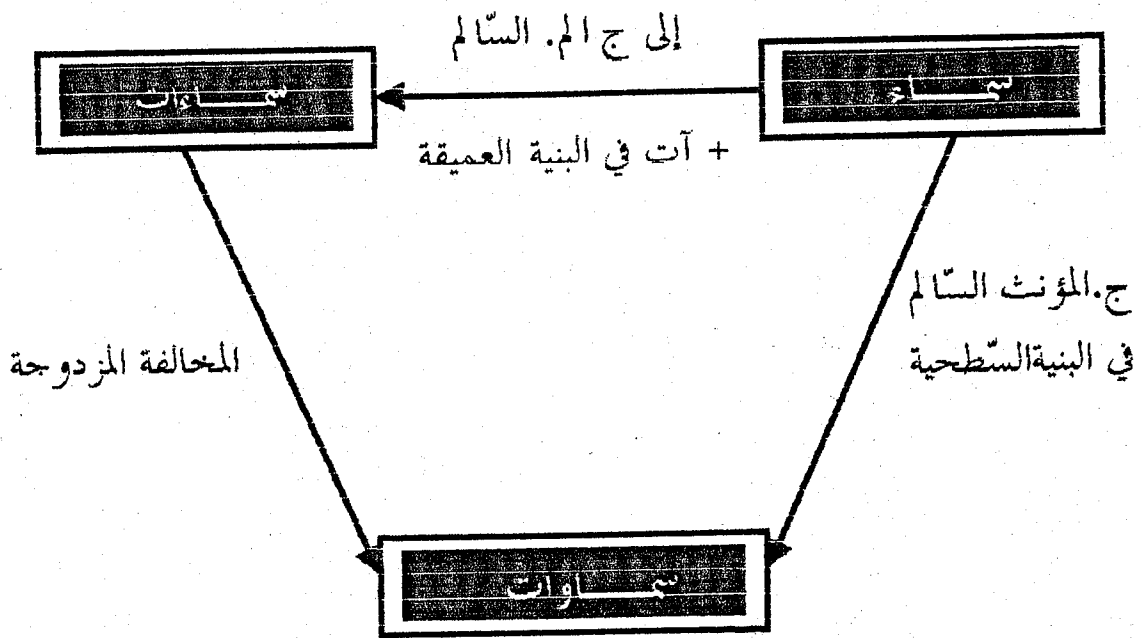
' الألفين ' على ' الهمزة ' ، جعلها تخالف إلى ' واو ' ، وإن كانت الواو من جنسها ،

إلا أنّها في موقعها هذا أخفّ على النّطق و أسهل على الأذن من ' الهمزة ' . ( 2 )

وكان أن حدث التّحول وفق التّالي :

( 1 ) الآية 3 .

( 2 ) ينظر : العربية الفصحى — ص : 47 - 48 .



وقد ارتفع عددها إذ وصل إلى حوالي ( 102 ) مرة ، بنسبة وصلت إلى ( 23,07 % ) مقارنة بعدد جميع الظواهر الواردة في السّورة بمختلف أنواعها ، و من مظاهرها في سورة ' طه ' ؛ سقوط ' صائت ' لام الفعل في ( فَعَلَ ) وَ ( أَفْعَلَ ) عند اسناده إلى ضمير الرّفْع للمخاطب المفرد المذكّر ( ت ) ، والجمع المذكّر ( تم ) ، و إلى ضمير المتكلم للجمع ( نا ) ، في ( قَتَلْتَهُ نَفْسًا ) <sup>(1)</sup> ، وَ ( فَلَبِثْتُمْ سِنِينَ فِيهِ أَهْلَ مَدْيَنَ ) <sup>(1)</sup> ، وَ ( قَالَ آمَنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ آخِذَ لِحْمِهِ ) <sup>(2)</sup> ، وَ ( مَا خَلَقْتُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) <sup>(3)</sup> ، وَ ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نَعْبُدُكُمْ ) <sup>(4)</sup> ، وَ ( كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) <sup>(5)</sup> ؛

فالملاحظ على هذه الصّور الإسنادية أنّ ' صائت ' لام الفعل قد اجتزئ منها ؛ بمعنى سقوط الفتحة من ' اللّام ' في ( قَتَلْت ) ، ومن ' الثاء ' في ( لبثت ) ، و من ' التّون ' في ( آمنتم ) ، ومن ' الفاء ' في ( أخلقتم ) ، ومن ' القاف ' في ( خلقنا ) ، ومن ' القاف ' كذلك في ( رزقنا ) ، ولعلّ ذلك راجع إلى عامل المخالفة ، لأنّ العربية تكره توالي المقاطع المفتوحة ، الأمر الذي يشكّل ثقلاً واضحاً على الآلة النطقية . ومن أجل إعادة التّوازن إلى هذه الصّيغ ، أُسقط ' صائت ' لام الفعل ، واختصر المقطعان في مقطع واحد من النوع المتوسّط بما يتلاءم و اتجاهات السّهولة

(1) الآية 40 .

(2) الآية 70 .

(3) الآية 85 .

(4) الآية 54 .

(5) الآية 79 .

والتيسير وقانون الجهد الأدنى . (1) و قد سار تطوّر هذه الصوّر الإسنادية كما يأتي :

بنائها المقطوعي	البنية العميقة
ص م + ص م + ص م + ص م .	قَتَلْتِ
ص م + ص م + ص م + ص م .	لَبِثْتِ
ص م م + ص م + ص م + ص م .	أَمَنْتُمْ
ص م ص + ص م + ص م + ص م .	أَخْلَفْتُمْ
ص م م + ص م + ص م + ص م .	خَلَقْنَا
ص م م + ص م + ص م + ص م .	رَزَقْنَا
بنائها المتطوعي	البنية السطحية
ص م + ص م + ص م + ص م .	قَتَلْتِ
ص م + ص م + ص م + ص م .	لَبِثْتِ
ص م م + ص م + ص م + ص م .	أَمَنْتُمْ
ص م ص + ص م + ص م + ص م .	أَخْلَفْتُمْ
ص م م + ص م + ص م + ص م .	خَلَقْنَا
ص م م + ص م + ص م + ص م .	رَزَقْنَا

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي - ص : 171 - 172 .

ومنها إسقاط ' الهمزة ' الساكنة وإطالة الحركة قبلها بواسطة عامل المخالفة

بالحذف في ( مومن ، ياخذ ، يات ، نوثر ، وامر ، فاتياه ) في الآيات : ( مومن

يعمل من السالوات وهو مومن ) (1) ، و ( ياخذ محذو لي و محذو له ) (2) ،

و ( إنه من يات ربه مجرماً ) (3) ، و ( قالوا لن نوثر ك على ما جاءنا من

البيئات ) (4) ؛

فرغم أن اللغة العربية الفصحى تُفضل المقاطع المقفلة و تلجأ في كثير من الأحيان إلى غلق

المتوحة ، لسهولة و سرعة تحقيقها ، إلا أنها في هذه البنى وإن أرغمت على فتح

المقاطع الأولى المقفلة ، فإنها تكون دون شك قد خففت من ثقلها عن طريق تلخيصها

من أثقل الأصوات فيها وهو صوت ' الهمزة ' (5) .

وتحوّلها من البناء العميق إلى البناء السطحي أخذ المسار التالي :

---

(1) الآية 109 .

(2) الآية 38 .

(3) الآية 73 .

(4) الآية 71 .

(5) ينظر : أثر القراءات في الأصوات و التحو العربي — ص : 108 .

بنائها المقطعي	البنية العميقة
ص م ص + ص م + ص م .	مُؤْمِنٌ
ص م ص + ص م ص + ص م .	يَأْخُذُهُ
ص م ص + ص م .	يَأْتِ
ص م ص + ص م + ص م + ص م .	نُؤْتِرُكَ

بنائها المقطعي	البنية السطحية
ص م م + ص م + ص م .	مُؤْمِنٌ
ص م م + ص م ص + ص م .	يَأْخُذُهُ
ص م م + ص م .	يَأْتِ
ص م م + ص م + ص م + ص م .	نُؤْتِرُكَ

والمضارع ( يرون ) في : ( أَفلا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) (1) ، الذي هو من الثلاثي المعتل ( رأى ) المسند إلى ' ياء ' المضارعة ، وإلى ' واو ' الجماعة في حالة الرفع بالتون ( يـ + رأى + ون ) .  
 فبنية العميقة على هذا الحال هي ( يراًونَ ) ، على زنة ' يفعلون ' . فكيف تطوّرت إلى ( يَروُنَ ) ؟

— يَراًونَ ← ص م ص + ص م م ص + ص م .

من التحليل المقطعي يتّضح أن المقطع الطويل ( ص م م ص ) قد توسّط هذه البنية العميقة فأحدث فيها اضطراباً وأخلّ بتوازنها ممّا استدعى حذف هامشه الأوّل الذي هو ' الهمزة ' لتصير الصيغة إلى ( يراونَ ) ، فيتغيّر تشكيلها المقطعي إلى :

( ص م + ص م م ص + ص م ) ،

فيظهر فيها من جديد ذلك المقطع الممنوع في موقعه ذاك ، وفي هذه المرّة تُقلّص نواته إلى نصفها ، لتنتهي الصيغة إلى صورتها السطحية ( يَروُنَ ) .  
 وفي الجدول التالي توضيح للمسار التحويلي لتلك البنية :

(1) الآية 87 .



الصيغة	تركيبها المقطعي
رأى	ص م + ص م م .
يَ + رأى + وُنَ	ص م ص + ص م م ص + ص م .
يَراوُنَ	ص م + ص م م ص + ص م .
يَروُنَ	ص م + ص م ص + ص م .

ومن أمثلة المخالفة بالحذف أيضا لفظ 'ظَلَّتْ' في : ( وانظروا إلى العاكس الذي ظلَّت عليه محامها )<sup>(1)</sup> ؛ فهي البنية السطحية للبنية العميقة : ( ظَلَّتْ ) .  
فقد قلّصت المخالفة بالحذف من بنائه ، بأن اجتزأت 'لامه' الأولى ، هروبا من الحركة المزدوجة الثقيلة على النطق .  
وقد كان حاصل التحول وفق ما يتضح من خلال هذا الجدول :

البنية	بنائها المتطوعي
ظَلَّتْ	ص م + ص م ص + ص م .
ظَلَّتْ	ص م ص + ص م .

(1) الآية 95 .

من خلال هذا التحليل المقطعي يظهر واضحا أثر تقليص اللام ' من البنية العميقة على عدد المقاطع في البنية السطحية ، إذ تحولت من ثلاثة في الأولى إلى اثنين في الثانية ، مما يبين جنوح المتكلم العربي نحو الاقتصاد في اللغة و الميل إلى الأيسر نطقا و استقبالا .

وبالنسبة للبنى : ( يَذْهَبَا ، يَصِرُوا ، تَعْلَمَنَّ ) في الآيات : ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) (1) ، وَ ( قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا ) (2) ، وَ ( وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنبَا أَشَدَّ حَطَابًا وَ أَبْقَى ) (3) ؛

فقد اتجهت في مسار تطورها إلى بناء السطحية هذه بإسقاط ' نون ' الرفع منها في ( يذهبَا ) وَ ( يصروا ) ، وإسقاط نفس ' التون ' مع ' واو ' الجماعة في ( لتعلمَنَّ ) ، تخفيفا لثقلها الناتج عن طولها .  
والجدول التالي من شأنه أن يبين لنا الفرق بين هذه الصيغ في بناها العميقة والسطحية :

البنية العميقة	البنية السطحية
يذهبان	يذها
يصرون	يصروا
تعلمونن	تعلمن

(1) الآية 62 .

(2) الآية 94 .

(3) الآية 70 .

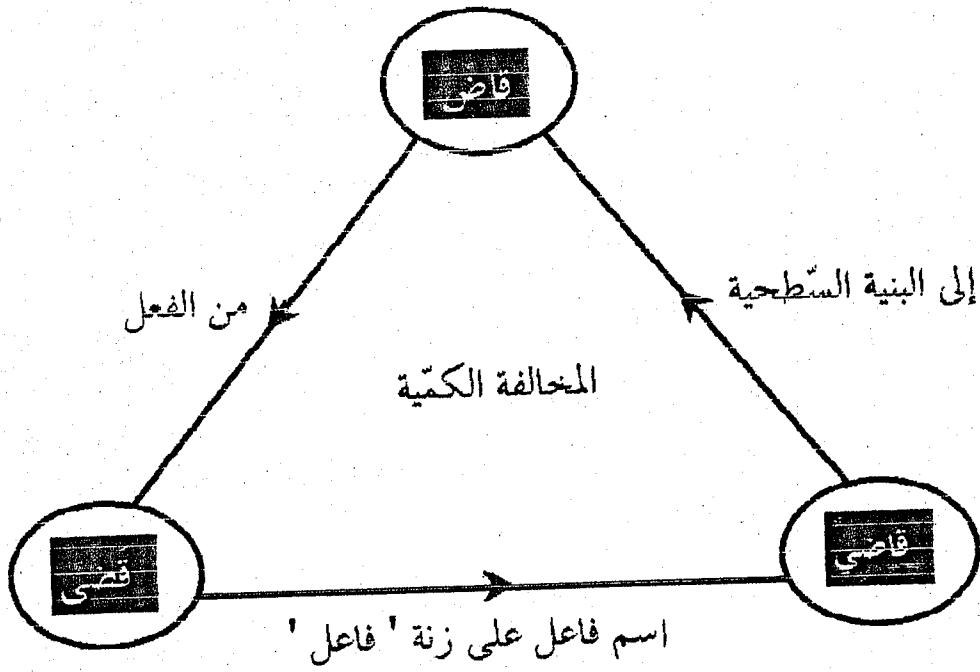
نأتي إلى : ( قاضٍ ) في قوله تعالى : ( **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ** ) (1) ؛  
 فهي اسم فاعل على وزن ' فاعل ' من الفعل ( قَضَى - يَقْضِي ) .  
 فكان يجب أن تبقى على الشكل ( قَاضِيٌّ ) ، اعتباراً أن أصل الألف المقصورة في  
 ( قَضَى ) هو ' ياء ' .

وقد تحولت هذه البنية العميقة إلى البنية السطحية كما يلي :  
 اجتمعت الأمثال ( صائت الكسرة + الصائت الانتقالي ' الياء ' + صائت الضمة ) ،  
 وتحقيقها بهذا الشكل فيه جهد زائد . فتطلب المجال إجراء تسوية على بنائها ، وهو ما  
 يخصّ عامل المخالفة بالحذف التي اجتزأت أثقلها وهو الصائت الانتقالي ' الياء ' مع  
 حركته ، لتصير إلى البنية السطحية على شكل : قاضٍ .  
 وفي البناء المقطعي التالي توضيح لذلك :

— قاضيٌّ ← ص م م + ص م + ص م م  
 — قاضٍ ← ص م م + ص م ص .

أما الشكل التالي فيبين مسارها التحولي :

(1) الآية 71 .

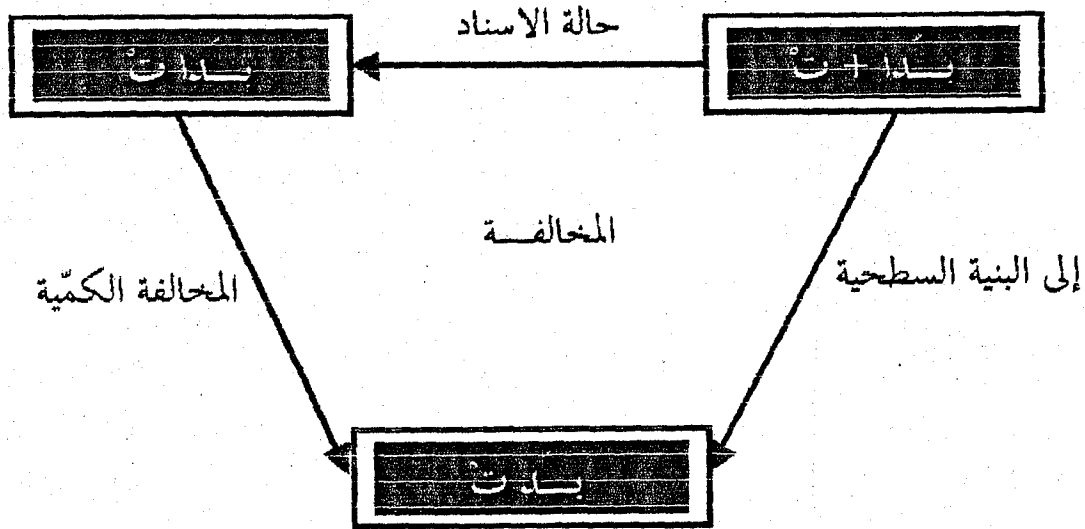


بلغ عدد تكرّرها في السّورة ( 33 ) مرّة ، بنسبة ( 7,46 % ) ومن أمثلتها  
 الفعل ' بَدَتْ ' في الآية : ( **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سِوَاءُهَا** ) <sup>(1)</sup> ؛ فهو صورة  
 من الفعل الماضي المعتل ( بَدَا ) ، المسند إلى ' تاء ' التّأنيث ( تٌ ) ، و عليه فكان  
 يلزم أن تصير البنية العميقة على النّحو التّالي :

— بَدَا + تٌ = بَدَاتٌ ← ص م + ص م / ص .

يظهر من خلال التّشكيل المقطعي هذه الصّورة الإسنادية ، إنتهاؤها بالمقطع الطّويل  
 من النوع الرّابع . ورغم مجيئه في آخر الصّيغة إلّا أنّ اللّغة تبحث عن الاستغناء عنه  
 كلّما أمكنها ذلك ، ولما كان تحويله إلى المقطع المتوسّط عن طريق الإنتقاص من نواته  
 الطّويلة ، لا يخجل بالدّلالة تخلصت منه .

والشّكل الموالي فيه توضيح هذه الحالة التّطوّرية :



(1) الآية 118 .

أمافي : ( اسر ، فاقض ، القى ، يهد ، رب ، فليلقه ، قوم ، تبعن ) في الآيات : ( ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادتي )<sup>(1)</sup> ، و ( فاقض ما أنتم قاضي )<sup>(2)</sup> ، و ( قال القما يا موسى )<sup>(3)</sup> ، و ( اهله يخذ لهم اهلكنا قبلهم )<sup>(4)</sup> ، و ( قال ربم اشرح لى صدرى )<sup>(5)</sup> ؛

فقد قلصت المخالفة الكمية من جميعها نواة المقطع الأخير المفتوح إلى نصفها اقتصادا في جهد الناطق و تخفيفا على أذن السامع .

فالأصل فيها أن تكون ( اسري ) و ( فاقضي ) و ( القى ) و ( يهدي ) و ( ربي ) و ( فليلقه ) و ( يا قومي ) و ( تبعني ) .

وقد كان التحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية على الشكل التالي :

---

(1) الآية 76 .

(2) الآية 71 .

(3) الآية 18 .

(4) الآية 126 .

(5) الآية 24 .

الشدة العميقة	شكلها المقطعي
إِسْرِي	ص م ص + ص م م .
فَأْقْضِي	ص م ص + ص م م .
الْقِي	ص م ص + ص م م .
يَهْدِي	ص م ص + ص م م .
رَبِّي	ص م ص + ص م م .

الشدة السطحية	تشكيلها المقطعي
إِسْرِي	ص م ص + ص م .
فَأْقْضِي	ص م ص + ص م .
الْقِي	ص م ص + ص م .
يَهْدِي	ص م ص + ص م .
رَبِّي	ص م ص + ص م .

ولعلّ اللفظ الذي يصلح لتمثيل عدّة أنواع من المخالفة هو ( كُنْتُ ) في الآية  
الكريمة : ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) (1) ؛

فهي من فعل الكينونة ( كان ) المسند في الماضي إلى ضمير الرفع للمخاطب المفرد .  
فبنية العميقة هي ( كَانٌ + تَ = كَانَتْ ) ، التي تتقطّع إلى :

كَانَتْ ← ص م م + ص م + ص م .

وقد سلكت في تطورها المنحى التالي :

حُذِفَ صَائِلٌ لَامِهَا ( فَتْحَةُ النَّوْنِ ) قِيَاسًا عَلَى صِيغَةِ ( فَعَلَ ) عِنْدَ اسْنَادِهِ لِبَعْضِ ضَمَائِرِ  
الرَّفْعِ فِي الْمَاضِي — كَمَا هِيَ الْحَالُ مَعَ ( قَالَ ) الَّذِي حُذِفَتْ حُرُوكَةُ لَامِهِ عِنْدَ اسْنَادِهِ  
لِضَمِيرِ الرَّفْعِ لِلْمَخَاطَبِ الْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ ( تَ ) فِيصِيرُ ( قَالَتْ ) — لِيَتَحَوَّلَ إِلَى ( كَانَتْ ) .  
وَمَا كَانَتْ اللَّغَةُ تَفَرُّ مِنَ الْمَقْطَعِ الطَّوِيلِ مِنَ النَّوْعِ الرَّابِعِ وَ لَا تَقْبَلُهُ فِي بَدَايَةِ الْكَلِمَةِ ،  
قَلَصَتْ مِنْ كَمِيَّتِهِ بِأَنَّهَا اخْتَصَرَتْ نَوَاتِهِ إِلَى نِصْفِهَا ، لِيَتَطَوَّرَ إِلَى مَقْطَعٍ مِنَ النَّوْعِ الثَّلَاثِ ،  
فَأَصْبَحَ اللَّفْظُ ( كُنْتُ ) . ثُمَّ بِفِعْلِ الْمَخَالَفَةِ الرَّجْعِيَّةِ الْمُنْفَصِلَةِ ، غَايِرِ ' الْفَتْحَةِ ' بَعْدَ  
الْكَافِ إِلَى ' ضَمَّةٍ ' ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الضَّمَّةَ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الْمَحذُوفِ ' وَاو ' ، فَهِيَ  
مِنْ جِنْسِهِ ، إِذْ الْأَصْلُ فِي كَانِ ( كَوْنٌ ) كَ : ( قَوْلٌ ) ، بِدَلِيلِ مَغَايِرَتِهَا إِلَى ' كَسْرَةٍ '  
لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِيهَا ' يَاءٌ ' كَمَا فِي ( بَاعٌ ) ، الَّذِي قِيلَ فِيهِ ( بَعْتُ ) ، لِيَصِيرَ اللَّفْظُ إِلَى  
صُورَتِهِ الْأَخِيرَةِ عَلَى الشَّكْلِ ( كُنْتُ ) .

وقد اتخذ البناء المقطعي للصيغة الصورة التالية :

— كَانٌ ← ص م م + ص م .

— كَانٌ + تَ = كَانَتْ ← ص م م + ص م + ص م .

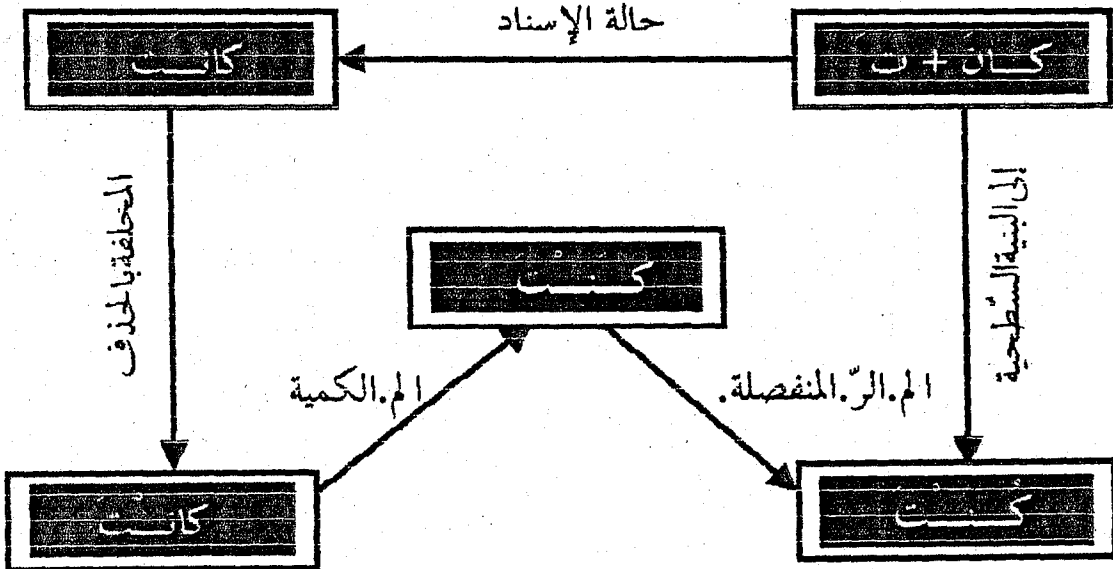
(1) الآية 123 .



— كَانَتْ ← ص م لاص + ص م .

— كُنْتُ ← ص م ص + ص م .

من خلال البناء المقطعي يتبين أن صيغة الإسناد الأولى ( كَانَتْ ) توالى فيها ثلاثة مقاطع مفتوحة ، وهو أمر يشقُّ على الآلة المصوّتة ، من حيث أن تحقيق المقطع المفتوح يحتاج إلى جهد أقوى ، مما استدعى تدخل المخالفة الكمية التي حذفت نواة المقطع الأوسط ، ليغلق المقطع الأول بالهامش المتبقي من المقطع الأوسط ، فيتشكّل في أول الكلمة مقطع طويل يخلُّ بتوازن البنية ، لتستعيد توازنها بعد ذلك بتقليص نواة هذا المقطع الطويل ، إلى البنية السطحية ( كُنْتُ ) .  
وفي الخطاطة التالية توضيح لما أشرنا إليه :



## التحليل

وردت ظاهرة التثنية مرة واحدة (1) في سورة طه ونسبة

( 0,22 % ) إلى جميع النسب السابقة ، في لفظ ( يَنْوُم ) في الآية : ( قَالَ يَبْنَؤُهُ

لَا تَأْخُذْ بِلِعْيَتِي وَإِيَّائِي )<sup>(1)</sup> ؛ فإن الباحث في أمره يجده قد نحت من أكثر من

كلمتين ، فبنيته العميقة هي ( يا + ابن + أمي ) . وأما تحليلها المقطعي فهو كالاتي :

— يا ابن أمي ← ص م م + ص م ص + ص م ص + ص م م

ثم صيغت من مجموع حروفها كلمة واحدة تدلّ على معناها اختصاراً لبنيتها وسيراً نحو

تسهيل النطق بها ، فكان أن نزل عدد مقاطعها من خمسة إلى أربعة . بعدما قلّصت كمية

نواة المقطع الأول إلى نصفها ، واجتزأ المقطع الموالي دون هامشه الثاني ، ثم قلّصت

نواة المقطع الأخير إلى نصفها ، لتصبح في بنيتها السطحية ( يَنْوُم ) .

و في الجدول التالي يظهر الفرق البيوي للشكليين :

بنائها المقطعي	البنية العميقة
ص م م + ص م ص + ص م ص + ص م م	يا ابن أمي
بنائها المقطعي	البنية السطحية
ص م ص + ص م ص + ص م ص + ص م م	يَنْوُم

(1) الآية 92 .

## الختام

أما وقد بلغت مهابة دراسي حول الاقتصاد المورفونولوجي ووظيفته في التواصل اللساني ، أجد من اللازم أن أحصر ما أسفر عنه البحث من نتائج ، فكانت كالآتي :

- أن اللغة وإن تعددت وظائفها ، تبقى أهم وظيفة لها هي التواصل بين

الأفراد والجماعات .

- ظاهرة الاقتصاد اللساني ، أو السهولة والتيسير ، أو الجهد الأقل ، ما هي في الواقع

إلا مظهر من مظاهر العملية التواصلية و تجلُّ من تجلياتها ، وهي لا تخص لغة معينة

فحسب ، وإنما تُعدّ ظاهرة عامة تخضع لها كلُّ لغات العالم . و الإنسان ، أينما وُجد ،

ميّال بطبعه إلى الراحة ، يحاول أن يحقق أهدافه و مقاصده في حياته من أقرب الطرق ،

وبذل أدنى الجهد .

- أن ظاهرة الاقتصاد المورفونولوجي مطلب دعت إليه روح العصر ، و حاجة الإنسان

إلى السرعة في التحقيق و التخفيف على الذاكرة .

- أن القدماء عالجوا الظاهرة تحت مصطلح ( الاستخفاف و الاستقلال ) .

- أن الأصوات في تشكّلها جنبا إلى جنب مع بعضها ، تخضع لقانون الجهد الأدنى ،

عن طريق ميلها إلى التجانس و عدم التنافر ، تسهّلا على طرفي العملية التواصلية . و من

مظاهر ذلك في اللغة العربية :

- تأليف الكلام العربي بما تباعدت مخارجه من الأصوات ، فلا يجمع بين

أصوات المخرج الواحد أو المخرجين المتدانيين المتقاربين .

و إذا حصل أن اجتمع في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين صوتان من نفس

المخرج أو من مخرجين متقاربين ، فإن ذلك يؤدي إلى تنافرهما و بالتالي تأثير بعضهما في بعض من أجل التجانس و الانسجام ، و العودة إلى السلاسة و الاسترسالية من خلال الآليات التي تمتلكها اللغة .

و على ذلك فالتأثر و التأثير لا يكون إلا بين الأصوات من نفس المخرج أو المخرجين المتقاربين ، و كما يكون بين الصّوتين المتلاصقين ، يكون كذلك بين المنفصلين ، و كما يكون كلياً ، يكون كذلك جزئياً ، و كما يكون تقدّمياً ، يكون كذلك رجعيّاً .

- تحوّل الصّوت من مخرجه في الكلام المتّصل لضرب من التجانس مع الصّوت المجاور ، كأن يتحوّل الصّوت الأنفي إلى فموي أو العكس ، أو أن يتقدّم الصّوت بمخرجه إلى الأمام ، أو يتأخّر به إلى الخلف .

- صيرورة الصّامت أنفياً لوقوعه بين صامتين أنفيين .

- قد يتحوّل الصّامت المهموس الموجود بين صائتين ، إلى مجهور بتأثيرهما .

- صيرورة الصّامتين المتجاورين المتناقضين الصّفة في ' الافتعال ' - كأن يكون أحدهما مطبقاً و الآخر منفتحاً أو أحدهما مجهوراً و الثاني مهموساً - إلى الاتّفاق فيها ، بأن يصيرا مطبقين معاً أو مجهورين معاً ، حتّى يكون العمل في مستوى واحد اقتصاداً في الجهد العضلي المبذول .

- و قد يتحوّل أحد الصّوتين المتجاورين إلى طبيعة الثاني خارج ' الافتعال ' كذلك ، وبخاصّة في حالات الجهر و الهمس .

- تحوّل الصّامت الشّديد إلى رخو في ' الافتعال ' للمجانسة في المماثلة الكليّة .

- ميل الصّوائت إلى المحانسة مع الصّائتين الانتقاليين أو العكس ، أثناء تجاور بعضها مع بعض .

- إسقاط ' الهمزة ' في أوّل الكلام أو في درجه ، أو تخفيفها ، أو تحويلها إلى ما يجانس الصّوت المجاور .

- أن الصّوت إذا مسّه التطور في كلمة ، عمّم ذلك على كامل النّظام .  
- هروب اللّغة العربيّة من الحركة المزدوجة في بداية الكلمة ، فكلّما تكرّر نفس الصّامت أو نفس الصّائت الانتقالي إلّا حذف أحدهما ، أو خالف إلى صوت آخر ، ما لم يؤد ذلك إلى لبس في الدّلالة .

- كلّما حدث اقتران ثقيل بين صوتين ، خالف أحدهما إلى ما يناسب الآخر .  
- تلجأ اللّغة العربيّة إلى حذف بعض الصّوامت أو أشباه الصّوائت أو حذف بعض الصّوائت ، أو تقليص كميّة الطّويلة منها ، كلّما سنحت لها الدّلالة بذلك ، اقتصاداً في الجهد .

- هروب اللّغة العربيّة من التّضعيف إلى المخالفة بأحد أصوات المجموعة المائعة ، لتسهيل العملية التّواصلية بين المتكلّم و المستمع .

- ميل العربيّة إلى الأيسر فونيمياً ( الصّوائت القصيرة في مقابل الطّويلة ، الصّوامت المستفلة في مقابل المستعلية ... ) .

- فرار اللّغة العربيّة من الألفاظ الطّويلة وإقامة كلامها على الأصول الثّلاثية .

- اعتمادها على الأصوات المجهورة ، من حيث أن المجهور أسهل في التّحقيق من المهموس .

- شيوخ الأصوات ١- شيوخ الصّوائت في الكلام العربي و كثرتها فيه ، فهي ستة فقط ، تساوي ما نسبته ( 48 % ) ، وهي أسهل الأصوات في كل كلام .
- لمائة التي سهّلت على النطق واستُسيغت في الآذان .
- وضع العربية لتلك الأوزان والقوالب الفكرية المحددة التي تساعد على معرفة المعاني الكليّة .
- اعتمادها القياس على الأشهر و الأكثر تداولاً ، هروباً من إقبال النّاكرة بمتاع غير مفيد .
- اعتمادها المقاطع الثلاثة الأولى السهلة ( القصير و المتوسّطين ) ، و فرارها من المقطعين الطويلين الذين لا تقبلهما إلاّ آخرأً أو حين الوقف .
- اعتمادها على المقاطع المقفلة ، من حيث أنها أسهل على التّحقيق من المفتوحة التي تتطلّب نفساً أكبر يجهدُ الرّتين .
- لجوؤها إلى تغيير بعض مواقع الأصوات من الكلمة لضرب من الإقتصاد في المجهود .
- استعمالها أحياناً للتّحت في توليد ألفاظها ، وهو وجه من أوجه الإقتصاد في اللّغة .
- وضعها لفواصل بين الصّوتين الثّقيلين ( المضعّفين ، أو المضعّف المتبوع بهمزة ) ، أو قبل همزة لتسهيل العملية التّطقيّة .
- اعتمادها حال الوقف على المقطع المغلق ، تحقيقاً للسهولة .

تمت بعون الله وتوفيقه .

## الفهارس

### 1- فهرس المصادر والمراجع .

- أ- المصادر .
- ب- المراجع .
- ج - الدوريات .
- د- المراجع الأجنبية .

### 2- محتويات البحث .

# 1- فهرس المصادر و المراجع

- القرآن الكريم بقراءة نافع ورواية ورش ؛  
طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - الجزائر - 1989.

## أ : المصادر

1- أحمد أبو بكر بن موسى ، ابن مجاهد ( ت 324 هـ ) :  
السبعة في القراءات - تحقيق : شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة -  
د.ط - د.ت .

2- أحمد أبو الحسن ، ابن فارس ( ت 395 هـ ) :  
الصاحبي في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها - علق  
عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسح - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 -  
1997 .

3- بدر الدين محمد بن عبد الله ، الزركشي ( ت 794 هـ ) :  
البرهان في علوم القرآن - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر  
للطباعة و النشر و التوزيع - ط 3 - 1980 - الجزء الثالث .



4- بهاء الدين عبد الله ، ابن عقيل ( ت 769 هـ ) :

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك — تحقيق : هادي حسن حمودي —  
دار الكتاب العربي — بيروت — د.ط — 1991 — الجزء ان .

5- جار الله محمود بن عمر أبو القاسم ، الزمخشري ( ت 538 هـ ) :

تفسير الكشاف عن حقائق التثريب و عيون الأقاويل في وجوه التأويل —  
تحقيق و تعليق : محمد مرسي عامر — دار المصحف — القاهرة — د.ط — د.ت —  
الجزء الرابع .

6- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، السيوطي ( ت 911 هـ ) :

1- الإتيان في علوم القرآن — دار الكتب العلمية — بيروت — د.ط —  
د.ت — الجزء الأول .

2- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة — تحقيق : محمد أبو

الفضل إبراهيم — المكتبة العصرية — صيدا — بيروت — د.ط — د.ت — الجزء ان .

3- المزهري في علوم اللغة و أنواعها — شرح و تعليق : محمد أحمد

جاد المولى و علي محمد البحاي و محمد أبو الفضل إبراهيم — دار الفكر للطباعة و

النشر — والتوزيع — د.ط — د.ت — الجزء الأول .

4- همع الهوامع شرح جمع الجوامع — مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة

— ط 1 — 1327هـ .

7- جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم ، ابن منظور ( ت 711 هـ ) :  
لسان العرب - دار صادر - بيروت - د.ط - د.ت - المجلد 3 .

8- الخليل بن أحمد ، الفراهيدي ( ت 175 هـ ) :  
العين - تحقيق : مهدي مخزومي وإبراهيم السّمرائي - دار الرشيد للنّشر -  
العراق - د.ط - 1980 - الجزء الأوّل .

9- سيد ، قطب :  
في ظلال القرآن - دار الشّروق - بيروت - ط 12 - 1986 - المجلد  
الرّابع .

10- عبد الرّحمان بن أبي سعيد أبو البركات ، ابن الأنباري ( ت 577 هـ ) :  
أسرار العربية - تحقيق : محمد بهجة البيطار - المجمع العلمي العربي -  
دمشق - د.ط - د.ت .

11- عبد القاهر ، الجرجاني :  
1- أسرار البلاغة في علم البيان - علّق على حواشيتها : محمد رشيد رضا  
- دار المعرفة - بيروت - ط.2 - د.ت .

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني — علّق عليه : محمد رشيد رضا — دار

المعرفة — بيروت — ط 1 — 1994 .

12- عبد الله أبو محمد بن مسلم ، ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن — دار الكتب العلمية — بيروت — ط 3 — 1981 .

13- عبد الملك أبو منصور بن محمد ، الثعالبي :

فقه اللغة وسرّ العربية — تحقيق : أمّين نسيب — دار الجيل — بيروت —

ط 1 — 1998 .

14- عثمان بن سعيد أبو عمرو ، الدّاني الأندلسي ( ت 444 هـ ) :

التّحديد في الإتقان و التّجويد — دراسة و تحقيق : غانم قدّوري حَمَد —

طبع و نشر و توزيع مكتبة دار الأنبار — العراق — د.ط — 1988 .

15- عثمان أبو الفتح ، ابن جنّي ( ت 392 هـ ) :

1- الخصائص — تحقيق : محمد علي التّجار — المكتبة العلمية — مصر —

د.ط — د.ت — الأجزاء الثلاثة .

2- سرّ صناعة الاعراب — دراسة و تحقيق : حسن هندراوي — دار القلم

— دمشق — ط 1 — 1985 — الجزءان .

3- النصف — تحقيق : ابراهيم مصطفى و عبد الله أمين — مطبعة مصطفى  
الباي الحلبي — مصر — ط 1 — 1954 — الجزء الثاني .

16- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ، ابن كثير ( ت 774 هـ ) :  
تفسير القرآن الكريم — دار الأندلس للطباعة و النشر التوزيع — د.ط —  
د.ت — الجزء الرابع .

17- عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، سيويه ( ت 180 هـ ) :  
1- الكتاب — تحقيق و شرح : عبد السلام هارون — مكتبة الخانجي —  
القاهرة — ط 3 — 1988 — الجزء الثاني و الثالث .  
2- الكتاب — تحقيق و شرح : عبد السلام هارون — مكتبة الخانجي —  
القاهرة — ط 2 — 1982 — الجزء الرابع .

18- محمد أبو بكر بن الحسين ، ابن دريد ( ت 321 هـ ) :  
جهرة اللّغة — دار صادر — بيروت — د.ط — د.ت — الجزء الأوّل .

19- محمد أبو الخير ، ابن الجزري ( ت 833 هـ ) :  
التشريح في القراءات العشر — قدّم له : علي محمد الضّباع — دار الكتب  
العلمية — بيروت — د.ط — 1998 — الجزءان .

20- محمد أبو بكر ، ابن السراج ( ت 316 هـ ) :

الأصول في النحو — تحقيق : عبد الحسين الفتلي — مؤسسة الرسالة —  
بيروت — ط 1 — 1985 — الجزء الثالث .

21- محمد بن الطيب أبو بكر ، الباقلاني ( ت 403 هـ ) :

إعجاز القرآن — تحقيق : أحمد صقر — دار المعارف — القاهرة — ط 5 —  
د.ت .

22- محمد بن يزيد أبو العباس ، المبرد ( ت 285 هـ ) :

المقتضب — تحقيق : محمد عبد الخالق عضمة — عالم الكتب — بيروت —  
د.ط — د.ت — الجزء الثالث .

24- موفق الدين ، ابن يعيش ( ت 643 هـ ) :

شرح الملوكي في التصريف — تحقيق : فخر الدين قباوة — مطابع المكتبة  
العربية — حلب — سوريا — ط 1 — 1973 .

23- يحيى بن زياد ، الفراء ( ت 207 هـ ) :

معاني القرآن — تحقيق : محمد علي التّجار و أحمد يوسف نجّاتي — عالم  
الكتب — بيروت — ط 2 — 1955 — الجزء 2 ، 3 .

## ب : المراجع

1- إبراهيم ، أنيس :

- 1- الأصوات اللغوية — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ط 4 — 1971 .
- 2- من أسرار اللغة — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ط 3 — 1965 .
- 3- موسيقى الشعر — دار القلم — بيروت — ط 4 — 1972 .

2- أحمد ، الحملاوي :

- شذا العرف في فن الصرف — شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الثاني الحلبي  
و أولاده بمصر — ط 16 — 1965 .

3- أحمد عبد الرحمن ، حمّاد :

- عوامل التطور اللغوي — دار الأندلس — بيروت — ط 1 — 1983 .

4- أحمد محمد ، قدّور :

- مبادئ اللسانيات — دار الفكر — دمشق — ط 1 — 1996 .

5- أحمد مختار، عمر :

- دراسة الصّوت اللغوي — عالم الكتب — القاهرة — ط 3 — 1985 .

3- اللّغة العربية معناها ومبناها — دار الثقافة — الدّار البيضاء — المغرب —  
د.ط — د.ت .

11- جوزيف ، فندريس :

اللّغة — تعريب : عبد الحميد الدّواخلي و محمد القصاص — مكتبة الأنجلو  
مصرية — القاهرة — د.ط — 1950 .

12- حسام سعيد ، التّعيمي :

الدّراسات الصوتية و اللّهجية عند ابن جني — دار الطّليعة للطّباعة و النّشر  
— بيروت — د.ط — د.ت .

13- حسن ، ظاظا :

كلام العرب : من قضايا اللّغة العربية — دار النهضة العربية — بيروت —  
د.ط — 1976 .

14- حلمي ، خليل :

المولّد في العربية — دار النهضة العربية — بيروت — ط2 — 1985 .

15- حنفي ، ابن عيسى :

محاضرات في علم النّفس اللّغوي — الشركة الوطنية للنّشر و التّوزيع —  
الجزائر — ط2 — 1980 .

16- حولة طالب ، الإبراهيمي :

مبادئ في اللسانيات — دار القصبة للنشر — الجزائر — د.ط — 2000 .

17- رابع ، بوحوش :

البنية اللغوية لردة البصري — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر —

د.ط — 1993 .

18- روفائيل نخلة ، اليسوعي :

غرائب اللغة العربية — المطبعة الكاثوليكية — بيروت — ط2 — 1960 .

19- رمضان ، عبد التواب :

1- التطور اللغوي : مظاهره و علله و قوانينه — مكتبة الخانجي — القاهرة

— ط1 — 1983 .

2- فصول في فقه اللغة العربية — مكتبة الخانجي — القاهرة — ط3 —

.1987

3- لحن العامة و التطور اللغوي — دار المعارف — القاهرة — ط1 —

.1967

4 - المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي — مكتبة الخانجي —

القاهرة — ط1 — 1982 .



20- صالح ، صبحي :

دراسات في فقه اللّغة — دار العلم للملايين — ط 13 — 1997 .

21- صلاح الدّين ، صلاح حسنين :

المدخل إلى علم الأصوات : دراسة مقارنة — دار الأتحاد العربي للطباعة

— ط 1 — 1981 .

22- الطّاهر ، قطبي :

بحوث في اللّغة — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر — د.ط — 1990 .

23- عبد الجليل ، عبد القادر :

1- الأصوات اللّغوية — دار صفاء للنشر و التوزيع — ط 1 — 1998 .

2- علم الصّرف الصّوتي — أزمة للنشر و التوزيع — عمّان — ط 1 —

.1998

3- هندسة المقاطع الصّوتية — دار صفاء للنشر و التوزيع — عمّان — ط 1

— 1998 .

24- عبد الجليل ، مرتاض :

اللّغة و التّواصل — دار هومة — الجزائر — د.ط — 2000 .

25- عبد السلام ، المسدي :

اللسانيات من خلال النصوص - الدار التونسية للنشر - ط 2 - 1986 .

26- عبد الصبور، شاهين :

1- أثر القراءات في الأصوات و التحو العربي - مكتبة الخانجي - القاهرة

- ط 1 - 1987 .

2- المنهج الصوتي للبنية العربية - مؤسسة الرسالة - بيروت - د.ط -

. 1980

27- عبد العزيز ، عتيق :

1- المدخل إلى علم التحو و الصّرف - دار النهضة العربية - بيروت -

ط 2 - 1974 .

2- علم المعاني - دار النهضة العربية - بيروت - 1985 .

28- عبد العزيز ، قليقة :

لغويات - دار الفكر العربي - القاهرة - د.ط - د.ت .

29- عبده ، الراجحي :

التطبيق الصّرفي - دار النهضة العربية - بيروت - د.ط - 1979.

30- عاطف ، مذکور :

علم اللغة بين التراث والمعاصرة — دار صفاء للنشر و التوزيع — ط 1 —  
د.ط — 1987 .

31- علي حلمي ، موسى :

دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر — الهيئة  
المصرية العامة للكتاب — د.ط — د.ت .

32- علي عبد الواحد ، وافي :

علم اللغة — دار كھضة مصر للطباعة و النشر — ط 7 — د.ت .

33- كمال محمد ، بشر :

علم اللغة العام : الأصوات — دار المعارف — القاهرة — د.ط — 1980 .

34- محمد ، الأنطاكي :

الوجيز في فقه اللغة — مكتبة دار الشرق — بيروت — ط 3 — د.ت .

35- محمد توفيق ، شاهين :

علم اللغة العام — مكتبة وهبة — القاهرة — ط 1 — 1980 .

36- محمود ، السّعران :

علم اللغة : مقدّمة للقارئ العربي — دار الفكر العربي — د.ط — د.ت .

37- محمد سالم ، محيسن :

القراءات و أثرها في علوم العربية — مكتبة الكليات الأزهرية — د.ط —

. 1984

38- محمود السيّد ، شيخون :

من أسرار البلاغة في القرآن — مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة — ط 1

— 1984 .

39- محمد الصّغير ، بناني :

التّظريّات اللّسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان

والتّبيين — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر — د.ط — 1983 .

40- محمد ، عبد العزيز :

مدخل إلى علم اللّغة — دار الفكر العربي — القاهرة — د.ط — 2000 .

41- ماريو ، باي :

أسس علم اللّغة — ترجمة و تعليق : أحمد مختار عمر — عالم الكتب —

القاهرة — ط 3 — 1987 .

42- مصطفى ، حركات :

اللّسانيّات العامّة — دار الآفاق — الجزائر — د.ط — د.ت .

43- المهدي ، بوروبة :

ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن  
الثالث الهجري — رسالة دكتوراه قُدمت إلى قسم اللغة العربية و آدابها — جامعة  
تلسان — 2002 .

44- هنري ، فلاش :

العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد — تعريب و تحقيق : عبد الصبور  
شاهين — دار المشرق — بيروت — ط2 — 1983 .

45- يعقوب ، بكر :

1- نصوص في فقه اللغة العربية — دار النهضة العربية — بيروت — د.ط —  
د.ت — الجزائر .  
2- نصوص في النحو العربي — دار النهضة العربية — بيروت — د.ط —  
1984 — الجزائر .

## د : المراجع الأجنبية

- 1- Catherine , Fuchs et Pierre , Le Goffic :  
**Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines /**  
Librairie Hachette / 1995 .
- 2- Daniel , Jones :  
**An outline of English phonetics / Ninth edition / W.Heffer &**  
**sons .LTD / Cambridge / Englend /1972 .**
- 3- Edward , Sapir :  
**Linguistique / Les éditions de Minuit / Paris / 1968 .**
- 4- Ferdinand , De Saussure :  
**Cours de linguistique générale / présenté par :**  
Dalila Morsly / ENAG / 2<sup>ème</sup> édition / 1994 .
- 5- Georges , Mounin :  
**Clefs pour la linguistique / édition Seghers / Paris / 1968 .**
- 6- Jaques , Durand :  
**Les formes de la communication / Bordas / Paris / 1981 .**
- 7- Jean , Dubois :  
**Dictionnaire de linguistique / librairie Larousse / Paris / 1973 .**

8- Joelle Gardes – Tamine :

**La grammaire : 1 / phonologie , morphologie , lexicologie /**  
Armand colin / Paris / 2<sup>ème</sup> édition / 1990 .

9- Judith , Lazar :

**La science de la communication / que sais-je ? / Dahleb / 2<sup>ème</sup>**  
édition / 1993 .

10- Roman , Jakobson :

**1- Essais de linguistique générale : Rapports internes et**  
**externes du langage / Les éditions de Minuit / Paris .**

**2- Six leçons sur le son et le sens / les éditions de Minuit / Paris /**  
1976 .

## ج : الأبحاث الواردة بالدوريات العربية

1- أحمد حسّاني :

البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية و التحويلية — تجليات  
الحداثة — مجلة تصدر عن معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران — العدد الأوّل —  
السنة الأولى — 1992 .

2- بشير ، إبرير :

التواصل مع النصّ — المجلس الأعلى للغة العربية — مجلة فصلية يصدرها  
المجلس — العدد الرابع — 2001 .

3- ريمون ، طحّان :

الألسنية العربية 1 — دار الكتاب اللبناني — بيروت — ط 2 — 1981 .

4- عبد الفتّاح ، المصري :

الصّوتيات عند ابن جنيّ — التراث العربي — السنة الرابعة — العدد : 15 و  
16 — أفريل — يوليو 1984 .

5- نايف ، خرما :

أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة — سلسلة كتب ثقافية يصدرها  
المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب — الكويت — 9 — سبتمبر 1978 .



## محتويات البحث

الصفحة

الموضوع

اهداء

مقدمة

مختل : ( من : ص 1 إلى 27 )

1 ..... مظاهر الاقتصاد اللساني في اللغة العربية..... 1

الفصل الأول : ( من : ص 28 إلى ص 93 )

\*الاقتصاد المورفونولوجي في الظواهر التماثلية

29 ..... < توطئة

34 ..... < المماثلة

38 ..... - أنواعها

40 ..... - المماثلة الكلية

41 ..... 1- المماثلة الكلية التتجدية المتصلة

41 ..... 1-1 : المماثلة بين الصّوات

45 ..... 1-2 : المماثلة بين أشباه الصّوات و الصّوات المجانسة لها

- 45 ..... 1-2-1 : تأثير الياء في الواو التالية لها
- 47 ..... 2-2-1 : تأثير الكسرة في الواو التالية لها
- 48 ..... 3-2-1 : تأثير الصّائت في الهمزة السّاكنة بعده
- 49 ..... 4-2-1 : تأثير الضمّة في الياء التالية لها
- 50 ..... 5-2-1 : تأثير الكسرة في الفتحة الطويلة التالية لها
- 51 ..... 2 : المماثلة الكليّة التقدّمية المنفصلة
- 52 ..... 3 : المماثلة الكليّة الرّجعية المتّصلة
- 52 ..... 1-3 : المماثلة بين الصّوامت
- 56 ..... 2-3 : المماثلة بين الصّوائت و أشباه الصّوائت المجانسة لها
- 56 ..... 1-2-3 : تأثير الضمّة في الفتحة الطويلة التالية لها
- 56 ..... 2-2-3 : تأثير الضمّة في الهمزة التالية لها
- 57 ..... 3-2-3 : تأثير الكسرة في الصّائت الانتقالي التالي لها
- 58 ..... 4 : المماثلة الجزئية التقدّمية المنفصلة
- 58 ..... 1-4 : المماثلة بين الصّوامت
- 59 ..... 2-4 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها
- 61 ..... 5 : المماثلة الكليّة الرّجعية المتّصلة
- 61 ..... 1-5 : المماثلة بين الصّوامت
- 66 ..... 2-5 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها
- 67 ..... 1-2-5 : تأثير الياء في الواو المتّصلة قبلها
- 67 ..... 2-2-5 : تأثير الصّائت في الصّائت الانتقالي الموجود قبله

69	.....	6 : المائلة الكلية الرجعية المنفصلة
69	.....	6 - 1 : المائلة بين الصوامت
71	.....	6 - 2 : المائلة بين الصوائت
73	.....	7 : المائلة الجزئية الرجعية التصلة
73	.....	7-1 : المائلة بين الصوامت
74	.....	7-2 : المائلة بين أشباه الصوائت والصوائت المجانسة لها
74	.....	8 : المائلة الجزئية الرجعية المنفصلة
74	.....	8 - 1 : المائلة بين الصوامت
77	.....	8 - 2 : المائلة بين الصوائت
78	.....	9 : المائلة المزدوجة
82	.....	10 : المائلة المخرجية
86	.....	← القلب المكاني
91	.....	← التحت
92	.....	1 : التحت الفعلي
93	.....	2 : التحت الاسمي
93	.....	3 : التحت الوصفي
93	.....	4 : التحت النسبي

## الفصل الثاني : ( من : ص 94 إلى 126 )

### \* الاقتصاد المورفونولوجي في الظواهر التخالفية

- 95 ..... < المخالفة
- 98 ..... — أنواعها
- 99 ..... 1 : المخالفة التقدّمية المتصلة
- 100 ..... 2 : المخالفة التقدّمية المنفصلة
- 104 ..... 3 : المخالفة الرجعية المتصلة
- 108 ..... 4 : المخالفة الرجعية المنفصلة
- 110 ..... 5 : المخالفة المزدوجة
- 112 ..... 6 : المخالفة الكميّة
- 114 ..... 7 : المخالفة بالحذف

## الفصل الثالث : ( من : ص 127 إلى 195 )

### \* وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في عملية التواصل من خلال سورة ' طه '

- 128 ..... < جوانب العملية التواصلية
- 129 ..... — التواصل باعتباره أهمّ وظيفة في اللغة
- 132 ..... — العملية التواصلية

146	— أنواع التّواصل اللّساني .....
148	— قنوات التّواصل اللّساني ووسائله .....
150	◀ وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال سورة طة .....
151	◀ التعريف بالسّورة .....
153	◀ المماثلة .....
153	1 : المماثلة الكلّية التّقدّمية المنفصلة .....
156	2 : المماثلة الجزئية التّقدّمية المتّصلة .....
156	2 - 1 : المماثلة بين الصّوامت .....
158	2 - 2 : المماثلة بين الصّوائت والصّائتين الانتقاليين .....
161	2 - 3 : المماثلة بين الصّوامت و الصّوائت .....
162	3 : المماثلة الجزئية التّقدّمية المنفصلة .....
163	4 : المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة .....
167	5 : المماثلة الجزئية الرّجعية المتّصلة .....
167	5 - 1 : المماثلة بين الصّوامت و الصّوائت .....
167	5 - 2 : المماثلة بين الصّوامت .....
169	6 : المماثلة الجزئية الرّجعية المنفصلة .....
170	7 : المماثلة المزدوجة .....
172	8 : المماثلة المخرّجية .....

175 ..... < المخالفة

175 ..... 1 : المخالفة التقدّمية المنفصلة

178 ..... 2 : المخالفة الرجعية المنفصلة

179 ..... 3 : المخالفة المزدوجة

181 ..... 4 : المخالفة بالحذف

190 ..... 5 : المخالفة الكميّة

195 ..... < التحت

196 ..... بالخاتمة

200 ..... الفهارس

201 ..... — فهرس المصادر و المراجع

201 ..... أ — المصادر

207 ..... ب — المراجع

216 ..... د — المراجع الأجنبيّة

218 ..... ج — الأبحاث الواردة بالدوريات العربية

219 ..... — محتويات البحث

